



الثقافة العربية اليوم وغدا

العلوم الإنسانية للدكتور إبراهيم مذكور

أشرا

في الكلمة السابقة إلى
نشأة الثقافة العربية

وتطورها ، وبيننا أن نهضتنا الثقافية المعاصرة
تصعد إلى القرن التاسع عشر ، ظهرت
بوادرها في مصر أولا ، ثم امتدت شيئا فشيئا
إلى بلاد عربية أخرى . ويعتبر القرن العشرون
البدء الحقيقي لمدة النهضة ؛ لأنه قرن التحرر
والاستقلال ، قرن الازدهار والرخاء . وأريد
بها أن تكون ثقافة عربية أولا تعبر عن العالم
العربي في آماله وآلامه ، ولم يكن غريبا أن
تعنى باللغة القومية ، وأن تعتد بتراثها
القديم . ولكنها لم تنف عند هذا ، بل
تفتحت أعينها لعلوم العصر وفنونه ، وأخذت
منها ما أنجحت .

١ - بدأت النهضة الثقافية العربية الحالية
بالعلوم الإنسانية ، شأنها شأن النهضة الأوروبية
الحديثة ، فأنجحت أولا نحو التراث العربي
القديم تحيي معالمه ، وتستلهم منه .

والتراث العربي خصب فسيح ، وهو دون
نزاع أغنى مخلفات الحضارات القديمة
 والمتوسطة ، لأنه صنيع عدة شعوب ووليد
ثلاثة عشر قرنا . وجه إليه الدين أصلا ، فكان
الاشتغال به عبادة ، وتعبد به تقربا . تعددت
ألوانه ، وتنوعت أبوابه ، فيه شرعيات
 ولغويات ، فيه تاريخ وقصص ، فيه فن
 وأدب ، فيه علم وفلسفة . ولإعطاء فكرة عن
سبعته وتنوع مواده ، يكفي أن نشير إلى
مرجعين اثنين عنيا بحصره . وقد ظهر أولهما
في القرن العاشر الميلادي ، وهو «الفهرست»
 لابن النديم ، الذي شاء أن يحصى ما ألف أو
ترجم إلى العربية لعهدده ، وأسفر لإحصائه عن
عشرات العلوم والفنون ، ومئات المؤلفات ،
ومئات المؤلفين . وظهر الثاني في القرن
السابع عشر ، وهو : «كشف الظنون في
أسماء الكتب والفنون» ، ويشتمل على نحو
٣٠٠ فن ، وعدة آلاف مؤلف ، ونحو
١٥٠٠٠ كتاب . ورأت الجامعة العربية قياما

بواجبها الثقافي . أن تجمع هذه المخطوطات .
وأن تيسر أمرها للدارسين والباحثين ، فأنشأت
عام ١٩٤٧ معهداً للمخطوطات استطاع حتى
الآن أن يوفد عشرات البعثات إلى العالم
العربي والعالم الإسلامي ، بل إلى بعض
العواصم الأوروبية بحثاً عن المخطوطات
وحصل على صور لما يريد عن ٣٠ ألف منها
ويعد هذا المعهد مركزاً كبيراً من مراكز
الثقافة العربية اليوم .

وقد تنبه المستشرقون إلى هذه الثروة
الفكرية الهامة ، وقاموا بإحياء قدر منها في
القرن الماضي . ثم اضطلع العرب أنفسهم بذلك ،
وبدءوا في القرن نفسه يحققون وينشرون .
واشتد نشاطهم في القرن الحالي ، فحاولوا
أن يحملوا العبء عن سبقهم من المستشرقين
وعنوا بذلك عناية خاصة . وأصبح إحياء
التراث باباً فسيحاً من أبواب الثقافة العربية
المعاصرة ، وتكاد تسهم فيه البلاد العربية
جميعها ، وتخصص فيه بعض الناشرين ، وله
نسبة ملحوظة بين ما يظهر من كتب عربية
كل عام . وقد ينشر مؤلف واحد مرتين في
آن واحد ببلدين عربيين ، وحبذا لو نظم
ذلك ونسق ، ورتبت فيه أولويات ، ووزع
بين الناشرين في العالم العربي ، على نحو ما يتم
من تنسيق بين إنجلترا والولايات المتحدة في
نشر كبار المؤلفات الإنجليزية . والمهم على

كل حال ، أن يقوم بالتحقيق والنشر من هو
أهل له ، وأن يفرغ كل ناشر لما تخصص فيه .
٢- وإلى جانب النشر والتحقيق تجيء
الدراسات اللغوية والأدبية ، وهي بدورها
من باكورات النهضة الثقافية ، يبدأ بها
لأنها من وسائل النهوض والتقدم . وسبق
لي أن أشرت إلى محاولات الاستعمار في
فرض لغاته ، آملاً أن تحل محل العربية ،
ولم تتردد بعض القوى الوطنية في معارضة
ذلك . هذا إلى أن مستحادثات العلم والحضارة
جلبت مسميات وأسماء غير عربية ، فلما أن
تقبل المسميات بأسمائها ، ولما أن توضع
لها أسماء جديدة ، والعربية نفسها كسائر
اللغات ظاهرة اجتماعية تخضع لسنة النشوء
والارتقاء . وقد دفع ذلك كله ، أسوة بما
حدث في فرنسا في القرن السابع عشر ، إلى
التشكيك في إنشاء مجامع لغوية تحافظ على
سلامة اللغة ، وتجعلها وافية بمطالب العلوم
والفنون ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر
الحاضر . وسبقت مصر إلى ذلك ، فأنشأت
عام ١٨٩٢ مجسداً أهلياً . ومضت تطور
الذكرة زمناً إلى أن استقر الرأي عام ١٩٣٢
على إنشاء مجمع حكومي مثلت فيه البلاد
العربية ونفر من كبار المستعربين ، وهو
النائم إلى اليوم . وقد نجح هذا المجمع في
إثبات أن اللغة ملك لأهلها ، وأن في وسعهم
أن يندودا ويغدودا . واستطاع أن يبسط
قواعدها ، وأن يبسر أقيستها ، وعنى

خاصة بلغة العلم وألفاظ الحضارة ، واستحدث منادج جديدة في التأليف المعجمي . وأخذ بالفكرة بعض البلاد العربية ، فأنشئ مجمع دمشق عام ١٩١٩ ، ومجمع بغداد عام ١٩٤٧ ، وتهيأ بلاد عربية أخرى لإنشاء مجامع جديدة ، وكان لابد من قيام اتحاد يربط هذه المجامع وينسق عملها ، وقد أنشئ فعلا منذ ثلاث سنوات .

٣ - وأما الإنتاج الأدبي فما أكثره وما أغزره فيه أخذ ومحاكاة ، وفيه إبداع وابتكار . يحاكي أروع ما عرف في الماضي ، ويبتكر صورا جديدة من الحاضر . وكان للتنافس بين القديم والجديد شأن في ظهور أدب يتسم بسمات العصر ومميزاته . فتوارد على الشعر العربي مدارس وشعراء يحاكون الشعر العباسي في أزهى عصوره ، أو ينحون منحى الرومانسية الغربية التي تعني بوحدة الموضوع ، وتدعو إلى أن يعود الأديب إلى نفسه ، ويصور ما يدور بخالده . ولم يقف الأمر عند موضوع الشعر وأخيلته ، بل امتد إلى وزنه وقافيته ، وظهر الشعر الحر الذي يبدو وكأنه محاكاة واضحة لمؤثرات أجنبية . وكم اشتدت الخصومة بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر الجديد . ولم يخل ذلك من تفاعل بينهما ، فتوسع أنصار القديم في أوزانهم وقوافيهم ، وحاول أنصار الجديد أن يكسوا شعرهم بقدر من الوزن والموسيقى . وفي النثر ألوان جديدة وطريقة : من مقال ، وقصة

ومسرحية ، وسيرة ذاتية . وما المقال إلا تطور للمقامة القديمة ، وقد ساءت الصحافة والحزبية السياسية على هذا التطور ، ونمت الدراسات الجامعية . فكان للمقال شأن في الدعوات الإصلاحية ، والحركات السياسية ، والنقد الأدبي ، والتحليل العلمي . وهناك مقالات سمت إلى مستوى الأدب الرفيع ، وصارت نموذجا يحتذى بين القراء والكتاب . والتمصية من أغزر أبواب الأدب العربي المعاصر . اعتمدت على الملاحظة الدقيقة والتحليلات العميقة . رسمت البيئة العربية رسما معبرا ، وكشفت عن زوايا خفية لدى الفرد والمجتمع : وما المسرحية إلا قصة تعتمد على الحوار ، وضعت شعرا ونثرا . وعبرت عن الماضي الدفين ، أو عن الواقع الصريح ، تنحو منحى النقد والسخرية ، أو تحمل راية الإصلاح والتجديد . وفي الأدب العربي المعاصر قصص ومسرحيات لا تقل عن نظائرها في الآداب العالمية ، وترجم قدر منها إلى عدة لغات . والسيرة معروفة في الأدب العربي من قديم ، وقد نحت اليوم منحى جديدا ، وأجملها السيرة الذاتية التي تكشف عن أعماق النفس وتسجل اعترفات أخاذة ، وتوضح بعض معالم التاريخ . ونعتقد أن في كل هذا ما يبين كيف تطور الأدب العربي المعاصر : بدأ بالتقليد ، ثم انتقل إلى تفاعل بين القديم والجديد ، وانتهى أخيرا إلى مرحلة اكتملت فيها شخصيته واستقامت معالمه ، واتضح استقلاله .

٤ - والفن والأدب مرتبطان ومتعاونان .
وقد عرف العالم العربى الفن من قديم . وربما
اجتمعت فى بلاد واحد فنون متلاحمة ،
فعرفت مصر الفن الفرعونى والرومانى ،
وعرفت الفن القبطى والإسلامى . ولمصر
الحديثة سبق فى الإنتاج الفنى ، فظهرت فيها
الفنون التشكيلية فى عهد إسماعيل (١٨٦٣ -
١٨٧٩) ، وأنتج بعض الفنانين الفرنسيين
لوحات رائعة تمثل الحياة الشعبية فى مصر
إبان القرن التاسع عشر . وتلاها فى القرن
العشرين إنتاج لا يقل عنها روعة ، وقد
اضطلع به المصريون أنفسهم . وإلى جانب
التصوير غنى بالنحت كذلك ، واستعادت
مصر شيئاً من فنها الفرعونى القديم .
وللفنانين المصريين معارضهم التى أقاموها
داخل البلاد وخارجها ، وأحرزوا قصب
السبق فى بعض المعارض الدولية ، وفى
العواصم الكبرى ، وبخاصة القاهرة
والإسكندرية ، متاحف ومراسم متعددة ،
وبدئاً فى إنشاء المعاهد الفنية منذ عهد مبكر :
فتحت «مدرسة الفنون الجميلة» فى القاهرة
أبوابها عام ١٩٠٨ ، وتلتها معاهد أخرى ،
ولم تتخلف المرأة فى ممارسة الفنون الجميلة ،
وفى عام ١٩٤٠ أنشئ أول معهد عال
لمعلمات الفنون الجميلة . وفكر أيضاً فى إنشاء
جمعيات فنية ، وأولها «جمعية محبي
الفنون الجميلة» التى تأسست عام ١٩٢٢ .

ولا تزال تؤدى رسالتها إلى اليوم . وفى
البلاد العربية الأخرى خطوات فى سبيل الفن
التشكيلى ، بعضها بادئ ووصل بعضها
الأخر إلى درجة لا بأس بها . وفى التاريخ .
ومناظر الطبيعة الحية ، والأحداث السياسية
الكبرى غذاء مستمر لفنانى العرب شرقاً
وغرباً .

٥ - ومن الفنون العربية : الموسيقى
والغناء ، ولهما تاريخ طويل يرجع إلى
العصر الجاهلى ، يسير بسير الحضارة .
وقد ازدهرت الموسيقى العربية فى العصر
العباسى ازدهاراً كبيراً ، فأخذت
عن الفرس واليونان ما أخذت ، وأبدعت
تحت تأثير الحضارة والمدنية ما أبدعت ،
وكان لها رجالها البارزون من موسيقيين
ومغنين . ولم يقنع العرب والمسلمون فى
الموسيقى بالتطبيق والعمل ، بل أضافوا إليه
البحث والنظر ، فكتبوا فى عالم الموسيقى
وألفوا ، كانت لهم فيه آراء ونظريات .
ثم عدا الزمان على هذه النهضة الموسيقية :
وتوقف أو كادت مع توقف مظاهر
الحضارة العربية فى عصور الظلمة والانحطاط :
ويوم أن استيقظ العرب استيقظت معهم
فنونهم ، فأخذوا يحيون موسيقاهم
بالحانها وأنغامها ، بمقاماتها وضروبها ،
بموشحاتها وقصائدها . وقد رغب محمد
على فى أن يربى جنوده تربية موسيقية ،

فغنى بالموسيقى العسكرية ، معولا على المعزوفات التركية ، واستحدث فنا موسيقيا شبه تركي . بيد أن هذه المعزوفات التركية ، هي التي وجهت الأنظار من جديد نحو الموسيقى العربية ، وحظيت مصر بمجموعة من كبار الفنانين الذين حاولوا إحياء هذه الموسيقى العربية وتطويرها ، أمثال عبده الحامولي (١٩٠١) ، ومحمد عثمان (١٩٠٠) . وأسهم المسرح الغنائي بمصر في النهضة الموسيقية المعاصرة ، وعلى رأسه سلامة حجازي (١٩١٧) . وجاءت السينما والإذاعة : المسموعة والمرئية ، ففتحت أمام الموسيقى ميادين جديدة : وعاونت على تربية الشعب تربية موسيقية ، وأفسحت السبيل للمؤلفين والملحنين والمغنين . ودفعت أم كلثوم (١٩٧٥) الغناء العربي دفعة قوية كان لها صداها في الشرق والغرب . ومنذ أوائل هذا القرن أخذت البلاد العربية عامة تتعهد فنها الموسيقي ، ويحاول شمال أفريقيا جاهدا أن يحيا الموسيقى الأندلسية ، وفي المشرق العربي نغمات وأصوات عربية أصيلة . وعقدت للموسيقى مؤتمرات ، وأنشئت معاهد متخصصة ، وأرسات بعثات إلى أوروبا لاستكمال الدراسة الموسيقية . وبذلت جهود في مزج الفن العربي بالفن الأوربي ، فعرفت السمفونية ، وفرق الاستعراض . ولا يزال للموسيقى العربية طلابها وعشاقها .

٦- والعمارة من الفنون التي تأثرت بالهضة الحديثة ، وكان طبيعيا أن يتجه محمد علي في مصر نحو تركيا أو نحو أوروبا ليأخذ عنها مظاهر الحضارة وال عمران . فاستقدم المهندسين والفنيين الأوربيين لإنشاء القناطر ودور الصناعة وأحواض السفن ، وعنى خلفاؤه بتخطيط المدن وتشيد القصور على مقربة من مجرى ماء ، على نحو ما حدث في الإسكندرية وباريس . وانصب العمران في القرن التاسع عشر على القاهرة والإسكندرية بوجه خاص ، وكان حظ القاهرة أعظم . فأنشئ فيها مسجد محمد علي الشهير بالقلعة ، وقصر عابدين ، وخططت شوارع جديدة ، وبنيت دار الأوبرا التي عمرت نحو قرن والتهمها الحريق أخيرا ، وأسس « كوبري » قصر النيل . وفي الإسكندرية خطط بعض الشوارع والميادين وأنشئت قصور أهمها رأس التين والمنزة . ولم يلزم في ذلك كله طراز خاص ، فجمع بين الكلاسيكي والقوطي ، بين الفرعوني والإسلامي ، في شيء من التلفيق والتوفيق . وفي القرن العشرين امتد العمران إلى عواصم أخرى شمالا وجنوبا ، واتسعت آفاقه . وأنشئت مدرسة المهندسخانة لتخريج مهندسين مصريين ، وأوفد عدد منهم إلى أوروبا وأمريكا ، وحل المهندس المصري محل المهندس الأجنبي . وازداد اختلاط الطرز بعضها ببعض ، لاسيما وقد

وبدأت تظهر فيه أخيرا ناطحات السحاب ،
وعولت في كثير من إنشاءاتها ، وبخاصة
في المشرق ، على المهندسين المصريين ،
ولم يبق للفن الإسلامي مجال يذكر ،
اللهم إلا في بناء بعض المساجد والمعاهد
والأضرحة ، أو في ترميم بعض الآثار
القديمة ، ويرجع ذلك في الغالب إلى
زيادة تكاليفه ، وصعوبة صيانتة وتعهده.
(بتبع) .

ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

ضعفت في أوروبا نفسها روح الاستمساك
بالطراز الكلاسيكى . وأصبحت الخطوط
المستقيمة الرمز السائد ، وغزت ناطحات
السحاب القاهرة والإسكندرية ، كما
غزت في أوروبا عواصم أخرى كانت
أميل إلى المحافظة . وسارت العمارة في
الأقطار العربية سيرها في مصر . وإن
تأخر تطورها بعض الوقت ، فحاكت في
أوائل هذا القرن الطراز السائد في تركيا
ثم أخذت تتأثر بالطرز الأوروبية والأمريكية



بسم الله الرحمن الرحيم

السجع وتناوب الفواصل وما يكون من ذلك في القرآن الكريم

للكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

مقومات الشعر . وهى تلك الأوزان
— أو البحور المعروفة — التى جعلت لها عناوين
خاصة .

فالكلام المسجوع مقفى بما يشبه قافية
الشعر ، لكنه ينقصه وزنه . أما الكلام
المرسل غير المسجوع فهو خال من الوزن
والقافية جميعاً .

هذا وإن القرآن كلام عربى لا يخرج
عن نطاق تلك الأنواع ، ولا يصح أن يقال
إنه يمكن أن يجانبها جميعها .

وإذا فأى شىء من تلك الأنواع يمكن
أن يقال إنه أسلوب القرآن الكريم أو يكون
قد وقع فى أسلوبه ؟

وجواب ذلك هو أن القرآن ليس
بشعر ، ولا ينبغى أن يوصف شىء منه
بأنه من الشعر ؛ وهذه حقيقة لا شك
فيها ولا شبهة .

الكلام من حيث نظمه
إلى ثلاثة أنواع :

سجع

شعر ، وسجع . وكلام مرسل .
وإن شئت قلت : هو — من حيث
النظم — نوعان أصليان ، يندرج تحت أحدهما
قسمان فرعيان : النوع الأول
الشعر ، والنوع الثانى النثر
ويندرج تحت النثر فرعان : هما السجع
والكلام المرسل .

ويمتاز الشعر عن النثر بفرعيه بأوزانه
الخاصة ، وبحوره وتفاعيله المعروفة .

أما السجع فإنه — ينفصل عن قسميه
« النثر غير المسجوع » بالتقفية ، وهى أن
تكون الفقرة من الكلام منتهية بمقطع تنهى
به فقرة بأخرى أو عدة فقرات .

والكلام المسجوع أى المقفى لا يدخل
بهذه التقفية فى نطاق الشعر ، لأنه تعوزه

لكن هل يمكن أن يحكم بأنه محال أيضاً من التقفية ، وأنه ليس فيه شيء من النثر المسجوع ؟ وإذا كان الأمر كذلك فماذا يقال في آيات كثيرة جداً من سور كثيرة أيضاً من القصار وغير القصار قد ختمت بنواصل متناسبة لا تختلف في شيء عن تقفية السجع ؟

إنه إذا كان من الحقائق التي لا شك فيها ولا شبهة أن القرآن ليس شعراً وليس فيه ما قصد وصله بشيء من موازين الشعر فإن من الحقائق التي لا شك فيها ولا شبهة أيضاً أن كثيراً من السور القرآنية قد بنيت آياتها كلها أو أغلبها على تناسب الفواصل . وإذا فالقرآن في أسلوبه العام — فيما عدا تلك السور والآيات ذات الفواصل المتناسبة — هو من الكلام المرسل .

هذا ، والفواصل في القرآن قد تكون من نوع واحد من أنواع مختلفة :

١- فسورة الضحى : قوله تعالى : (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى والآخره خير لك من الأولى) قد بنيت في أغلب آياتها على فاصلة الألف . وهى من قصار السور .

٢- وكذلك سورة « طه » — وهى من السور المتوسطة بين الطوال والقصار — قد جاءت آياتها أغلبها على فاصلة الألف : (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ؛ إلا لمكبرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض

والسموات العلى ؛ الرحمن على العرش استوى ؛ له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) .

ومن السورة نفسها قوله تعالى : (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى . قال فن ربكما يامرسى . قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) .

وقد تخرج مجموعة من الآيات عن الفاصلة الغالبة إلى فاصلة أخرى ، كما جاء في هذه السورة أيضاً في قوله تعالى :

(قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمري : واحلل عقدة من لسانى : حتى ينطقوا قولى : واجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى . اشدد به أزرى ، وأشركه فى أمري) .

وعقب هذه الآيات نجد مجموعة ثالثة من ثلاث آيات ختمت بفاصلة غير ما ختمت به المجموعتان الأوليان ، وذلك قوله تعالى : (كى نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً) . ثم تعود السورة إلى الفاصلة الغالبة فاصلة الألف .

٣- وكذلك سور النجم . أغلب آياتها على فاصلة الألف : (والنجم إذا هوى . ناضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو ميرة فاستوى

وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان
قاب قوسين أو أدنى) .

وهكذا إلى قرب ختام السورة فتخرج
الآيات إلى فاصلة في مجموعة من آيتين ؛
وذلك في قوله تعالى : (أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ .
ليس لها من دون الله كاشفة) ؛ ثم إلى
فاصلة ثالثة في مجموعة ثالثة في قوله
تعالى : (أَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ،
وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ؛ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)

٤ - وكذلك الحال في سورة مريم
والفرقان ، والصفات ، والملائكة ، والقلم ،
والحاقة ، والتكوير ، والانشقاق وكثير
غيرها .

د - بل إن في القرآن سوراً قد بنيت
آياتها جميعها من أولها إلى آخرها على نوح
واحد من الفواصل لم تخرج عنه إلى غيره ؛
(أ) وذلك مثل سور « الشمس » :
(والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها
والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها .
والسماء وما بناها . والأرض وماطحاها)
وهكذا إلى آخر السورة .

(ب) ومثل سورة « الليل » : (والليل
إذا يغشى . والنهار إذا تجلّى . وما خلق
الذكر والأنثى . إنَّ سعيكم لَشَتَّى) .
(ج) وكما في سورة القمر التي هي أكبر
من هاتين السورتين :

(اقتربت الساعة وانشقَّ القمر . وإن
يروا آية يُعْرِضُوا وَيَقْرُلُوا بِحُرِّ مَسْتَمِر .

وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكلُّ أمر مستقر) .
وهكذا قد بنيت السورة كلها على الراء .

إنه لاشك أن ذلك الذي قدمنا له
تلك الأمثلة ليس من نوع الشعر المعهود ؛
ثم لاشك أيضاً أنه ليس من قسم النثر
المرسل الذي لم يُبَيَّنْ على تقفية وتناسب
فواصل ؛ فلم يبق إلا القسم الآخر الذي
هو النثر المسجوع .

فإذا لم تكن تلك الآيات والصور من
طبيعة السجع فمن أى طبيعة تكون ؟

هنا يقول بعض الباحثين - مستنداً إلى
ما هو مقرر من انحصار الكلام في تلك
الأنواع الثلاثة - يقول ولا يرى في ذلك
شيئاً من الحرج - إن ذلك الذي ذكر
من الآيات والصور المعتمدة على تناسب
الفواصل ، هو السجع بعينه في معناه
وحقيقته .

لكن فريقاً آخر من الباحثين لا يجيز أن
يقال إن القرآن فيه سجع . ولماذا ؟
هل يرون أن حقيقة السجع وماهيته
تأبى أن تنطبق على الفواصل المناسبة في
في مثل ما قدمناه من الصور والآيات ؟
وماهى هذه الحقيقة التي لاتنطبق على
تلك الفواصل ؟

إن هؤلاء المانعين الذين لا يقولون بالسجع
في القرآن لم يمينوا بياناً شافياً أصل ذلك
المنع . ولم يعينوا النقطة التي ينفصل

عندهما السجع عن تناسب الفواصل القرآنية حتى يتضح السبيل ويزول الإبهام ويستقيم الأمر في إطلاق الألفاظ على معانيها الخاصة .

إننا إذا راجعنا الكلام المسجوع الذى كان ينشئه الخطباء والكتاب في الجاهلية أو في صدر الإسلام أو فيما بعد ذلك . ونبحثنا فيه من حيث فقراته : مقاديرها وفواصلها ، وتقارب هذه الفواصل أو تباعدتها واتحادها في الكلام الواحد أو اختلافها فإننا نستطيع أن نستخلص الأمور الآتية :

١ - إنه لم يكن حتماً أن تقوم الخطبة كلها أو الرسالة جميعها على فاصلة واحدة ، بل كان يخرج الخطيب أو الكاتب بعد عدة فقرات بينها على فاصلة معينة - إلى فاصلة أخرى - يبنى عليها مجموعة أخرى من الفقرات ؛ ثم قد يخرج أيضاً من الفاصلة الثانية إلى الثالثة ورابعة ، وهكذا على حسب ما يسمح به المقام .

٢ - لا يلزم في المجموعة الثانية أو ما بعدها أن تكون عدة فقراتها مساوية لفقرات المجموعة الأولى ، فإنها قد تزيد عليها ، وقد تنقص عنها .

٣ - إن فواصل كل مجموعة من الفقرات تكون - في أغلب الأمر - متقاربة ، إذا كانوا يميزون إلى أن تكون الفقرات قصيرة ؛ ولكن ذلك ليس معناه أن تضبط كلمات كل فقرة أو خروفيها بعدد معين تتساوى

فيه تلك الفقرات ؛ بل يكفي ألا يكون بينها في ذلك تفاوت بين .

٤ - إن بعض من كانوا يعنون من أولئك الخطباء والكتاب بأمر السجع ويلتزمون به في بعض خطبهم وكتبهم كثيراً ما كانوا ينظرون إلى السجع في المقام الأول ، أما المعنى فقد كان نظرهم إليه في الميزة الثانية .

وقد يضطربهم الشغف بالسجع والتزامه إلى تكلفات يصير بها معنى بعض الفقرات غامضاً مبهماً أو قليل الحدودى .

وهذا في أغلب الأمر هو شأن الكلام الذى تكون العناية فيه بالمعنى وراء العناية باللفظ على حين أن الكلام الجيد هو الذى يكون فيه اللفظ تابعاً للمعنى .

٥ - إن السجع قد يطلق إطلاقاً خاصاً بدلالة المقام ومعونة القرائن على ما يكون من الكهان الذين يترجمون فيه بالغيب ويحدثون به عن المستقبل ، يدعون به معرفة أسرار الأقدار ، ويتخذون في ذلك وسائل من الخداع والتويه بما يودعون أسجاعهم من الإبهام والغموض ، واستخدام الألفاظ التى تحتل أكثر من معنى .

* * *

هذه الأمور الخمسة التى قدمناها منها الثلاثة الأولى لا يميز بين منها فارق ذو شأن يمكن أن يفصل بين السجع وفواصل آيات القرآن الكريم ؛ فإن من الآيات القرآنية ذات الفواصل المناسبة ما تكون فواصله - كما علمنا -

مقاربة بسبب قصر تلك الآيات ، وذلك
كما قلنا في السجع .

ومنها ما تكون مجموعة منها على فاصلة،
ثم تخرج مجموعة بعدها إلى فاصلة أخرى .
وقد تخرج مجموعة ثالثة إلى فاصلة ثالثة كما
هو الحال في الكلام المسجوع .

أما الأمران الأخيران فهما اللذان يصح
الفصل بهما بين السجع وفواصل آيات القرآن؛
فإن هذه الفواصل مبرأة مما هو سبب ذم
السجع على ما أشير إليه في هذين الأمرين .

لكن قد يقال : إن المحذورات التي من
أجلها كان ذم السجع ليست ذاتية له
ولا ناشئة من طبيعته ، وإنما هي أمور
عارضية يمكن أن ينفصل عنها وينجرد منها
فلا يكون مذموماً .

فتكاف السجع - وهو الذي أشير
إليه في الأمر الرابع من الأمور الخمسة -
عيب مذموم ؛ والعناية فيه بأمر اللفظ أكثر
من الاهتمام بالمعنى حتى تجمّع بعض العبارات
غامضة مبهمّة أو قليلة الحدود عيب آخر
أشد من الأول وأقبح منه .

وكذلك ما أشير إليه في الأمر الخامس
من التكهن بالسجع والرجم فيه بالغيب
وهو عيب من أشد العيب وأولاه بالذم .
لكن ذلك كله ليس بمستحيل أن يجرّد منه
الكلام ، فإنه - كما قلنا - من الصفات
العارضة وليس من اللاتيات الملازمة .

فالسجع المتكلف وسجع الكهانة ليس شيء .
منهما مذموماً من حيث إنه سجع وتنسيق
فواصل ، وإنما هو مذموم من حيث إنه تكلف
أو إسراف في التكلف ، أو من حيث
إنه تكهن بالتحدث عن المستقبل والرجم
فيه بالغيب . فهو كذب ودجل وعش
ونخاع . وذلك شيء ليس من لوازم تنسيق
الكلام ومراعاة التناسب بين فواصله ، وإذا
كان الأمر كذلك فما الذي يمنع أن يقال
إن القرآن فيه سجع ؟

قد يقال هذا ، وهو كلام له في
ذاته وجهة نظر قوية .

ويمكن الجواب عند بأن ما قدمناه
من البيان قد يتضح به سبيل القول ويتجلى
وجه الحكم فيما ينبغي أن يقال في شأن
السجع من جهة وقوعه أو عدم وقوعه
في القرآن الكريم .

وذلك أنه قد نخلص من ذلك البيان
فما أشير إليه في الأمرين : « الرابع والخامس »
أن ذم ذلك السجع والنعي على ما فيه من
عيب ليس لأنه مطلق سجع ، وإنما هو
لأنه سجع متكلف أو سجع كهانة .

فإذا كان الشأن الغالب فيما أثر من سجع
بعض الخطباء والكتاب الشغوفين به
والمفرطين فيه أنه مفتعل متكلف ، قد
عنّوا فيه بأمر اللفظ أكثر مما عنّوا بأمر
المعنى حتى جاءت بعض العبارات فيه
صوراً بغير قلب ، وقشوراً بغير لب

فإنه يكون حينئذ معيباً مذهباً فإذا نظر إلى هذه الحالة أمكن أن يقال إنه ينبغي ألا يطلق اسم السجع على ما يكون في القرآن الكريم من الفواصل المتناسبة تجنباً للفظ الذي ينبئ عن العيب والذم .

وكذلك ينبغي أن يتجنب إطلاق لفظ السجع على تلك الفواصل القرآنية من أجل أن الكلمة كثيراً ما تطلق على سجع الكهانة الذي لا يخالو من الخداع والتمويه والكذب .

هذا هو الذي نراه مانعاً من إطلاق لفظ السجع على فواصل القرآن الكريم . وليس المانع هو ما تدل عليه كلمة السجع من أنه قول متناسب الفواصل ، فإن تناسب الفواصل في القرآن حقيقة واقعة ، وردت وتكررت في مواطن كثيرة من سوره وآياته .

رأى الباقلاني في المسألة

القاضي أبو بكر الباقلاني ينكر ورود السجع في القرآن الكريم ، ويعنى على من يقول إن القرآن فيه سجع . يشتد في الإنكار حتى يصل به ذلك إلى درجة أنه لا يرى في تناسب الفواصل الذي استفاض أمره في السور والآيات القرآنية - أنه مقصود أن يكون تناسب فواصل ؛ فهو يقول إن المقصود بذلك إنما هو إظهار وجه من وجوه الإعجاز القرآني من حيث مجيء القصة الواحدة في أساليب مختلفة ، يقدم في

بعضها من مفردات الجملة ما يؤخر في بعض آخر ، مع المحافظة على المعنى وعلى قوة النظم وروعة الأسلوب ، وذلك دليل الاقتدار وآية البراعة والبلاغة .

هكذا يقول الباقلاني في «إعجاز القرآن» وهكذا ينقله السيوطي مبسوطاً في كتاب «الإتقان» ؛ وهذا يرد على أنصار القول بالسجع في القرآن الكريم ، إذ قالوا: إن الدليل على وقوع السجع في القرآن ما جاءت به الآيات في الحديث عن موسى وهارون فإنه قد مضى الاتفاق على أن أن موسى أفضل من أخيه هارون ، فإذا اقرنا في الذكر كان الأصل أن يقدم موسى لكن من أجل مراعاة السجع في بعض الآيات قدم عليه هارون ؛ وذلك في قوله تعالى : (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (٧٠ طه) فإن الفواصل في هذه الصورة مبنية على الألف .

ثم لما كانت الفواصل في آيات أخرى قد بنيت على الواو والنون أو الياء والنون قدم فيها اسم موسى على هارون . كما في قوله تعالى : (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ، قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) (٤٧ - ٤٩ الشعراء) :

هذا مقاله أنصار السجع في القرآن ، وهو كلام قوى ووجيه .

ونحن نضيف إليه ما يزيده قوة ووجاهة ،
أنه ورد في القرآن عشرات المرات ذكر
الأرض مقرونة بالسماء مفردة ومجموعة ،
وفي هذه المرات جميعها نجد أن
السماء أو السموات مقدمة على الأرض
إلا في مواضع قليلة جداً قد قدم فيها ذكر
الأرض ويتجلى في موضعين وذلك من
أجل تناسب الفواصل .

فن ذلك في قوله تعالى : (تنزيلاً ممن خلق
الأرض والسموات العلى ؛ الرحمن
على العرش استوى) (٤ ، ٥
سورة طه) . فإن فواصل السورة على الألف ؛
ومراعاة للتناسب بين هذه الفواصل قدمت
الأرض على السموات التي وصفت بوصف
« العلى » المختوم بالألف .

ولذلك لما انتهى هذا الاقتضاء وجاء
الجمع مسرة أخسرى بين الأرض
والسماء في الآية التالية للآيات السابقة
مباشرة عاد الاقتران إلى أصله فقدمت
السموات على الأرض : (له ما في
السموات وما في الأرض وما بينهما وما
تحت الثرى) .

ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه : (ربنا إنك
تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من
شئ في الأرض ولا في السماء ، الحمد لله
الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق
إن ربى لسميع الدعاء) .
(٣٨ ، ٣٩ إبراهيم) .

فقد قدمت الأرض على السماء في هذه
الآية لأنه أريد تناسب الفواصل فيها مع
الفواصل الأخرى المبنية على الهمزة بعد
مدّة الألف .

ويجب الباقلانى على هذا بقوله : « وأما
ما ذكرناه من تقديم موسى على هارون
في موضع وتأخير هارون عنه في موضع
آخر لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام
فليس بصحيح ، لأن الفائدة عندنا غير
ما ذكرناه ، وهى أن إعادة القصة الواحدة
بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً من الأمر
الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ،
وتبين فيه البلاغة ؛ ولهذا أعيد كثير من
القصص في مواضع مختلفة على ترتيبات
متفاوتة ، تنبيهاً بذلك على عجزهم عن
الإتيان بمثله مبتدأ به ومتكرراً » . ثم قال :
« فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض
الكلمات على بعض وتأخيرها إظهار الإعجاز
على الطريقتين جميعاً دون السجع الذى
توهّموه » .

هذا هو ما أجاب به الباقلانى على ذلك
الدليل القوى الذى استدلل به أنصار السجع
في القرآن .

وغريب جداً من الباقلانى أن ينفى أن
يكون مقصوداً ذلك السجع أو تناسب
الفواصل في الآيات التي تقدم فيها اسم موسى
على هارون مرة وأخر عنه مرة أخرى
وأن يجعل ذلك التقديم والتأخير لحض

إظهار الإعجاز بتغيير النظم والأسلوب
في الحديث عن القصة الواحدة مع المحافظة
على المعنى . . .

ولماذا تكون إرادة ذلك المعنى الذي يرجع
إلى إظهار البلاغة مانعة من أن يكون
في تلك الآيات أيضاً سجع أو تناسب
فواصل مقصود ؟

إنه لاشك في براعة القرآن وقوته في
تنويع الحديث بأساليب مختلفة عن الغرض
الواحد والمعنى الواحد.

ولكن لاشك أيضاً في أن الآية التي قدم
فيها اسم هارون على موسى قد قصد فيها
القرآن أن تكون على فاصلة الألف تحقيقاً
للتناسب بينها وبين بقية الآيات ، وأنه في
الآية الأخرى التي قدم فيها موسى على هارون
قد قصد هذا التقديم مراعاة للتناسب مع
الآيات التي بنيت على فاصلة الواو والنون .
مع كون ذلك هو الأصل أيضاً.

هذا شيء لا ينبغي إنكاره ، وإذا كان
الأمر كذلك فليس هناك ما يمنع القول
بأن تلك الآيات فيها سجع أو فيها تناسب
فواصل مع إفادة ذلك المعنى الذي هو إظهار
البلاغة ؛ وذلك على خلاف ما ذهب إليه
الباقلاني من أفراد هذا المعنى وجعله هو
المقصود وحده بالتقديم والتأخير في تلك
الآيات .

لا ، بل نحن نستطيع أن نقول : إن ذلك
التقديم والتأخير قد قصد به السجع وتناسب
الفواصل وحده . أما إظهار البلاغة والبراعة
بتنويع الحديث عن المعنى الواحد فهو فيه
وراء ذلك ؛ فإن هذا التنويع كان يمكن أن
يكون بالتقديم والتأخير في اسمي هارون
وموسى على غير الوجه الذي وردت به الآيات ؛
وذلك بأن يقدم هارون على موسى في آية
«الشعراء» حيث فواصل الآيات مختومة
بالواو والنون ، ويقدم موسى على هارون
في آية «طه» حيث الفواصل مختومة بالألف .

فالتنويع الذي يقول «الباقلاني» إنه مظهر
البلاغة كان يتحقق بهذا الوجه من التقديم
والتأخير ، ولكن كان يفوت به حسن
المقاطع وجمال الأسلوب . فالتقديم والتأخير
الذي وردت عليه الآيات القرآنية هو الذي
يحقق ذلك الحسن ، ويمكن للأسلوب جماله
وروعته .

وإذاً يكون السجع وحده أو تناسب
الفواصل وحده - على اختلاف التعبير -
هو المقصود بذلك التقديم والتأخير في آيات
هارون وموسى ، وكذا في آيات الأرض
والسماء .

والذلك نجد موقفاً غريباً ذلك الذي يقنه
اتماضى الباقلاني في مسألة السجع أو تناسب
الفواصل في القرآن الكريم .

فبماذا يفسر موقفه هذا الذي ينكر به إنكاراً شديداً أن يكون في القرآن سجع أو تناسب فواصل؟

نظن - وليس كل الظن من الإثم - أن سبب ذلك هو الارتباط المذهبي ، وشدة التعاليق والاستمساك بما يحكى في المسألة أنه مذموب الشيخ أبي الحسن الأشعري :

نعم فقد نقل عن الشيخ - ورواه الباقلاني - كتابه « إمعان القرآن » أنه يقول بنفى السجع في القرآن الكريم . وأنه صرح بذلك في عدة مواضع من كتبه . ومن هنا أريد لهذه المسألة أن تحتل مكاناً بين المسائل التي اشتد فيها الخلاف بين الأشاعرة وغيرهم من مسائل العقائد وفلسفة الإلهيات :

والمطالع لكلمات هؤلاء الأشاعرة التي ينفون بها وقوع السجع في القرآن الكريم إذا غفل قليلاً عن أن هذا السجع هو موضوع الحديث فإنه لا يرى إلا أنه في جو مسألة أخرى غير مسألة السجع : هي مسألة «خلق القرآن» وما جرى فيها من اختلاف القديم - الذي كان شؤماً على فريق من الناس وفتنة لآخرين .

وليس في هذا الذي نقوله شيء من المبالغة ، فهذا بعض ما يقولونه في تلك الكلمات : «هل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟» بخلاف ، والجمهور على المنع ، لأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن عن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه

من مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك . ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها . هذه كلماتهم بنصها . ليست في حاجة إلى شرح أو تعليق . غير أننا نقول : إنها لم تسعد بالانتصار أو الغلبة حتى في أصل موطنها ، وهو موضوع خلق القرآن .

ثم إننا لاندري لماذا تكون مسألة السجع في القرآن محل خلاف بين العلماء ؟

شيء من إحكام النظر إلى الأمور ذاتها وتفهمها على حقيقتها . مع الإنصاف في القول والاعتدال فيه . كفيل بأن يكشف كل شبهة ، ويزيح كل لبس ، ولا يسمح في مثل هذه المسألة أن يقع فيها أدنى خلاف .

إن السجع إذا كان مقصوداً لذاته ، وكان متكلفاً عسراً ، يأتي فيه النظر إلى المعنى وراء الاهتمام باللفظ ، فإنه يكون سجعاً مذموماً مكروهاً ؛ ومحال أن يقع مثله في كلام الله العليم الحكيم ؛ وحينئذ لا يسع أحداً أن يجزئ لقول به في الكتاب العزيز :

أما إذا كان سهلاً ليناً مطاوعاً . يقصد إليه مع تمام المعنى وإتقافه وإحكام روابطه واستكمال مقتضيات البلاغة فيه فإنه يكون سجعاً رائعاً وحسناً جميلاً ، لا ينبغي لأحد أن يجادل في حسنه وروعته ؛ وهذا هو سجع القرآن .

فسجع القرآن وتناسب فواصله مبرأ من التكلف والعسر . ومبرأ من أن يكون مقصوداً لذاته بحيث يكون الاهتمام به أعظم من الاهتمام بالمعنى ؛ ولذلك لا يسار إليه في القرآن من طريق لإرادة معنى بعيد الاحتمال . أو معنى يكون غيره أقرب منه وأولى بالمقام ؛ ومحال أن تستخدم في سبيله ألفاظ جوفاء أو ألفاظ ملتوية لا تستقيم في دلالتها على المعنى المراد .

وإذا كان الأمر كذلك فمن الذى ينكر أن يكون مثل هذا السجع مما يقع في الكتاب العزيز ؟

هذا - والقرآن الكريم قد يحدث عن المغيبات ويخبر بالمكنونات التى لا سبيل أن يصل إلى علمها أحد من الناس ، ويكون هذا في آيات وفقرات مسجوعة وغير مسجوعة ، ثم إنه في حديثه وجميع إخباراته لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق . وهذا ثم يجب اعتقاده والإذعان له والتسليم به ، ولا يكون مؤمناً من يشك فيه أو في شيء منه .

أما سجع الكهانة فهو السجع المذموم لما يقوم عليه من الغش والكذب والخداع . وهو رجم بالغيب الذى اختص الله به ولا يطلع عليه أحد إلا من ارتضى من رسله .

وهذا هو السجع الذى ذمّه الرسول صلى الله عليه وسلم وعاب على من تشبه بأهله . وقال لمن سجع له : «أسجعاً كسجع الكهان» ١٩

أو «أسجاعاً كسجاعة الجاهلية» ٢٠ . أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك على من تارض حكم الإسلام في وجوب المديّة عن عاتلة امرأة اعتدت على أخرى كانت حاملاً نألت بجنيناً ميتاً ، إذ قال ذاك الساجع : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ناستل . أليس دمه قد يطل ؟

فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يذم السجع بإطلاق ، وإنما ذم منه ما يكون على طريقة الكهان وأهل الجاهلية ، فإنه صلى الله عليه وسلم قد أتى في بعض أقواله بالسجع القوي مستداح إذ قال : «أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام» .

أبعد هذا يصح أن يكون في مسألة وقوع السجع في القرآن خلاف بن أشاعة وشعر أشاعة ؟ !

إنه إذا كان الدين ينسب إليهم إنكار السجع في القرآن قصارى ما عندهم أنهم يتخرجون من إطلاق لفظ السجع على ما يكون في القرآن من تناسب فواصل . من أجل أن الكلمة تستعمل أحياناً كثيرة أو قليلة في السجع المستكره المتكلف ، أو سجع الكهنة الكذابين المخادعين ، فقد هاب الخطب ولان الصعب ، وأصبحت مسألة السجع في القرآن لا يعدو الخلاف فيها أن يكون خلافاً لفظياً أى قائماً على اختيار لفظ بدل لفظ آخر . وكفى الله المؤمنين القتال .

تناسب الفواصل في القرآن الكريم وبيان أنواعه

تناسب الفواصل في القرآن الكريم يأتي على وجوه كثيرة . أهمها مايلي :

١ - يكون بإحدى هيتين للجملة الواحدة ، أى بالتقديم والتأخير في بعض كلماتها من غير أن يزداد عليها شيء ، أو ينقص منها شيء ؛ فيتحقق التناسب المطلوب بإحدى الصورتين وترجح بذلك على الصور الأخرى ، وذلك كما في قوله تعالى :

(قال فن ربكما ياموسى) (٤٩ طه)

فإنه يمكن - لأداء أصل المعنى - أن يقال : « قال ياموسى فن ربكما » ، كما قيل في آية أخرى : (قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس) (١٩ القصص) .

لكنه اختيار النظم الذى جاءت عليه الآية - مع تساوى النظمين في أداء أصل المعنى - لأنه هو الذى يكون به تناسب الفواصل المطلوب في ذلك المقام ، ومن ذلك قوله تعالى : (ونفس وماسوها . فألهما فجورها وتقواها) (٧ ، ٨ الشمس) فإن قوله سبحانه : (فألهما فجورها وتقواها) يمكن أن تؤدى معناه بأن يقال : « فألهما تقواها وفجورها » . لكن قدرجح النظم الذى جاءت عليه الآية لأنه هو الذى يتحقق به المقصود من التناسب . وفي ذلك يقول الجلال : « وأخير التقوى رعاية

لرؤوس الآي » ، ومن هذا القبيل أيضا قوله تعالى : (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا » (٥١ مريم) وقوله عز وجل (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولا نبيا) (٥٤ مريم) وذلك أن الرسالة أخص من النبوة ، والمعهود في الكلام المرسل الذى يجمع فيه بين عام وخاص أن يقدم الأول على الثانى . لكنه قد قدم في هاتين الآيتين الخاص على العام مراعاة لتناسب الفواصل مع اتحاد المعنى ؛ فإن السورة بنيت على فاصلة الياء المشددة التى بعدها ألف : سويّا مليّا حفيّا عليّا نجيا ، وهكذا :

٢ - ويكون بالاختصار في الجملة بحذف جزء معلوم حق العلم من المقام ، كما في قوله تعالى :

(قال : ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هدى) (٥٠ طه) ، فإنه إذا كان الأصل عدم الحذف وأن يقال : « قال ربنا الذى أعطى كل شى خلقه ثم هداه » فإن المعنى لا يختلف بما جاءت عليه الآية ، ثم يرجح نظمها بأنه هو الذى يتحقق به التناسب المطلوب .

ومثل ذلك قوله تعالى : (والضحى ، والليل إذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى) وقوله سبحانه : (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) ، فإن الأصل قيل الحذف هكذا : « ماودّعك ربك وما قلاك ،

« ألم يجدك يتيماً فآواك ، ووجدك ضالاً فهداك ، ووجدك عائلاً فأغناك » :

لكنه حذف المفعول تحقيقاً لتناسب الاقوال المطلوب مع تساوى الطريقتين : « الذكر والحذف » فى الدلالة على المعنى الاصلى المقصود .

٣ - ويكون التناسب بإيثار إحدى صيغتين للفظ مع تساوى الصيغتين فى الدلالة على المعنى المراد ، كما فى قوله تعالى (مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير) (٨ القمر) .

فإنه كان يمكن أن يقال « هذا يوم عسير » بدل « عسر » ، وهو بمعناه من غير فرق ؛ وقد جاء كذلك فى آيات أخرى مثل قوله تعالى : (فذلك يومئذ يوم عسير - على الكافرين غير يسير) . (٩ ، ١٠ المدثر) إذ كان يتحقق التناسب هناك بين الفواصل بالصيغة الثانية : « عسير » بقوله سبحانه : (وكان يوماً على الكافرين عسير) . (٢٦ الفرقان) ، لأن ذلك يتطلبه اتناسب المقصود فى هذه السورة أيضاً .

ومن ذلك قوله تعالى : (وتبتل إليه تبتيلاً) (٨ المزمل) ، فان « تبتيلاً » وضعت موضع تبتيلاً وقد أوثرت عليها ؛ لأن بها يتحقق تناسب الفواصل .

وفى هذا يقول الإمام الزمخشري فى الكشاف : « وتبتل إليه » وانقطع إليه . ثم قال : فإن قلت : « كيف قيل

« تبتيلاً » مكان « تبتيلاً » ؟ قلت : لأن معنى « تبتيلاً » بتل نفساً ، فجئ به على معناه مراعاة للفواصل » .

هذا وقد قال بعض العلماء : إن من ذلك قوله تعالى : (كذبت قباهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر) (٩ القمر) . قالوا إنه قد غيّر فيه الصوغ لتحقيق التناسب بين الفواصل ، فإن المعنى - على ما قال أولئك العلماء - أن قوم نوح كذبوه وقالوا إنه مجنون وازدجروه أى أهانوه وشتموه وتوعدوه . ولكن قيل فى الآية : « وازدجر » بالبناء للمفعول لأنه هو الذى يكون به التناسب مع دلالة المقام على الفاعل المطوى .

هكذا قالوا ، ولكن هذا ليس هو المعنى الذى ينبغى أن تحمل عليه الآية : فإن الأرجح أن الازدجار ليس من فعل قوم نوح الذين كذبوه وكفروا به ، وإنما هو مما تفعله الجن بالمجنون . فإن قوم نوح رموه بالجنون الشديد وقالوا فى ذلك : إنه مجنون وازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بعقله وطارت بلبه .

ولاشك أن هذا المعنى أرجح فى ذاته مما قاله أولئك العلماء ، فإن تخبط المجنون واضطراب نفسه ، واختلال عقله هو مما عهده أن يسند إلى الشيطان ويضاف إلى فعله ، كما قال تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) (٢٧٥ البقرة)

وفوق أنه المعنى الراجح من حيث ذاته هو الذى تستقيم عليه بوضوح صيغة المعنى للمفعول « ازدجر » ثم يتحقق بها معه تناسب الفواصل من غير حاجة إلى أن يقال : إن الصيغة قد حوِّلت من المعلوم إلى المجهول لتحقيق ذلك التناسب ؛ فإن الصيغة قد وقعت موقعها واشتهرت في الدلالة على معناه مبنية للمجهول ، وإنه لمعهود أن يقال : « رجل ممسوس ، ورجل مصروع ومخبول ، على معنى أنه مسَّته الشياطين وصرعه وخبلته ، فإذا قيل : « مجنون وازدجر » كان معناه ازدجرته الشياطين ، ولا يحتاج في ذلك إلى التصريح بالفاعل ، لأن متعين معلوم .

وهذا يعلم أن القرآن لا ينظر إلى تحسين اللفظ قبلما ينظر إلى إتقان المعنى .

ولا يصح أن يفهم أنه قد يسير إلى تحقيق تناسب الفواصل من طريق معنى بعيد أو معنى غيره أقرب منه .

كذلك لا يصح أن يفهم أن القرآن قد يعدل - في سبيل تحقيق التناسب بين الفواصل - عن اللفظ الصريح المعهود في الدلالة على معناه إلى لفظ غير صريح أو غير معهود كذلك ، فإن ذلك يكون تغليباً لرعاية الألفاظ على رعاية المعاني على حين أن رعاية المعاني هي التي يجب - كما قلنا - أن يكون لها في أسلوب القرآن الكريم المقام الأول .

قد يقال : إن هذا التقرير يعترضه ما جاءت عليه بعض الآيات القرآنية من مثل قوله تعالى : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) (١٣ القمر) فإن المراد به - مر غير شك - الإخبار بأن الله تعالى قد امتن على نوح عليه السلام فحمّله على « سفينة » نجّاه بها من الغرق ، وأنقذه من ذلك الطوفان .

ولاشك أيضاً أن لفظ « سفينة » وهو اللفظ الصريح والمعهود القريب في الدلالة على المعنى المراد ، وهو اللفظ الموضوع لهذا المعنى في اللغة . وقد استعمله القرآن في هذا المعنى في قصة نوح ذاتها في قوله : (فأنجيناه وأصحاب السفينة) (١٥ العنكبوت) ، وكذلك لفظ « الفلك » لفظ صريح وموضوع في اللغة لهذا المعنى ومعهود استعماله فيه . وقد جاء في القرآن في عدة مواضع في قصة نوح أيضاً مستعملاً في ذلك المعنى قال تعالى

(واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني الذين ظلموا إنهم مغرقون) . (٣٧ هود) « ويصنع الفلك وكلما مر عليه مائاً من نومه سخره منه . » (٣٨ هود) .

(فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا) . (٢٧ المؤمنون) .

(فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك نقل الحمد لله الذي نجّانا من القوم الظالمين ؛) (٢٨ المؤمنون) .

ثم إن كلا اللفظين : «سفينته وفلك» كلمة واحدة، هي بالضرورة أخصر وأوضح دلالة من الوصف بعبارة مركبة من ألفاظ ثلاثة : « ذات ألواح ودر » .

فالعُدول عن اللفظ الواحد المعهود والمعنى للمعنى بوضع اللغة إلى الوصف ذى الألفاظ الثلاثة قد يظن أن فيه تغليبا . للاعتبارات اللفظية على الاعتبارات المعنوية ، وأنه قصداً بذلك مجرد تحقيق التناسب بين الفواصل .

« والحواب » أنه لا يصح أن يظن في القرآن الكريم أنه قد يغلب الناحية اللفظية على الناحية المعنوية وأنه اختار التعبير عن المعنى المراد بوصف ذى ألفاظ ثلاثة بدلا من اللفظ الواحد الصريح ، وأنه فعل ذلك لتحقيق التناسب اللفظي بين الفواصل . لا يصح أن يظن ذلك ؛ فإن اختياره التعبير بالوصف، ذى الألفاظ الثلاثة قد أُريد به الإشارة إلى ناحية معنوية جديدة أن يلتفت إليها وأن تقدر قدرها في الخلد من امتنان الله تعالى على نوح عليه السلام ، وتفضله عليه بهدايته إلى صناعة الفلك ؛ فمنعه تحت عين الله وعنايته . وكان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لنجاته ونجاة من آمن به من قومه . من ذلك الطوفان العظيم ، الذي عمّ وطمّ ، وقضى على جميع القوم .

فقوله سبحانه : (وحملناه على ذات ألواح ودسر) . ليس اختياره ليحقق به تناسب الفواصل ، وإنما هو لذلك الأمر المعنوي ذى الشأن الكبير : وذلك هو بيان أن نجاة رسول الله نوح عليه السلام ومن معه من طغيان الطوفان كانت بقوة الله وقدرته وعظيم عنايته : إذ حملناه على « ذات ألواح ودر » ، ألواح خشبية « مربوطة » أي بخيوط من ليف أو نحوه أو موصول بعضها ببعض مسامير ، وسواء أكان هذا أم ذاك فتلك الألواح الخشبية المربوطة بخيوط أو المسمرة مسامير كانت لذلك في غاية الضعف وما كانت ذاتها لتقوى على قطع الأمواج الهائجة ، والتغلب على أهوالها وشدائدتها العاتية القاسية ، لكن عناية الله هي التي خلقت من ذلك الضعف قوة ، وجعلت تلك لأداة الهيئة الضعيفة تنفذ في تلك الأمواج وتتغلب على تلك الأهوال ، وتصل بنوح عليه السلام والمؤمنين إلى شاطئ الأمان .

وهذا المعنى لا يظهره التعبير بلفظ « فلك » ثم « سفينة » وإنما يجليه تمام التجلية ما جاءت به الآية : (وحملناه على ذات ألواح ودر) .

وقد أشار الفخر الرازي إلى ذلك فقال : قوله سبحانه : (وحملناه على ذات ألواح ودر تجري بأعيننا) ما نصّه : « أي حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه إشارة

إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة
بدهس، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم
يقع ، فهو بفضل الله » اه .

ومن هذا يتبين أن التعبير في هذه الآية
عن السفينة والفلك بالوصف ذي
الآلفاظ الثلاثة قد اقتضاه النظر إلى هذا
المعنى، وليس لمجرد مراعاة التناسب بين
الفواصل . ثم يأتي التناسب بين الفواصل
مراداً حتماً؛ ومقصوداً قطعاً ، ولكن في
المرتبة الثانية بعد مراعاة ما يقتضيه المعنى
كما بينا .

آية ثانية

آية ثانية قد يعترض بها على ما قررناه
من أن القرآن لا ينظر إلى اللفظ قبل أن ينظر
إلى المعنى ، وأنه لا يستعمل لفظاً بعيد
الدلالة على المعنى المقصود ويرجحه
على اللفظ قريب الدلالة على ذلك المعنى
من أجل الوصول إلى تحقيق التناسب بين
الفواصل .

هذه الآية هي قوله تعالى : (فمن
شاء ذكره) (١٢ عبس)

وذلك أن الزمخشري في الكشاف
قد جعل الضمير المنصوب في
هذه الآية راجعاً إلى « تذكره » في قوله
سبحانه في الآية السابقة : (كلا إنها تذكره)
ثم أراد أن يسوغ عود الضمير المذكور
إلى ذلك المرجع المؤنث فقال : « وذكر »

الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ
ومعنى هذا أن القرآن قد عدل عن الضمير
المؤنث الذي مرجعه مؤنث إلى الضمير
المذكر بذلك الضرب من التأويل ؛ ليتحقق
تناسب الفواصل في هذه الآيات :

(فمن شاء ذكره ، في صحف مكرمة ،
مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام
بررة ، قتل الإنسان ما أكفره ، من أي
شيء خلقه) . وهكذا إلى عدة آيات أخرى
متناسبة الفواصل مع هذه الآيات .

وعلى هذا يكون القرآن قد رجح النظر
إلى اللفظ على النظر إلى المعنى ، فإنه لو كان
قد راعى المعنى ولم يرجح مراعاة اللفظ
عليه لقال : « كلا إنها تذكرة » فمن شاء
ذكرها في صحف مكرمة ، وإذا يفوت
تناسب الفواصل المطلوب .

« والجواب » : أن هذا الاعتراض لا يتم
إلا بالنبناء على رأى « الزمخشري » الذي
يجعل الضمير في الآية : (فمن شاء
ذكره) راجعاً إلى تذكرة في الآية السابقة
وهو رأى ليس بمتعين أن يؤخذ به ، بل
هناك ما هو أجود منه ، وهو ما أشار
إليه الجلال الحلي إذ يقول في تفسير الآية
(فمن شاء ذكره) : « إن المعنى حفظ
ذلك فاتعظ به » ، فهو يجعل الضمير عائداً
على مذكر هو « ذلك » المذكور .

وأصرح من هذا أن يقال : إن الضمير
عائد على القرآن ؛ وهو إن لم يجر له ذكر

في هذا المقام فهو معهود معلوم على كل حال .

ويؤيد هذا ما جاءت به الآيات التالية في قوله تعالى : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سترة كرام بررة) فإن المعهود المعروف أن هذه أوصاف للقرآن الكريم .

النتيجة أنه لا يكون في الآية وضع ضمير المذكور موضع ضمير المؤنث ليقال : إن ذلك قد اختير لأنه يحقق تناسب الفواصل .

آية ثالثة

وآية ثالثة ، قوله تعالى : (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) . (الشعراء) ١٣٦ .

تحكى هذه الآية مقالة قوم عاد التي واجهوها بها رسولهم هوداً عليه السلام ، لما أمرهم بتقوى الله ودعاهم إلى الإيمان بالله وحده ونبتد الشركاء ، ووعظهم وحذرهم من سوء عاقبة العناد والكفر ، وقال لهم : (فاتقوا الله راطيعون ؛ واتقوا الذي أمركم بما تعملون أمركم بأنعام وبنين وجنات وعيون ؛ إن أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) . فقالوا له : (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أى لا تظن أن يكون لما تقول تأثير على نفوسنا ، ولا تطمع أن نترك ما نحن عليه إلى ذلك الذي تدعونا إليه .

« وهنا يقال : » إن الأصل في المقابلة أن تكون هكذا : « قالوا سواء علينا أوعظت

أم لم تعظ ، فإن عبارة « أم لم تعظ » هي العبارة القريبة المختصرة الدالة بوضوح على نفس المعنى الذي أريد بالمقابل الوارد في الآية الكريمة وهو : (أم لم تكن من الواعظين) ، مع ما فيه من الطول ومخالفة الأصل في التعبير . فعندول الآية عن المقابل الأصلي القريب المختصر إلى ما جاءت به لا يظهر أنه وجه إلا أن يكون هو مراعاة التناسب بين الفواصل .

« والجواب : » أن المقابل الذي وردت به الآية قد تحقق به تناسب الفواصل من غير شك ، ولكن هذا التناسب لم يقصد إليه من طريق مخالفة الظاهر وعندول عن اللفظ الأصلي القريب المختصر إلى خلافه ، مع اتحاد معنى اللفظين كما يظن خطأ ؛ فإن المعنى ليس واحداً فيهما .

ذاك أن قوم هود عاينوا السلام أرادوا أن يقطعوا كل أمل له في قبولهم دعوته فقالوا : إنه يستوى عندهم أن يعظهم وأن يكون من غير الواعظين ، أى وأن يكون غير أهل للوعظ أصلاً . وهذا أباح في الإقنات والإيثار من ذلك المقابل المختصر ، وأن يقال : وعظت أم لم تعظ .

وقد نبّه الزحشرى في الكشف إلى هذا المعنى إذ يقول :

« فإن قلت لو : قيل : أوعظت أم لم تعظ كان أنخصر والمعنى واحد .

قالت : ليس المعنى بواحد . وبينهما فرق ، لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعد أم لم تكن أصلاً من أجله ومباشرة ، فهو أباح فى حالة اعتدادهم بوغظه من قولك : أم لم تعظ . (تفسير الكشف ج ٢ ص ١٢٨ ، ١٢٩) :

* * *

٤ - وما قلناه فى تلك الآية من سورة الشعراء يقال فى نظائر لها من مثل قوله تعالى : (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) (٢٧ النمل)

فإنه إذا كان مقتضى الظاهر فى المقابلة أن يقال : « سننظر أصدقت أم لم تصدق » أو « أصدقت أم كذبت » فقد عدل عنه إلى ماوردت به الآية ، وهو يدل على معنى أقوى من ذلك وأبلغ ، فإن المراد بيان أن المدهد لا يجروا على الكذب على سليمان عليه السلام ، فيما يخبره به عن ماكة سبأ ، إلا إذا كان الكذب يدناً له متأصلاً فيه ، وهذا المعنى هو الذى يفيد الصوغ الذى جاءت به الآية الكريمة : (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين) ثم هو الذى يتحقق به فى المرتبة الثانية تناسب الفواصل :

وفى هذا يقول الزمخشري : « وأراد بقوله : (أصدقت أم كنت من الكاذبين) أصدقت أم كذبت إلا إن « كنت من الكاذبين » فهو أباح . لأنه إذا كان معروفاً

بالانحراط فى سلك الكاذبين كان كاذباً لاشكالة . وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخير به ، فلم يوثق به . » ١ . ٥ . (تفسير الكشف ج ٢ ص ١٤٣) .

٥ - ومن النظائر التى نحولف فيها مقتضى الظاهر لمراعاة أمر معنوى أقوى منه ، ولم تكن المخالفة فيه لمجرد السجع ومراعاة الفواصل كما يتوهم . قوله تعالى : (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) . (٤ الشعراء) ذلك أنه لو قيل : إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلموا لها خاضعين . لما كان هناك محل لسؤال ولا جواب ؛ لكن الآية قد وسطت الأعناق فى الحديث وأسندت إليها الخفوع لأن الخفوع له آثار تظهر فى الأعناق كالتطامن والانحناء ، كما تظهر فيها أيضاً آثار القوة والنشاط . ومن ذلك ما قيل : « وسالت بأعناق المـطـي الأباطح » . وهنا يقال : إذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يقل : فظلت أعناقهم لها خاضعة ، مع أن هذا هو الأصل والظاهر ؟ أليس العدول عنه إلى صيغة « خاضعين » يكون من أجل السجع ومراعاة الفواصل ؟ وحينئذ يحق لمدهد أن يقول : إن القرآن قد يعدد إلى السجع ولو من طريق بعيد أو طريق غيره أقرب منه .

« والحواب » : أن إثارة صيغة خاضعين - وهى جمع السلامة للعقلاء - ليس لتحقيق

السجع ، وإعماحكمته أن الأعناق لما وصفت بالخضوع الذي هو خاص بالعتلاء صبح أن يجري عليها من أجل ذلك أحكام العتلاء فجمعت جموعهم ؛ وذلك كما في قوله تعالى : (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم ^{ساجدين}) .

أما مراعاة السجع وتناسب الفواصل فقد أتت في المرتبة الثانية ، وليست هي التي من أجلها كان العدول عن « خاضعة » إلى « خاضعين » .

نقد وتحليل

قد نفل الجلال السيوطي في كتابه « الإتيقان » عن الشيخ شمس الدين ابن الصائغ الحنفى أنه جمع في كتابه : « أحكام الرأى في أحكام الآى » نحو أربعين وجهاً لتناسب الفواصل في القرآن الكريم وقد أوردتها السيوطي في كتابه مع أمثلتها . ورأينا في هذه الوجوه أن كثيراً منها لا يرجع السبب الأصلي في مجيئه على النحو الذى جاء عاياه - إلى إرادة تحقيق التناسب بين الفواصل ، وإنما سبب ذلك هو النظر إلى المعنى وتحقيق ما يقتضيه من مراعاة الاعتبارات البلاغية المختلفة ثم يجيء تناسب الفواصل في المرتبة الثانية .

١ - ومن أمثلة ذلك ما قاله في الوجه الأول ، وهو تقديم المفعول على العامل ، نحو قوله تعالى : (أهولاء إياكم كانه

يعبدون) . وقوله سبحانه : (وإياك نستعين) فإنه جعل تقديم المفعول في ذلك على العامل من أجل تحقيق التناسب بين الفواصل .

واكتنا نرى أن تقديم المفعول في الآية الأولى لا ينظر إليه من أول الأمر على أنه من أجل تناسب الفواصل ، وإنما ذلك لأمر معنوى هو الاهتمام بشأن المتقدم وبيان أن محط الإنكار هو توجيه العبادة إلى الملائكة ، أما تناسب الفواصل فإنه يأتي في المرتبة الثانية .

وأما قوله سبحانه : (وإياك نستعين) فإن المقرر المعروف فيه أن تقديم المفعول فيه على العامل إنما هو لإفادة قصر الاستعانة على الله سبحانه وتعالى ؛ فهو لتحقيق أمر معنوى قبل أن يكون لتناسب الفواصل الذى هو تعيين لفظى .

٢ - ومن الأمثلة قوله في « الخامس » : من تلك الوجوه . وهو تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة ، في قوله تعالى : (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) فإن ذلك مبنى على أن « منشوراً » صفة ثانية للكتاب وأن الأصل في الصفة المفردة أن تتقدم على الصفة الجملة ، لكنها في الآية قد أخرت عنها من أجل تناسب الفواصل .

واكتنا نقول : إن أحسن الوجهين في الإعراب وأجودهما هو من حيث المعنى هو أن « منشوراً » حال من الضمير المنصوب في « يلقاه » : وذلك أنه لو كان

صفة ثانية للكتاب كما قيل ، وهي صفة مفردة شأنها أن تقدم على الصفة الجملة .
لأنه يمكن أن يقال في غير التلاوة : « ونخرج له يوم القيامة كتاباً منشوراً يلقاه » ولاشك أن مجيء وصف : « يلقاه » هكذا في آخر الكلام يورث النظم هبوطاً ويضعف معناه ، وذلك مالا يليق أن يفتهم في القرآن الكريم . لكن النظم انتهى بجاءت به الآية الكريمة يفيد أن الإنسان حينما يعطى في الآخرة كتاب أعماله يعطاه ، منشوراً أو بحده منشوراً غير مطوى ، فتواجهه منه أعماله المسطرة فيه فيعرفونها من غير عناء ولا تعب .

فالملحوظ في هذا أولاً هو إحكام المعنى وإتقانه ومجيئه على ما تقتضيه الاعتبارات البلاغية ، ثم يأتي الاعتبار اللفظي الذي يرجع إلى تناسب الفواصل .

٣ - ومن ذلك قوله في الوجه « العشرين » وهو الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، في قوله تعالى : (فلا تخرجنكما من الجنة فتشقي) . ومعنى هذا أنه يريد أن يقول : إن الأصل هو « فتشقيا » ولكن قيل : « فتشقي » لتناسب الفواصل .

ولكن أجود الرأي في هذا هو ما قاله أعلام المفسرين : أن الإفراد في قوله سبحانه : « فتشقي » إنما هو للدلالة على أن آدم هو الأصل فيما يجري عليه من الشقاء بسبب

خروجه من الجنة ، ثم يثبت ذلك لغيره بطريق النجاسة . وإن من الشقاء أيضاً ما يرجع إلى تحمل المناعب في تحصيل ضرورات المعيشة ، والرجال هم الأصل في ذلك لأن هذه هي أهم وظائفهم في الحياة : فهذا هو سر إفراد الضمير في الآية ، ثم نجى الاعتبار اللفظي الذي يرجع إلى تحسين الصورة أو تنعيمها بمراعاة تناسب الفواصل .

٤ - ومنها قوله في الوجه « التاسع والثلاثين » وهو العدول عن صيغة المضي إلى صيغة الاستقبال في نحو قوله تعالى : (فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) قال : والأصل « قتلتم » .

ومن العجيب أن يحصر المؤلف نظره في الزاوية الضيقة ، ولا يتجه ببصيرته إلى الأفق الواسع الذي تنجلي فيه روائع الأسلوب القرآني وفخامته وأسرار بلاغته .

إن التعبير بالاختصار في ختام هذه الآية له سره وحكمته التي ترجع إلى الإختصار بالأمر على ما كانت عليه حقيقته الواقعية ، أو تقرير ما أريد به على حسب ما تقتضيه أصول البلاغة القرآنية .

أما الأول فالملحوظ فيه أن اليهود قد وقع منهم في الماضي قتل أنبيائهم ثم إن طبيعة الشر الغالبة عليهم قدورثها من بعدهم أبناءهم ، فكان المعاصرون منهم لرسول الإسلام عليه الصلاة والسلام يكيّدون له ويدبرون للذات به ، وأصدق شاهد

على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام، - وهو في مرض موته - : « ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان قطعت أبهرى » وفي رواية : « تعاودني » .

فاليهود قتلوا الأنبياء والرسل في الماضي ، واليهود كانوا يعملون على قتل محمد صلى الله عليه وسلم فيما بعد ذلك ، والعبارة التي تستقيم للدلالة على الأمرين : « الماضي ومايراد في المستقبل » هي صيغة الاستقبال .

وأما الأمر الثاني - وهو مايرجع إلى المعنى البلاغي الذي هو في أعلى مستويات البلاغة - فهو أن التعبير بالمضارع قد أريد به استحضار الصورة الفظيعة التي كانت من اليهود حال ارتكابهم جرائم قتلهم أنبياءهم وتصوير هذه الحالة البشعة في النفوس لتترك مدى تلك الجرائم اليهودية الشنيعة .

وهذا الاستحضار لا ينال بالنعير بالماضي ، وإنما سبيله المضارع .

ومن ذلك قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) ؛ فقد أريد بهذا استحضار الحالة البديعة الجميلة : حالة اخضرار الأرض بالنبات على فور نزول المطر من السماء ، وتصوير هذه الحالة في النفوس أحسن تصوير .

أما بعد ، فإننا قصدنا بإيراد هذه الأمور الأربعة مجرد التمثيل ، ولم نرد الحصر والاستقصاء ، فإن كثيراً غير هذه الأربعة لا يسلم فيه مايريده مؤلف كتاب « إحكام الرأي في أحكام الآي » . والله أعلم

عبد الرحمن تاج

عضو المجمع الراحل

(١) الأكلة بضم الهمزة ، وهي اللقمة ، وفتح الهمزة في الحديث خطأ ، لأن الأكلة بالفتح المرة من الأكل والرسول صلى الله عليه وسلم لم يأكل من تلك الشاة المسمومة أكلة كاملة وإنما أخذ منها لقمة واحدة . وتعادني بتشديد الدال المضمومة بمعنى تراجعني ويعاودني ألم سمها في أوقات معلومة .

وأخيراً .. وليس أخيراً

للاستاذ على النجدي

قَالَ

هذه العبارة كثيرا في لغة العصر ، يريد بها قائلها أنه بلغ من كلامه أربابا . وأنه موشك أن يسكت عنده ، ويجتزئ به ، وإن كان لا يزال للكلام بقية ، وفي المجال سعة له . ولا نعرف لهذه العبارة أولا في قديم ، ولا نجد لها ذكرا في أثر . وأكبر الظن أنها وليدة هذا العصر ، فيه استحدثت وعلى عينه ترعرعت . وليس يسع الباحث حين يريد أن ينظر فيها ليعرف : أهى صحيحة أم بها شيء من دخل ، إلا أن يسأل بادي الرأي : ما المراد بكلمتي الأخير والآخرة هنا ؟ وماذا عسى أن يكون بينهما من فرق ؟ أولا بنفسي الجمع بينهما في العبارة إلى شيء من خلاف أو تناكر ؟

وتتضمننا الإجابة عن هذه الأسئلة أن ننظر في معنى كل من : الأول ، والأخير ، والآخرة . أما الأول فالأنه كثيرا ما يذكر مقابلا للأخير تارة ، وللآخرة أخرى . فالبحث في معناه يساعد على تعيين معنى كل

من قرينه . وأما الأخير والآخرة فالأخيرة مادة العبارة وقوام بنيتها .

ولا يعني هنا أن نتحدث عن الأصل الذي اشتق منه الأول ، ولا أن نورد خلاف العلماء فيه ، لأنه لا يغير من معنى الكلمة ، ولا يؤثر في أوجه استعمالها ، إفا تمكن من الوأل ، وهي الالتجاء كما يقول بعضهم ، أو من الأول وهو السبق أو الرجوع كما يقول بعض آخر ، أو من الوول ، وهو مادة مهملات كما يقول بعض ثالث ، لأنهم — مع هذا الخلاف — يرجعون بها آخر الأمر إلى الابتداء والسبق .

وإنما الذي يعنيها هو معناها وأوجه استعمالها في الكلام . فأما معناها فنفيض الآخر كما تقول المعاجم ، وأما أوجه استعمالها فتلاثة : أحدها أن تكون وصفا بمعنى أسبق ، فتؤدى معنى اسم التفضيل ، وتعامل معاملة ، وتتصرف في الأساليب تصرفه ، فذكرت بلفظ الأفراد والتذكير لإضافتها إلى نكرة كما في قوله تعالى : (ولا تكونوا أول

كافريه^(١) . وذكرت مطابقة للموصوف
لاقتراحتها بأل في قوله قوله تعالى : (إن هي
إلا موتتنا الأولى)^(٢) ، وقوله عز اسمه :
(وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب
بها الأولون)^(٣)

والوجه الآخر أن تكون وصفا أيضا ، ولكن
مع الدلالة على معنى الزمان ، فيكون حكمها
هنا كحكمها فيها سبق ، إلا أنها إذا
أضيفت جاز حذف المضاف إليه : فتبنى
حينئذ على الضم كقبل وبعدها في بيت
معن بن أوس :

لمسرك ما أدري وإني لأوجل
على أينما تملو المنية أول ؟

فالمعنى : ما أدري على أينما تملو المنية
في أسبق الزمنين : الزمن موت الشاعر
أم زمن موت صاحبه ؟

والوجه الثالث أن تخلص من معنى الوصف .
وتخلص لمعنى الاسم . فتعادل كسائر
الأسماء « نحو قولهم : مارأيت له أولا
ولا آخر ، أي قدما ولا حديثا ويعني هنا
الوجهان : الأول والثالث ، لصلة
بالقضية .

أما الأخير والآخر فهذه : خلاصة ما جاء
عنه في الأساس ، والمصباح واللسان والتاج :

الأخير مثال كريم ، والآخر على فاعل : خلاف
الأول . والناس يرذلون عن آخر .
فآخر . قال الليث : الآخر والآخرة : نقيض
المتقدم والمتقدمة ولقيته أخيراً . وجاء
أخرا . بضمهتين . وأخيرا . أي آخر كل
شيء . والأخير . وزان فرح بمعنى المطرود
المبعد يقال : أبعد الله تعالى الأخير . أي
من غاب وبعد حكما قال ابن شميل :
الآخر : المؤخر المطروح . وقال شمر :
أراهم أرادوا الأخير ، فأندروا الياء .
يتبين من هذه النصوص أن كلا من الأخير
والآخر يستعمل تارة بمعنى المتناهي الذي
لا شيء بعده ، وتارة بمعنى المؤخر المطروح
يدل لذلك مقابلهما بالأول ، وقولهم :
إنهما خلافا . إذن فحيثما يجتمع أحدهما
بالأول فإنه يدل على نقيض معناه . وقد
سبق أن الأول بجيء أحيانا بمعنى الأسبق
على سبيل التفضيل ، وأحيانا بمعنى السابق
بلا تفضيل في معناه .

وقد جاء بمعنى الأسبق ، أي الذي ليس
قبله شيء ، وجاء الآخر معه بمعنى المتناهي
أي الذي ليس بعده شيء في قوله تعالى :
(هو الأول والآخر) ، وفي قول النابغة
الشيباني :

هو الباطن الرب اللطيف مكانه
وأول شيء ربنا ثم الآخر

(١) سورة البقرة : ٤١

(٢) سورة الدخان : ٢٥

(٣) سورة الإسراء : ٥٩

وجاء بمعنى السابق ، أى المتقدم ، وجاء معه الآخر بمعنى المتأخر أى بخلاف المتقدم فى قول الإمام على رضى الله عنه : « الحمد لله الذى لم يسبق له حال فىكون أولا قبل أن يكون آخر » وفى قولهم كما جاء فى اللسان — ما رأيت له أولا ، ولا آخر ، أى قديما ولا حديثا .

وجاء الأخير بمعنى المتناهى الذى لا شىء بعده أيضاً فى قول المعاجم : وجاء أخيرا ، أى آخر كل شىء وجاء بمعنى المتأخر مقابلا للأول بمعنى السابق فى قول البيهقى :

قهر الدهر أولا وأخيرا
بحجا منه أول وأخير .

وقول أبى العلاء المعرى :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لأت بما لم تستطعه الأوائل
ولا يجوز فى عبارة : وأخيرا وليس

آخر ، أن يكون اللفظان معا بمعنى المتناهى ولا بمعنى المتأخر لأن أولهما مثبت ، والآخر منقضى ، فإن اتحدا معنى كان أول العبارة مناقضا لآخرها . ويقضى المقام الذى تستعمل العبارة فيه أن يكون أخيرا فيها بمعنى متأخر ، وأن يكون الآخر بمعنى المتناهى .

وإذا يكون المعنى فى نحو قولنا : وأخيرا وليس آخر ، أرى كذا — هو : وأرى رأيا أخيرا ، أى متأخرا فى الذكر ، وليس هو بآخر كلامى ولا ختاه ، ويكون أخيرا مفعولا مطلقا صفة لمصدر أرى ، وناصبه الفعل أرى ، أو ما يخلفه . التعبير .

وإذا تكون هذه العبارة سليمة ، تؤدي معناها المراد أداء صحيحا ، لاشائبة فيه ولا دخل .^١

على النجدي ناصف
عضو المجمع

الحركة الانقضاوية الألفية في نظام الشعر العربي للأستاذ أنيس المقدسي

توطئة

إلى ذلك من أغراض الشعر القديمة المعروفة. وسواء أكانت هذه المقدمة غزلية أو غير غزلية فإنها كانت بوجه عام تعتبر من لوازم القصيدة. ويندر عند القدماء أن تجد قصيدة بقرعة لا مقدمة لها تمهد لغرضها الرئيسي بالوصف الغزلي أو الوقوف على الطلول. وقد حاول بعضهم كتابي نواس في صدر الخلافة العباسية أن يحول الشعر في زمانه عن هذه الطريقة المتبعة بداعيا الشعر إلى الكف عن الوقوف على الطلول والتعلق بوصف البادية وأحوال سكانها، فكان له كثير من مثل قوله :

دع الأطلال تسفيها الجنوب
وتبكي عهد جدتها الخطوب

مر الشعر العربي عبر أدوار تاريخية شتى ، وفي بيئات جغرافية واجتماعية مختلفة . إلا أنه على العموم ظل محافظا على نمط واحد من التعبير اللغوي هو نظام القصيدة ذات الأبيات الفردية المقفاة الجارية على روى واحد. وقد كان من خصائص هذا النظام أن تستهل القصيدة بمقدمة (غزلية في الغالب) يقف فيها الشاعر على ربوع أحبته باكيا خلوها منهم ، شاكيا ما يقاميه من الوجد بهم وآلم البعاد عنهم ، وقد يقترون ذلك بوصف ماشاهده أو عاناه في طريقه إليهم ، ثم يخلص إلى غرض في نفسه من مدح أو هجاء أو رثاء أو فخر أو حماسة ، وما

ونحن لراكب الوجناء أرضاً
تحت بها النجبية والنجيب
ولا تأخذ عن الأعراب لهوا
ولا عيا فعيشهم جديب
ولكن أبا نواس لم يُفلح في محاولته .
ولا نحسبه كما قد يذهب إليه بعضهم
أنه كان يرمى إلى إحداث - حركة
تجديدية في نظام الشعر ، وإنما هي
نفثة منه كان يكثُر ترديدها في
خمرياته . مقابلاً فيها بين شظف البيئة
البدوية وشقاء سكانها ، وطيب
البيئة الحضرية كما عرفها في بغداد
بين مجالسها وملاهيها . فلا غرابة أن
نسمعه يندد بشعراء الطلول والظعائن
فيقول :

لأجفّ دمع الذي يبكي على حَجَرٍ
ولاصفا قلب من يصبو إلى وتد

كم بين ناعت خمر في دساكرها
وبين بالكِ على نُوى ومُنتضدٍ
لا لم يقصد بهذه النفثات النواسية ،
إحداث حركة لتطوير النظام الشعري .

على أن ذلك لا يعنى أن هذا النظام جسد
على ما كان عليه منذ أيام الجاهلية فلم
يطرأ عليه تغير يذكر ، ذلك بأن
ناموس التطور العام لا يقف عمله عند
حد زمني وإن تباطأ أو خفى إلى حين .
فإننا لانكاد نصل إلى العصر العباسي
شلا حتى نرى لتطور الشعر آثارا
ظاهرة - منها ما يرجع إلى الشكل أو
البناء الخارجي ، ومنها ما يرجع إلى
المضمون أو البناء المعنوي .

فمن حيث الشكل الخارجي ما يُلاحظ
من محاولة بعضهم إضافة أبحر جديدة
إلى الأبحر الستة عشر المعروفة ، كتلك
التي سموها المتشد ، والمنسرد ، والمضطرد
والممتد ، والمتوفر ، والمستطيل وسواها .
ولكنها لم تلبث أن أهملت ودخلت في
خبر كان . ومن التطور الشكلي ما ظهر
من النظم التوشيعي في الأندلس أولاً
ثم في سائر الأمصار العربية وقد عايش
التوشيع القصيدة التقليدية وصحبها

(١) الوجناء من صفات الناقة وكذلك النجبية .

طوال الأجيال ؛ على أن القصيدة ظلت حتى الآن أشيع منه عند أكثر الشعراء .

أما تطوّر المضمون الشعري فيتناول معاني الشعر وأغراضه ، وعرضها في صور فنية ممتعة للنفس . والتصوير الفني هو عنصر طبيعي في الشعر أيّا كان وفي أي عصر ظهر . وما كنا لنشير إليه كظاهرة من ظواهر التجديد في أدبنا خلال العصر العباسي لولا أنه اتخذ في ذلك العصر شكل مذهب فني قائم نفسه ، حتى عرف بعلم البديع في نوعيه اللفظي والمعنوي . ولا ينكر ما كان له من أثر على أيدي ذوى المواهب الشعرية العالية في تحسين الديباجة الشعرية . وإنما جنى عليه سواه من الذين جعلوه غاية مطلوبة لنفسها فأفسدوه حتى تمدن بتصنعهم وتكلفهم إياه ؛ فتحوّل إلى زخارف فارغة وألاعيب كلامية لا طائل نحتها :

لا جرم كان العصر العباسي عصرًا ذهبيًا للشعر العربي ، فقد امتد نحو خمسة قرون نبغ خلالها ألام الشعر الذين نفاخر بترائهم ، ولا نزال نهتز

طربًا لروعة أقوالهم نرددها ونهم بدراساتها ، برغم أن الكثير منها كان ينظم . لأغراض لا صلة لها بحياتنا ؛ وفي أجواء حضارية مختلفة عن أجوائنا . إلا أنه عصر فيه بلغت لغتنا العربية أوج مجدها بما قدمته للفكر البشري من نجوم سطعت في تاريخه . وإذا كانت الشعوب العربية خلاله وما بعده قد هبطت من مكانتها السياسية وفقدت سيادتها القومية فإن لغتها فيه ظلت لغة العلم والحضارة ، بل تجاوزته إلى عهود تالية .

ومعلوم أن ما طرأ على العرب من خطوب وتقلبات سياسية ؛ بعد ازدهار حضارتهم خلال العصر المذكور ، قد كان له تأثير بالغ في حياتهم الأدبية ، فالمد الشعري الذي تعاظم على أيدي نوابغ شعرائهم حتى أواخره أخذ يتراجع بعده .

وما زال في تراجع مستمر حتى دخل الشعر العربي في دور طويل من الانحطاط ؛ ففقد حيويته وخبأ نوره ، ولم يُتج له الخروج من ظلماته إلا بعد أن بزغت على العالم العربي منذ منتصف القرن

الماضى أشعة حضارة جديدة . وهكذا
أخذ يتدرج في سبيل التجدد والتطور
حتى باغ ما بلغه في وقتنا الحاضر . وقد
تم ذلك تدريجاً ، وعبر مراحل يتعذر
فصل الواحدة عن الأخرى منها بحدود
زمنية واضحة ، إذ هي من حيث الزمن
متداخلة الجوانب بل متعاصرة أحياناً .
على أن لكل منها خصائص تميزها .
وبحسب هذه الخصائص نشأتها هنا
كما يلي :

الأولى : مرحلة اليقظة الأدبية
وأبطالها نخبة من الرواد في القرن
التاسع عشر ممن نشطوا إلى تحرير
لغة الأدب من شوائب الانحطاط ،
وتهيئتها لتكون أوفى بالتعبير عن واقع
الحياة الجديدة ، وأصلح لحمل رسالتها
الأدبية والفكرية .

الثانية : مرحلة العودة إلى الأصالة
الشعرية في عصورها القديمة الزاهية ،
وقد نمت على أيدي أعلام من الجيل
الأول في قرننا الحالى أمثال أحمد
شوق وطبقته في مصر وبعض الأقطار
الأخرى ، ممن وطفوا هذه الأصالة ومسحوا
عليها بمسحة من جدة الحضارة الحديثة .

الثالثة : مرحلة التوجّه نحو الأدب
الغربي وما كان يسوده من نزعات شعرية
كالرومانسية والواقعية ثم الرمزية ،
مما أحدث في الشعر العربي تطوراً بيناً
وأنشأ طبقة من الشعراء الذين رفعوا
الفن الشعرى الحديث إلى درجة عالية
من التجديد اللفظى والمعنوى .

الرابعة : مرحلة التذكّر للشعر التقليدى
ومثله ، والدعوة إلى انقلاب جذرى في
نظامه المتوارث ، وهى المرحلة التى
جعلناها موضوع بحثنا الخاص في هذا
المقال . وسنتناول فيه الشعر الحر
الجديد من نواح ثلاث . وهى : شكله
الخارجى - تصويره الفنى - أبعاده
المعنوية . وللتمييز بينه وبين الشعر
المحافظ على الأصول القديمة في بحثنا
سنكتفى بإطلاق اسم الشعر الحر الجديد
عليه ، كما سنطلق على النوع الآخر اسم
« الشعر الأصيل » أو الأصولى . ويلاحظ
من استعراض هذه المراحل والتفرق فيها
أن الشعر العربى قد أخذ يسير منذ
يقتضيه الحديثه في سبيل التجدد ،
ومازال ، حتى استطاع أن يتحرر من
قيود كلاسيكيته القديمة - قيود الأناقة

الصناعية - من محسنات بديعية يتكلفها
وأغراض تقليدية يتمسك بها . وإذا
هو - ولم يكد ينطوى القرن الماضي - قد
دخل في طور جديد من حياته هو طور
الرومانسية (الرومانتيكية) التي تسربت
إليه مع ما تسرب من آثار الحضارة
الغربية حاملةً إليه الحرية الشخصية
في النظم ، والاندفاع في سبيل الابتداع
فجرى بملء عواطفه ينشد أناشيد الحب
والجمال وما يصحبها من آلام وآمال ،
تارة منطويا على نفسه هائماً بين مفاتن
الطبيعة ، وطورا ناظرا في حياة الإنسان
وما يتطلع إليه من مُثل عليا تنير لها
طريق السعادة على الأرض .

وظلت الرومانسية بما تمتاز به من
حزية ضيقة في أساليب النظم وسهولة
التعبير ، وابتداعية في الأغراض والمواضيع ،
المذهب الشعري العام في عصرنا الحاضر
حتى حدثت في هذه الحقبة الأخيرة
انتفاضة أخرى كانت حربا على الرومانسية
نتهمها بالميوعة اللفظية السطحية المعنوية
والتهافت العاطفي . تلك هي الحركة
الرمزية التي تعدّ من أركان الشعر الحر
الجديد ، وهو المحور الذي يدور عليه
كلامنا في الفصول التالية .

بوادر الانقلاب :

وقبل الخوض في خصائص هذا
الشعر الحر الجديد الذي يبرز الآن
كمنافس شديد للشعر الرومانسي
في قرننا العشرين ، نرى من المفيد
أن نرجع قليلا إلى الوراء لنرى مظاهر
من بوادره قبل منتصف هذا القرن .
نذكر من ذلك على سبيل المثال
بعض محاولات قام بها نخبة من
الحريصين على التجديد في الشعر
عن طريق تحريره من أحكام العروض
وإرساله نفثات عاطفية ، طليقة من
كل قيد تقتضيه الأوزان التقليدية
وقواعد النظم . ومن رواد هذا
النظم الحرّ أمين الريحاني ، فله
في الجزء الثاني من ريحانيته أكثر
من عشرين قطعة تجرى هذا المجرى
كقوله من نشيد الثورة حيث تشتد
حرارة العاطفة ويكثر ترديد القوافي :
هي الثورة ووجهها العيوس الرهيب
ألوية كالشقيق تموج تُنير البعيد
تشير القريب
وطبول تردد صدى نشيد عجيب

وأبواق تنادى كل سميع مجيب
وشرر عيون القوم يرمى باللهيب
ونار تتسأل: هل لمن مزيد؟
وسيف يجيب وهول يشيب
ويـل يومئذ للظالمين
ويل لهم من كل مرید مهين
طالب للحق مديـن
ويـل للمستعزين والمستأمنين
هي ساعة للظالمين

وعلى هذا النسق العاطفي قوله
في مرثاة يصف فيها موت ملك
العراق فيصل الأول ، وهذا القسم
الأول منها:

حلق النسر في الفضاء بعيدا
رجع النسر في الفضاء شهيدا
شهيدا يكفذه السحاب
شهيدا تشيعه النجـوم
شهيدا نعته شمس الضحى
شهيدا حملته أكف السما
فكان علياً وكان حميـدا
وأكثر ما جاء له من هذا القبيل نفثات
خطابية عاطفية يكثُر فيها ترديد
القوافي والألفاظ ، بطريقة درامية

مشيرة ، وقد تبعه في هذا الطريق
كثيرون ومنهم من كان أكثر منه
اقترابا إلى النظم الشعري كقول
حبیب اسطفان في قطعة خماسية
الأدوار يصف فيها ماورد في الأسطورة
الفينيقية من مصرع الإله أدونيس
على بعض جبال لبنان ونوح حبيبته
(الزهرة) عليه ؛ وهي طويلة
نشبت منها هنا هذه الأدوار الثلاثة
في وصفه ماأصاب (الزهرة) من لوعة
وشقاء عندما شاهدت حبيبها
(أدونيس) مضرجا بدماه بعد أن صرعه
وحش ضار مصور هناك .

أواه على أدونيس كيف ينجر على
الصخور بصيغها دمه الجارى من أعضائه
الناعمات . هاهو في الوادى يفترسه
الحيوان المصور أواه ، أدونيس قد مات
وأسرعت إليها الإلهات فدهاها الصياح
إلهات الأشجار والأنهار والربى والوديان
لاطمات الخدود رافعات الحويل والنواح .
أباكيات بأشجى الألحان حمرته توتى ،
والتفنن حولها ينحن معها على الحبيب
يا أدونيس كيف مدت إلى الإله يد الحمام ؟!
يا أدونيس ، كيف ذبل غصنك الرطيب
ويبس زهره البسام ؟!

فترى في أدوار هذه القصيدة نظاما ذا ترتيب شعري وانسجام إيقاعي في الأسطر والقوافي ، ولكن مع عدم تقيد بتفاعيل مضبوطة ، كما في الشعر الأصيل .

ومن طلاب التجديد من انبعشت خواطره وعواطفه الشعرية في شكل نثرى ، كما ترى في كثير من أقوال جبران فجاءت موزونة الأفكار في قوالب نثرية ذات رنة موسيقية تلد الأسماع وتطرب النفوس ، وسنرى كيف أمست هذه النماذج في الشعر الحر الجديد بعد أن اشتدت الدعوة إلى التجديد . فهذه البوادر على كثرة ما ظهر منها خلال النصف الأول من قرننا الحالى لم تشع في الأوساط الأدبية ، ولم نستطع منافسة الشعر العروضى الأصيل ، فغمرها الزمن ولم يبق منها في النفوس إلا رغبات في بعض النفوس ظلت كامنة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حين عادت إلى البروز على يد جيل جديد في شكل ثورة عارمة تحت اسم الشعر الحر . فلنتقدم الآن إلى درس هذا الشعر الجديد من نواحيه الثلاث .

(١) شكله الخارجى .

(٢) تصويره الفنى .

(٣) بعده المعنوى .

الشعر الحر في شكله الخارجى :

ليس غرضنا الآن أن نقوم بتحقيق لضبط تاريخه ومعرفة كيف نشأ ، ومن كان رائده الأول . فلنترك ذلك للحريصين على هذه الناحية من دراسته .

يكفيناهنا أن نقرر أن الأحداث المستجدة في الحياة لا تكون في الغالب إلا نتيجة عمل تطورى مستمر وإن كان لا يبدو دائما للعيان . وقد ذكرنا سابقا أن عددا غير قليل من أدباء عصرنا في النصف الأول من القرن العشرين قد حاولوا أن يجددوا الشعر العربى بتحريره من قيوده العروضية التقليدية . لكن منظوماتهم لم يفتح لها أن تبلغ شأننا يذكر عند الجمهور الأدبى في مختلف الأقطار ، فظلت الطريقة العروضية بأوزانها الستة عشر المعروفة هى الطريقة السائدة في نظم الشعر . وظلت حركة التجديد المذكورة ضئيلة قابلة الانصهار حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الحين عادت إلى البروز والاتساع على أيدي فئة من النشء الأدبى المتأثر بما تركته هذه الحرب من انقلابات في حياة الشعوب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وما ولدته في نفوسهم من روح التمرد والثورة من أوضاع أو مثل تقليدية . وأخذت الدعوة إلى الحرية والتجديد تشتد

في الأوساط الأدبية. فلا غرابة أن يقبل الجيل الجديد عليها، وينتشر النظم الجديد انتشار النار في الهشيم، بين الطبقات الناشئة في كل إقليم، تدعمه دعاة من ذوى النزعات اليسارية أو من المتأثرين ببعض كبار الشعراء في الغرب الناقمين على تردى المبادئ الروحية والإنسانية في الحضارة العصرية المادية. ويظهر هذا الشعر في شكلين: الأول يلتزم بإيقاع الشعرى ويسمى عند الكثيرين شعر التفعيلة، والثاني بجانب أى التزام عروضي وهو المعروف بالنثر الشعرى أو الشعر المنشور - ما سنرى.

الشكل الأول - شعر التفعيلة :

وقد أطلق عليه هذا الاسم لاعتماد الشاعر في نظمته على تفعيلة واحدة يختارها من أحد الأبحر للمعروضية الستة عشر، ويفتن في استعمالها بانياً عليها منظومته. خذ مثلاً (بحر الكامل) وهو مكون أصلاً من ست تفعيلات لببيت الواحد، ثلاث منها في الصدر وثلاث في العجز. وقد يأتى مجزأً فيكون مؤلفاً من أربع تفعيلات، نصفها في الصدر

ونصفها في العجز. وهذه تفعيلاته وهو تام :

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن

متفاعلن . متفاعلن . متفاعلن

كقول المتنبي في مطلع قصيدته المعروفة :
الرأى قبل شجاعة الشجعان

هو أول وهى. المحل الثانى
فلذا هما اجتماعاً لنفس حرة

بلغت من العلياء كل مكان

ويلاحظ أن كل أبياتها تتتابع على هذا النسق وزناً وقافية، كما يلاحظ جواز تعديل صيغة متفاعلن عند الحاجة لتصبح مستفعلن . وهو أمر شائع في هذا البحر سواء أكان في الشعر الأصيل أو في الشعر الحر الجديد. على أن الشعر الحر لا يتقيد تقيد الشعر الأصيل بانسجام كلي في ترتيب مقاطعه وأسطره، تتابع فيه على غير نظام وانسجام؛ من حيث الطول وعدد التفعيلات والقوافي، فالسطر الواحد قد لا يكون أحياناً أطول من التفعيلة المختارة، وقد تتكرر فيه هذه التفعيلة فيطول، وهكذا تتفاوت أجزاءها بين قصير وطويل

أومقفى أو غير مقفى . وإنما تترابط
بإيقاع يلائم السمع لتحررها من رتابة
الآبيات . في الشعر العروضي . وإليك
بعض نماذج من الشعر الحر نعرضها
كما وردت في مظانها مصحوبة بتفصيلاتها
لإيضاح الفرق بين بنائها وبناء الشعر
الأصيل .

ولنبداها بقطعة من البحر الكامل
أيضا لشاكر السياب موضوعها (غريب
على الخليج) نقلها كما هي من ديوانه
(أنشودة المطر) وفيها يخاطب - وهو
بعيد عن وطنه - فتاة من أهله يسميها
« زهراء » مذكرا إياها بما عرفاه من
عيشة في منزلها القديم . قال :

« زهراء أنتِ أتدكرين ؟ »

مستفعِلن - متفاعِلن .

تَنُورِنا الوَهَّاجُ نَزَحْمَهُ أَكْفُ المِصْطَلِينَ
مستفعِلن - مستفعِلن - متفاعِلن -
مستفعِلن .

وحديث عمى الخفيض عن الملوك الغابرين
متفاعِلن - متفاعِلن - متفاعِلن - مستفعِلن

ووراء باب كالقضا .

متفاعِلن - مستفعِلن .

قد أوصدته على النساء .

مستفعِلن - متفاعِلن .

أيدٍ تطاع بما تشاء لأنَّها أيدى رِجال
مستفعِلن - متفاعِلن - متفاعِلن -
مستفعِلن .

كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال
مستفعِلن - متفاعِلن - متفاعِلن - متفاعِلن
أفتدكرين أتدكرين ؟

متفاعِلن - متفاعِلن .

وعلى هذا النمط والبحر أيضا قطعة
لعللى أحمد سعيد تحت اسمه المستعار
(أدونيس) موضوعها (حديث جائع)
في ديوانه (قصائد أولى) .

ويلاحظ في بعض تفعيلاتها (ترفيل)
يعنون به في العروض زيادة مقطع في
آخر التفعيلة الأصلية فتأتي مثلا
في الكامل على صيغة متفاعلاتن أو
مستفعلاتن بدلا من متفاعِلن أو مستفعِلن
ويستوى في ذلك الشعر الأصيل والشعر
الحر . والواقع أن التفعيلة المختارة من أى
بحر تستعمل مع جواراته في كلا النوعين
على السواء .

مالي أسير ولا أسيرُ

مستفععلن - متفاعلاتن .

ويشار إلى هذا فقيرُ .

متفاععلن - مستفعلاتن .

جمد الزمان على يدي

متفاععلن - متفاععلن .

جمدت يدي .

متفاععلن .

وتهذلت عيني وقرّحها السؤال

متفاععلن - مستفععلن - متفاععلن

وإذا تشربني عذابي

متفاععلن - متفاعلاتن

وانهد في صدري شبابي

مستفععلن - مستفعلاتن .

جممت حالي وانطويت

مستفععلن - مستفعلاتن

وعلى تهدي ارتميتُ

متفاععلن . متفاعلاتن

فإذا قابلت بين هاتين القطعتين وهما

تعتمدان على تفعيلة واحدة من بحر (الكامل)

تستطيع أن ترى كيف تختلفان في

ترتيب أسطرهما وفي عدد المرات التي

تتكرر فيها تلك التفعيلة في السطر أو المقطع

الواحد منهما . فكل من الناظمين له

حريته في الإخراج كما يحلو لذوقه

الخاص . بيد أنه على تباين طريقتيهما

في ذلك يتفقان كل الاتفاق في التزام

التفعيلة التي اعتمداها من البحر المذكور

وعلى إيقاعها الذي يجعل من المنظومة

وحدة موسيقية قد تبرر زعم أصحاب

هذا النوع من نظم الكلام أنه داخل

في نطاق الشعر الموزون، بل في صحيحه

وإن كان لا يتقيد بأحكام العروض

المعروفة في الشعر الأصيل .

والذي يبدو من منظومات الشعر الحر أن

التفعيلة المعتمدة في بنائه ترجع في الغالب

إلى عدد محدود من الأبحر، كالكمال

والرمل والهزج والخفيف والوافر وغيرها

وقد يعتمد الشاعر في قصيدته تفعيلتين

إحداهما من بحر والأخرى من بحر آخر .

وسنرى ذلك بعد . وإليك هذه القطعة

معمودة على تفعيلة من بحر (الرمل) :

لعباء الوهاب البيّاتي من منظومة موضوعها

(القنديل الأخضر) كما وردت في

ديوانه (أباريق مهشمة) . وهذا البحر

يتألف من ست تفعيلات

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

كفول ابن الفارض في يائيته المشهورة
سائق الأظعان يطوى البیدطی
منعماً عرج على كثنان طی
وكثيرة ما تتحول (فاعلاتُ) إلى
فَعِلَات في هذا البحر كقولہ :
وضع الآسى بصبرى كفه
قال : مالى حيلة في ذا الهوى
وهو شائع في كلا الشعر الأصيل والشعر
الحر على السواء . قال البيهقي :
تحت جنح الليل والصمت وأعماق الكئيبة
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
وعبير الروض والليمون والماضى وحزنى
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
لم تعد توقظ أحلام الصبا المخدول فيا
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
كان ضوء كان في قبر بعيداً كان عنى
فاعلاتن فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
القضاء القدر المظلم يستنزفه شيئاً فشيئاً
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن فاعلاتن
غير أنى كنت أقوى
فاعلاتن . فاعلاتن
كنت من نفسى أقوى
فاعلاتن . فاعلاتن
كنت أهوى
فاعلاتن .

لو تلافينا على ذلك الضياء
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
كفرا شين على الأوراد غابا في عناق
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن
واحترقنا أنا والماضى وعيناها على ذلك الضياء
فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
وهكذا يجرى إلى آخر هذه المنظومة
الطويلة مع التفتن في تكرير تفعيلاتها
واختلاف عددها في السطر الواحد .
وقد تأتى التفعيلة الواحدة مجزأة : قسم
منها في سطر وقسم : آخر موصول به
في سطر تالٍ . وكما تجرى القصيدة من
الشعر العروضي الأصيل في سلسلة من
أبيات مستقلة تتابع على وتيرة واحدة وزناً
وقافية ، أو من أدوار متلاحقة متماثلة
التركيب . كذلك تجرى القطعة
في الشعر الحر الجديد في شكل سلسلة
من أسطر ومقاطع أو من أدوار متلاحقة .
ولكنها كما سبق القول لا تتقيد بها
تتقيد به القصيدة الأصيلية (أو كما
يسمونها أحياناً العمودية) من أحكام
عروضية لازمة . سواء من حيث عدد
التفعيلات أو لزوم القوافي وتمثالها ؛ مثال
ذلك هذه القطعة لأدونيس في ديوانه .
(قصائد أولى) وموضوعها (المشردون) .

ثم قطعة للبياتي : الأولى من بحر الكامل
والثانية من الرمل .

المشردون - لأدونيس ، وهى مؤلفة من
عدد من الأدوار .

فى أول العام الجديد

مستفععلن - مستفعلاتن

قالت لنا مستفععلن

آهاتنا قالت لنا

مستفععلن . مستفععلن .^٢

شدوا الرحال إلى بعيد^٢

مستفععلن . متفاعلاتن .

أوفاسكتوا خيم الجليل

مستفععلن . متفاعلاتن

فدياركم ليست لنا

متفاععلن . مستفعلين

نحن الذين على الدخيل^٢ نحمردوا

مستفععلن . متفاععلن . متفاععلن

فتهدموا وتشردوا

متفاععلن . متفاععلن

أكل الفراغ ندائنا

متفاععلن . متفاععلن

ومشى الأمام راعنا

متفاععلن . متفاععلن^٢

أيامنا جمّدت على أشبالنا

مستفععلن . متفاععلن . مستفععلن

وتقلّصت كدمائنا

متفاععلن . متفاععلن

صارت تعيش على الثوان

مستفععلن . متفاعلاتن

صارت تدور بالازمان

مستفععلن . متفاعلاتن

متشبتون مضيقون على الدروب

متفاععلن . متفاعلاتن - متفاعلاتن

صفر السواعد والقلوب

مستفععلن . متفاعلاتن

والجوع كلُّ ندائنا

مستفععلن . متفاععلن

والريح بعض غطائنا

مستفععلن^٢ . متفاععلن

حتى الصباح يفتر من آفاقنا

مستفععلن . متفاععلن . مستفععلن

ويغيض فى أحداقنا

متفاععلن . مستفععلن

واذا ترنج فى تمللنا الكفاح

متفاععلن مستفعلاتن . متفاعلاتن

وتسمعت منا الجراح

متفاعلين . مستفعلاتن

ضحكت حروف نداءنا - ضحك الصباح

متفاعلين . متفاعلين . متفعلاتن

أقلوبنا رفقا بنا متفاعلين . مستفعلين

ماهم . ظلي في المسير

مستفعلين . مستفعلاتن

في الجوع في اليأس المرير

مستفعلين . مستفعلاتن

وتعذب متفاعلين

وتضحى عذف السعير

متفاعلين . مستفعلاتن

وهنا على هذا التراب تترابي

متفاعلين . مستفعلين . متفاعلين

فغداً يقال متفاعلين

من أرضا طلع النضال

مستفعلين . متفاعلين

ونما على أشلائنا ووفائنا

متفاعلين . مستفعلين . متفاعلين

وعلى قلقتها البعيد

متفاعلين . متفعلاتن

لغاد بجانياد

متفعلاتن

الموت في المنفى (للبياتي) من ديوانه

النار والكلمات من ٦٠ وهي تجري على

بحر الرمل .

بدم القلب بطاقات الرماد

فعلاتن . فعلاتن فاعلات

كُتِبَتْ

فعلا

أين كنوز السندباد

فعلاتن . فاعلات

منك يا زاد المعاد

فاعلاتن فاعلات

آه لو أحرقتُ أشعاري

وأحرقت الليالي بالمداد

فاعلاتن . فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

لكنبتُ فيها مرة أخرى

بطاقات الرماد

فاعلات وفاعلاتن

فاعلاتن فاعلات

بدم القلب وأطعمت القوافي للجراح «

فعلاتن . فعلاتن . فاعلات

صَبَغْتَ ليلي الجراح

فاعلات

فعلاتن

وطنى ناءٍ وكفى يبست فوق الله الاح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أين من يسكت فى الأفق النباح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أين من يبهق فى وجه المخانيث

ومن يزرع فى الأفق أقاح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلات

أين من يشعل فى صدرى قناديل الصباح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

وطنى ناءٍ . فياليت بطاقاتى جناح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

لتطير الليلة الليلة فى أفق الجراح

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات . فاعلات

القناديل بصدري ،

فاعلاتن . فاعلاتن

افتحوا الأبواب للنور افتحوها

فاعلات . فاعلات . فاعلات

أصدقائى الفقراء . أصدقائى الشعراء

فاعلات . فاعلات . فاعلات فاعلات

احسبني يارياح . عبر آلام الليالى

فاعلاتن . فاعلات . فاعلاتن . فاعلاتن

احسبني يارياح

فاعلاتن - فاعلات .

وقد يتفمّن الشاعر الحر فيستعمل مع

التفعيلة الواحدة فى قصيدة تفعيلة ثانية

أو أكثر من بحر آخر كما ترى فى منظومة للشاعر

بدر شاكر السياب موضوعها (رؤيا فى عالم

١٩٥٦) يجرى فى قسم منها على بحر الرمل ثم

يتحول إلى آخر . وإليك القطعة التالية

منها . ننقلها عن ديوانه ص ١١٦ .

حطمت الرؤيا على عيني صقراً من لهيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

إنها تنقض تجتث السواد

فاعلات . فاعلاتن . فاعلات .

تقطع الأغصان تمتص القذى من كل

جفن فالغيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن

فاعلاتن . فاعلات .

عاد منها توأماً للصباح - أنهار المدا

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

ليس تطفى غلة الرؤيا . صحارى من نحيب

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

من جمحور تلفظ الأشلاء . هل جاء المعاد ؟

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات

أهوى بعث ، أهرموت ، أهي ناراً رماد

فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلاتن . فاعلات ؟

ويؤلى الجرن على هذا البحر ثم يتحول
عنه إلى بحر آخر إذ يقول :

في غيبة الرؤيا

مستفععلن فعلن

يوم بلاميعاد

مستفععلن فعلاز

جنكيز هل يحيا ؟ جنكيز في بغداد

مستفععلن فعلن . مستفععلن . فعلات

عين بلا أجفان تمتد من زوحي

مستفععلن فعلاز مستفععلن فعلن

شدق بلا أسنان ينداح في الريح

مستفععلن فعلاز مستفععلن فعلن

يعوى : أنا الإنسان

مستفععلن فعلاز

الشعر الحر في شكله النثري :

مما عرضناه سابقا يتضح أن الشعر

الحر المبني على التفعيلة الواحدة لم

يقطع صلاته قطعا باتا بنظام الأوزان

العروضية . فهو شعر إيقاعي كالشعر

الأصيل إلا أنه مختلف النمط . أما في شكله

الnthري فهو يجري حرا من كل قيد يربطه

بوزن خاص أو بشكل إيقاعي معين ، فلا

غرامة أن الكشيرين من أهل النقد الأدبي

يشردون ، أو يهابون ، أن يطلقوا اسم

الشعر عليه . لكن أربابنا كما يبدو يصرون

على هذه التسمية . فتراهم يخرجونه في

ديباجة أشبه بديباجة الشعر . وينبشرونه

في دواوين خاصة كدواوين الشعراء .

والحقيقة أنه نشر مشبع بروح الشعر .

وقد شاع وأصبح له جمهور غفير من

الأنصار وبخاصة بين ناشئة الأدب من

جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية ،

جيل الثورة على الأوضاع القديمة المتأثر

بالنزعات اليسارية إلى الرفض ماورثه

من الماضي ، المتعطش إلى الاستقلال الذاتي

في تصرفاته الفردية والاجتماعية . وهذه

النزعة إلى الثورة قد أثرت في حياته

الفكرية والفنية . فإذا بشعره يخرج اليوم

محرا من تقاليد اللفظية والمعنوية التي

لازمته مدى الأجيال السابقة . يقود في

هذا السبيل رخط من دعاة التجديد الفني

والشعري ؛ من رمزيين وسورياليين وسواهم

ممن أخذوا بهذه المذاهب الجديدة في

الغرب ، ورأوا فيها الطريق السوي لتجديد

حقيقتي في الأدب العربي شعرا ونثرا .

وإليك بعض نماذج من الشعر النثري

الذي أخذ يتدفق من أقلام أربابه .

قطعة أيوسف الخال وهو من كبار

الدعاة إلى الشعر الجديد ، نشرت في ملحق

جريدة النهار بتاريخ ١٠ من شباط ١٩٧٤ :

خذوا كل شيء

خذوا العصافير عند الصباح

وصمت الماتسح خمرة كاس

وبقية نار وحيدة

ولا تتركه الى قصور العناكب

أحلامها معلقة بخيوط السماء

خذوها ، خذوا كل شيء

نقيق الضفادع . رفيف الخفافيش

عند المساء

وآثار أقدامهن - التريالات

عند مسندى .

ودعوني . دعوني

بعيداً عن الأسواق

لأن الجداول عند الرجوع

تحت هذه السهول

وصوت السكينة تحنانها

هناك على الشطوط .

وحين أموت خذوا جسدى

ولا تدفنوه

لئلا يقوم مع الفجر

ويكشف سر الإله

ولزميله في الدعوة الى الشعر الجديد

أنس الحاج قطعة موضوعها (السقوط)

هني ذات شقين كمايلي - عن ملحق

النهار ١٢ من كانون الثاني ١٩٧٤ .

١ - (أنا من سقط) :

من حافة عينيك

حملوني إلى السهول

سقطت من حافة عينيك

أخذوني إلى النوم

وسقطت من حافة عينيك

رفعوني كنكسيح الطير

أمسكوني وأغمضوا عيني

وأبعدوني

فرحت أبداً من جافة عينيك

أسقط إلى اللقاء

٢ - (من ؟) :

إذا انتحرت

والدائنون سيظنون بسببهم

المثل العليا ننتقل بسببها

وكل صديق خاصمته سيظن

ندماً : تسألني عنه بدهشتها الطاهرة

آه من جعله يفعل ذلك ؟

ومن ديوانه (نخباًنا الصواريخ في
الهياكل) لثرياء. ملحق رقم ٣٧ نختار
هذه المنظومة في ذكرى الوالدين وهذا
بعضها - (ذكرى الأم)

ذكرى الأم :

أمي ...

فانسري عني شيء بعض الشيء «

لففتُ أمي بذراعي

ضغطتُ على نحرى

لفظت اسمها : أمي . أمي

ضجر منى الفراغ

والتوى على جسدى

يأكل قلبي . كل قلبي

هرولت من قسوة الفراغ «

(ذكر الوالد) :

أبى :

فانسري عني شيء . بعض الشيء

رحت أمرغ رأسى على رأس أبى

أبحث عن ذراعيه

زلت قدمي من حافة التلال

تدحرجت من فوق الجبل إلى تحت

إلى صدى النداء

عدت أتسلي الجبل

هرولت من قسوة الوادى

وقطعة أخرى لها من ديوانها

(محاجر في الكيف) من قصيدة

ص ٣١٦ (وأكرر هذا الديوان نفثات

وطنية حاة) منها هذه القطعة .

غربتي تزداد كل يوم شبراً فشبرا

عيناي تنزلقان من وجهي فثراً فثراً

وعمارات تتلوى مغروسة كاشواك الغضا

دروب بلادى قواقع فارغة

تتدطى والآفاق فيها تنتحر

الذئاب رؤاها

ولعبة الأسود الكاسرة

تفضفض عظامها

تكوّم الجماجم القناطير

تشكسر النفوس سجداً

للفراغات الصغيرة

والقصيدة طويلة ، ولكنها على هذا

النسق من مرارة نفس تقاسى ألم

الغربة عن وطنها فاسطيين المحتلة

ومن هذا الطراز الوطنى القطعة

التالية من ديوان (زهرة اسمها الحب)

لجهد قاعجى يخاطب فيها تاريخ

العرب الفاتحين ، مقابلاً بحسرة

حارّة بين ماضيهم وحاضرهم نادباً
محدثهم الممتدود (من ٥٤)

أيها التاريخ !

كم أسافر في أرجائك فارساً

وأنهل من خبورك شاعراً

وأعزف معك البطولة شهيداً

ثم لا أجد حولي

سوى صراع بلا فروسية

وقاف بلا شاعرية

واستشهاد بلا بطولة

يا عمرو .. يا خالد .. يا طارق .. يا صلاح الدين

أهذه بلادكم ! وهؤلاء قومكم !

ومن نماذج هذا الشعر الجديد هذه

القطعة من ديوان لمي صايغ وهي من

النوع الرمزي ، الذي يلف الغموض ما فيه

من عواطف الشاعرة الحارة ، ننقلها

عن جريدة النهار (١٥ من تموز ١٩٧٤) .

وفيها تقول :

لست حجراً

تمطرني الحوانيت الملحومة الأبواب

بالأوكسجين .

دماً لا ذعاً كالمأساة

أتلجس طربقي بين الحرائق

وتعبر الأحزان جبيني

في الحارات المشتاقة

حيث تُصدّر زنايق الجبل البيضاء

حيث تُصدّر زهور الحناء

حيث يُصدّر الفلّ وعروق البرتقال

يبقى قبرك مجرداً إلا من زهرة

ولعل ما أوردناه من أمثلة الشعر الجديد

في وجهتيه الإيقاعية (أي القائمة على

التفعيلة الواحدة) ، والنثرية المطلقة

(المرسلة دون إيقاع خاص) كافٍ

لإيضاح طريقة إخراجها ، وهي طريقة

دراميتيكية رمزية تغلب فيها غرائب

الصور المجازية ، والألفاظ المبهمة

الدلالات والإشارات البعيدة المدى .

والواقع أن منها الشعر الجيد الممتاز

الذي ترى وراء غموضه الظاهري إبداعاً

في التصوير وتسامياً في الفكر . كما أن

منها ما لا ترى وراء غموضه غير تكلف

في محاولة التصوير وفراغاً من جمال

المعاني . والآن بعد النظر في شكله

الخارجي فانتقدم إلى النظر فيه نظرة

داخلية مع مقابله في ذلك بالشعر العروضي

الأصيل .

الشعر الحر والتصوير الفنى :

لامراء أن التصوير فى الشعر هو من أهم عناصر الجمال فيه : يستوى فى ذلك القديم والحديث المنظوم بلغة فصيحـة أو بلغة عامية . فالشعر بطبيعته مصور يجسم ما يستلهمه من الحياة والطبيعة بشكل أشد تأثيرا فى النفوس وأكثر إمتناعا لها . خذ مثلا قول امرئ القيس فى معلقته المعروفة ، إذ يصف ليلة أطبقت عليه بالهموم وقاسى فيها ما قاساه من عناء السهاد فقال :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى
فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل
ففى تصويره هذا الليل بحرًا تتابعت أمواجه بأنواع الهموم عليه ، وقد طال حتى كأن نجومه شدت بأمراس إلى صخور جبل (يذبل) يشعـرنا بما لانـشعر به لو قال . ليل طويل أسهدتنى فيه الهموم المتراكمة على .

ومن هذا القبيل وصف المتنـبى لسموء
حالة يوم كان مقيماً فى مصر على مضيق
عند أميرها كافور ، وقد أصابته حمى

زادته شقاء على شقاء . فقال من قصيدته
يصف الحمى وكانت تراجعـه ليلة بعد
ليلة :

وزادنى كأن بها حياة
فليس تزور إلا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت فى عظامى

يقول لى الطبيب : أكلت شيئا
ودأؤك فى شرابك والطعام
وما فى طبه أنى جواد
أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغبر فى السرايا
ويدخل من قتام فى قتام
فأمسك لا يطال له فيرعى
ولا هو فى العليق ولا اللجام

فتأمل هذا التصوير الرائع لسوء حاله ،
وهل كانت النفوس تهتز له لو أن الشاعر
اكتفى بأن يقول : أصابتنى حمى فى
مصر وأنا مكره على الإقامة فيها كالأسير
لدى أميرها كافور .

هذان مثالان من ألوف الأمثلة فى أدبنا
العربى على ما لحسن التصوير فى الشعر
من روعة وتأثير ، ولا سيما إذا كان الشاعر

ذا موهبة فنية عالية. ولقد امتاز بهذه الموهبة كثير من شعراء العربية قدماء ومحدثين. فأخرجوا لنا من بدائع تصويرهم روائع خالدة. ومعظم اعتمادهم فيها على جودة في التعبير البياني؛ من تشبيه واستعارة وتمثيل وكناية ومجاز مرسل وما إليها.

ونرى الشعر الحر الجديد يعتمد أكثره على الرموز والإشارات إلى أبعاد من المعاني والحقائق الإنسانية والاجتماعية وإليك للإيضاح بعض أمثاله .

يقول بدر شاكر السياب في قصيدته (قافلة الضياع) واصفاً حال الفلسطينيين الذين أكرهوا ظلماً وعدواناً على هجر أوطانهم واللجوء إلى أوطان أخرى . نشبت منها القسم الافتتاحي فقط :

أرأيت قافلة الضياع^(١) ، أما رأيت النازحين !

الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين

آثار كل الخاطئين^(٢)

النازقين بلا دماء

السائرين إلى وراء»

كفى يدفنوا هابيل وهو على الصليب
ركام طين^(٣)

قابيل ! أين أخوك؟ أين أخوك؟ جمعت
السما

آمادها لتصيح - كورت النجوم إلى
نساء

قابيل أين أخوك؟

يرقد في خيام اللاجئين^(٣)

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النسق من التصوير الرمزي وبعد الإشارات . وهي كما ترى مشبعة بروح النغمة الثائرة لما أصيب به بنو العروبة في فلسطين على يد غزاتهم المعتدين . إذ استولوا على بلادهم بمساعدة بعض الدول القوية ، فاحتلوا وطردها سكانها .

(١) يرمن بقافلة الضياع إلى هؤلاء المشردين الذين أضاعوا حقوقهم وأوطانهم .

(٢) أي الحاملين على ظهورهم آثام الذين ارتكبوا خطيئة إبعادهم وسببوا لهم كل هذه المعن .

(٣) و (٤) قابيل وهابيل هما ابنا آدم ويرمز بهما إلى الأخوة في الإنسانية أو الوطنية . وكان السما ونجومها تسأل الأخ الأكبر قاتل أخيه : أين أخوك؟ فإذا بها تسمع الجواب في خيام اللاجئين .

وقد لا يقتصر هذا النوع من التصوير الشعري على ذكر الأوطان السليبة ، وصب جام النعمة على مالبئها ومن ساعدهم على السلب . بل تتناول أحيانا الاعتزاز بماضيها وتاريخها الجيد والمباهاة ببطولات أبطالها السالفين . كهذه القطعة لأدونيس من مجموعة نشائده المنشورة تحت عنوان (قالت الأرض) حيث يعدد مآثر سكانها الأقدمين كالفينقيين مثلاً ، فيهتف هتاف القوى المعتر بقومه - (ص ٩) :

من غم هنا . من بلادنا نحن أقلعنا
شراعاً وموجةً ولا إلى

ومشيناً حرقاً على صفحة القلب

وحرقاً على شفاه الليالي

إن نشأ تترك الحصا زهراً حلوا

ونحفر على النجوم خطانا

نحن شئنا الدنيا جبالاً وحقاً

وبخلقنا للعالم الإنساني

إنه زهو شائع في الشعر الجديد الطموح ، الدائر على الأوضاع ، على أنه لا يخلو من الحسرة على وطن كان عندهم فيما مضى منشأ البطولات والأبطال ، فيبكون ولكن

لابعين البائس اليائس بل بعين الراجي المتطلع إلى عهد أعز وأكرم . عين تعلم بولادة ثانية لهذا الوطن الذي أدلّ بنيه توالى الكوارث والخنوع للطغاة ، وذهب بجيوشهم طول التردى في وهدة الهوان حتى غدوا فيه راقدين كالأموات . وفي هذا الجو المشبع بروح الحياة الجديدة تتجلى لنا في كثير من أقوالهم أسطورة البعل الفينيقي (تموز) كيف مات قتيلاً في جبال لبنان ثم كيف قام لايسها ثوب الحياة ، بل كيف يموت كل سنة في الشتاء ثم يقوم في الربيع مجدداً خصب الأرض ، ومن بدائع الرموز إلى ذلك ما تجلّى لخليل حاوي من رؤيا قيامه ثانية لوطنه الشرق ، على يد الأجيال الآتية ، بعد أن مرّ في طور عقم لا خصب فيه ولا إنتاج . وبخفقة رائعة من قلب الشاعر سجل لنا قلمه هذه الكلمة . مخاطباً الجيل القديم ، موتى الروح والطموح فقال : (ديوان ١٢٣)

لن تموت الأرض إن مُمّ

لها بعل إلهي قديم

طالما حنّت إليه عبر ليل العقم

أنثى وإلهة

أى تربة الأرض العطشى إلى

الخصب

فضها البعل ورواها

فغصت بالرجال الآلهة «

فامتلات الأرض من أبطال كآلهة

(وبنفحة من الأمل يتسائل بالسان

الوطنى الواله) :

أتري يولد من حبى لأطفالى وحبى

للحياة

فارس يمتشق البرق على الغول

(يشير إلى أسطورة مار جرجس

وقتله التنين)

« على التنين ! ماذا هل تعود

المعجزات ! »

أى (هل يعود الزمان فيخرج من

الشرق صانع المعجزات الذين خرجوا

منه فى قديم الزمان)

« بدوى ضرب القيصر بالفرس^(١)

وطفل ناصرى وحنفاة^(٢)

روضوا الوحش بروما ، سحبا

الأنياب من فك الطغاة

رب ماذا ، رب ماذا !

هل تعود المعجزات !

والذى يوازن بين الطريقة الشعرية

الأصولية والطريقة الجديدة الحرة لا يكاد

يجد فرقا بينهما ؛ من حيث اعتمادهما

على التصوير الفنى . فالشعراء فى كلتا

الطريقتين كثيراً ما يستعينون به

فى وصف وقائع الحياة وحنائفها لتبرز

فى شكل أشد تأثيراً فى النفس وأكثر

إمتاعاً لها . على أنهم يختلفون فى

أساليبهم التصويرية ومقاييسهم الجمالية

فالأصوليون قديما وحديثا يرون بلاغة

الشعر أو حقيقة جماله قائمة على حسن

البيان العالى ، ويعيبون الوعورة فى الألفاظ

وتكلف غير المؤلف ، أو البعيد فى الصور

المجازية . ولوجاءت من الشعراء المعروفين

بفصاحتهم وعلو مكانتهم . أو على هذا

الأساس أخذوا قديما على أبى نواس

(١) إشارة إلى النبی العربی وفتوح أنبائه .

(٢) إشارة إلى المسيح وإلى رساله الذين برغم ضعفهم فتحوا العالم الرومانى حامليين رسالته .

تصويره المال بشخص يمشى على رجليه
إذ قال يمدح أحدهم بالجوّد :

جاد حتى حصّد الفاقة واجتثّ السؤال
يا أبا إسحق لو أنصفتَ منك المال قال :

مال رجلٍ المال أمست

تشتكى منك الكُ لا

فانظر إلى هذه المجازات الغريبة
في البيتين الأول والثالث : حصّد الفاقة
واجتثّ السؤال ، وكلال رجل المال من
كثرة إرساله إلى العافين والمحتاجين .
ومثل ذلك في التصوير الغريب ما أخذوه
على أبي تمام من قوله واصفًا قائدًا بالشجاعة
والإقدام إذ هاجم في يوم شتوىٍّ شديد
الزمهرير والاعواصف ، فلم تصدّه أهواله
عن الهجوم بل خاضها حتى بلغ مبتغاه من
النصر . وقد صور الشاعر ذلك الشتاء بجمل
هائج صعب المراس على من يودّ ركوبه ،
لكن المدوح ضربه ضربة غادرته ذليلاً
طوع القياد . فقال فيه من قصيدة معروفة :

فضربتَ الشتاء في أخذعيه

ضربة غادرته قوداً ركوبا

ومما قد يؤخذ على أبي تمام من غرائب
المجاز وصفه لبعض أهل المكارم بأنهم

لا يبالون بما يصيبهم من أذى في صحة
أجسادهم ، إذا سلمت أحسابهم من ذلك .
فقال :

لا يأسفون إذاهم سميت لهم

أحسابهم أن تهزل الأعمار

فاستعمل السمانة للأحساب والهزال
للأعمار وحسب لا يستعملان عادةً إلا في
وصف الأجسام ، فمقاييس البلاغة الوصفية
التصويرية في نظر الأصوليين من الشعراء
تكون في أن الصورة المجازية غير بعيدة
عن المألوف في العقل . وليس تكلف
الغريب عن الفهم بجائز مستساغ إلا إذا
كان في استعماله ما يزيد الكلام قوة ،
والصورة المعنوية رونقاً وجمالاً . وإلا فهو
مستهجن عند الباطل .

ولما ظهرت الحركة الرومانسية في
أدبنا الحديث تدعو إلى حرية التعبير
الشخصي ، والإفلاخ عن التقاليد الكلاسيكية
وقيودها اللفظية والمعنوية . لم تهذب
مقاييس البلاغة في استعمال التصوير
المجازي بل وطّنتها وتوسّعت في طريقتها
القائمة على السهولة والوضوح ،
فاستساغها الذوق العام . وهكذا أصبحت
الرومانسية هي الطريقة الوحيدة المثلى
لنظم الشعر . على أن كثيرين من أتباعها

لم يُحسنوا الجرى عليها؛ فأسرفوا في استعمالهم السهل الواضح من التعابير حتى كاد النظم يفقد زخمة الشعر، فاتَّهمت الرومانسية بالميوعة والابتذال والتدني، لولا أن نشأت في هذا القدر طبقة من أرباب المواهب الشعرية العالمية الذين تداركوها، فإذا هي على أيديهم ذات قوة لفظية ورونق معنوي. والواقع أنها بفعلهم أصبحت رومانسية جديدة تمتاز بمتانة في الديباجة على علوبتها. وبعد في المرامي على إشرافها. وعمق في المعاني على سهولة الوصول إليها.

البعد المعنوي في الشعر:

الواقع أنه من المتعذر أن ننصل في الشعر بين حسن التصوير وبعده المعنى فهما عنصران الأساسيان للإبداع الفني فيه. والشاعر الشاعر هو الذي وهب المقدرة على الجمع بينهما في نظمته، فكان لكلامه روعته الخلاقة. وإذا كان شاعر قديم كأي تمام مثلاً يصف في شخصيته الرجل الطموح الذي لا يرى من سبيل

غير المغامرة واقتحام الشدائد لنيل الرغائب، فيخاطب من كانت تحاول صدّه عن سفر شاق ينويه في هذا السبيل فيقول لها:

ذريني على أخلاقي الصِّمّ للتي

هي الوفراً وسرب ترون نواديه

فإن الحسام الهندواني إنما

خشونته مالم تغلّ مضاربه

فلا عجب أن يهز نفوسنا اليوم كما هزها مدى الأجيال السابقة؛ بتصويره الغريب لحسام يختلف عن سائر السيوف في أن مضاء حده يقوم على تشام هذا الحد من كثرة استعماله في الضرب والنزال لا على سلامته وهو مغمّد دون استعمال. إن طالب الرغائب من الرجال هو الذي ينالها بهخوض الشدائد إليها، واحتمال الأذى في تنبيهاتها لا يتوخى السلامة وهو لا يث في منزله، قاعد عن مجابهة الأهوال

ومن هذا الطراز العالي تصوير أبي العلاء المعري مرارة نفسه لرؤيته في

الناس غرور المقصرين وتبجحهم في
التطاول على المتفوقين فيقول :

إذا عير الطائي بالبخل مادر

وعير قسماً بالفهاة باقل^(١)

وقال السهلي للشمس: أنت ضئيلة

وقال الدجى: يا بدر لونك حائل^(٢)

وطاولت الأرض السماء سفاهة

وفما خرت الشهبُ الحصا والجنادل

فياموت زُرْ، إن الحياة ذميمة

ويانفس جدى إن دهرك هازل

فالشاعر إذ يتأمل أهل زمانه . وما

يتملك الكثيرين بينهم من غرور
يدفعهم إلى التطاول على ذوى المآثر

والفضل، يحس في نفسه بمرارة تزهدده

في الحياة، فيعبر عنها بهذه الأبيات

تعبيراً صادقاً لا يسعنا معه إلا أن نشاطره

إياها، ونحن مع ذلك نشعر في تعبيره

الفنى بحلاوة تلك المראה .

وللبعد المعنوى في الشعر وجهان : وجه

ذاتى خاص، ووجه موضوعى عام . ويُراد

بالأول ما ينعكس عن نفس الشاعر أو ما يمر

بخطره من ومضات ذهنية ترينا مالا نراه

عادة من معانى الحياة وحقائقها . أو من

روائع الصور الجمالية فيها

خذ المتنبي مثلاً وهو من هو بين

الشعراء في تاريخنا الأدبى ، وتأمل ما

وعرف به من نظرات بعيدة في الحياة ،

تجد أنه لم يصطنعها اصطناعاً لذاتها ؛ بل جاءته

عرضاً في سياق بعض قصائده المخصصة

للمدح أو الرثاء أو غيرها من الأغراض

الخاصة، كقوله في قصيدة يمدح الأمير

سيف الدولة مهنثاً إياه بالعيد وظفره

على ملك الروم :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى

مضرك وضع السيف في موضع الندى

أو قوله في سياق قصيدة يصف فيها

شجاعة بدر بن عمار يوم هجم عليه

أسد هصور فصرع الأسد :

أنف الكريم من الدنيا تارك

في عيشة العدد الكثير قليلا

(١) الطائي وهو حاتم طيىء المشهور بكرمه في التاريخ - مادر هو رجل عرف بالبخل . فس خطيب جاهلى

اشتهر بفصاحة الكلام وحسن البيان و بافل رجل عرف بالحمق والفنى في الكلام .

(٢) السهى نجم ذ ونور ضئيل .

والعار مضاض وليس بخائف

من حتفه من خاف ممّا قبلا

قال ذلك مشيراً إلى ذلك الأسد إذ
أعطاه صورة البطل الأَبى الذى يخشى
عار الهزيمة أكثر من خشية الموت
فزاد تمجيد ممدوحه وتعظيمه لصموده
العجيب ، وفتكه بهذا الأسد الرهيب .

مثل هذه المعانى البعيدة التى تومض
للشاعر فى سياق وغرض ما لا تتأتى إلا
لذوى النظر الثاقب وفى مناسبات
خاصة . . وليست هى من قبيل السلاسل
الحِكْمية ، والأمثال التى تتتابع تتابع
الحلقات فى السلاسل ، أوحبات الخرز
أو الدرّ فى العقود ، فهذه تُصنع صنعا
وترتب ترتيباً فى سموط . خاصة ؛ ليستفيد
منها مطالعها حكمة أو معرفة وخبرة
كأرجوزة أبى العتاهية المعروفة بذات
الأمثال ، أو لامية ابن الوردى الموجهة
إلى الجيل الناشئ فى زمانه ومطلعها :
« اعتزل ذكر الأغاني والغزل »
أو ماشا كلهما من شعر حِكْمى وتشقيضى
ممتاز . أما تلك الومضات الذهنية التى
أشرنا إليها آنفاً ، والتى تتجسم المشاعر
بالفكر البعيدة خلال نظمه ، فهى شىء آخر .

وليس من المحتّم أن تكون هذه
الومضات تجسّما لنظرات فلسفية ، أو
لحقائق ، خلقية أو لقيم مثالية . فقد
تأتى أحيانا إبداعاً تصويرياً لبعض
المشاهد أو الحالات الحياتية العادية ؛
كقول أحمد شوقى مثلاً فى أبيات من
قصيدته « زحلة » أو « جارة الوادى » ،
كما يلقبها حيث يرسم لنا . مشهداً
خيالياً لمتحابين طال الفراق بينهما ،
ثم حظيا بلقاء سعيد : فيضع الشاعر
على لسان المحب الولهان وهو يحدث
الخبيرة ، واصفا لها شدة ولهه ، فيقول . :
وتغطّلت لغة الكلام فخاطبت

عينى فى لغة الهوى عيناك

ومحوّت كلّ لبانة من خاطرى

ونسيت كلّ تعاتب وتشاكى

لا الأمس من عمر الزمان ولا غدّ

جُمع الزمان فكان يوم رضاك

هذا الجمع للزمان فى يوم واحد وهو
يوم رضاها يُعد إبداعاً فى التصوير أو
أبعداً فى الخيال . وإن يكن الغزل هنا
غير واقعى ، فالقصيدة نظمت فى وصف
مدينة لبنان لا فى حسنة من الغوانى

الحسان . على أن للشاعر طريقته الخاصة ، وإنما نحن نعني بالبعد في تصويره الفني .

ومن هذا الطراز الفني العالى مايلي للأخطال الصغير شاعر ابنان من قصيدة ألقاها في الحفلة التأبينية التي أقيمت في بغداد لفصيل الأول ملك العراق وكان فيصل خلال الحرب الأولى القائد الأكبر للثورة العربية . قال يصف فيها حزن وطنه الشامل وولاءه للعروبة :
قد حملنا الشام من طرفيه
فوق بحر من الأسى متلاطم

وسفحنا في دجلة قلب لبنان
وأجفائه الهوامى الهوائى
عربي النجار شمد عراه

باللواتين: عبد شمس وهاشم
فإذا أنعمت النظر في هذه الصورة التي يرسمها الشاعر لحال وطنه وما كان يسوده من حزن عميم ، وكيف حمل الشاعر والوفد المرافق له هذا الوطن « من طرفيه » ؛ أى على اختلاف طوائفه وأقاليمه ، وكيف سفحوا في دجلة لب لبنان مع دموع سكانه ، ثم التفت

إلى تعريضه بمن يشك أو يجهل ولاء لبنان للعروبة التي يحمل لواءها الفقيد العظيم: سليل أمجاد قريش من « عبد شمس وهاشم » - إذا تأملت كل ذلك رأيت خلال هذه العبارات صورة عما فيها من أسى . مشرقة بنور بين من المعاني الجليلة . مثل هذه الأبعاد المعنوية الفردية يطالعك في مالا يحصى في الشعر العربي قديمه وحديثه . وقد تألفت في رومانسية قرننا الحاضر على أيدي نخبة من نوابغ الشعر ، بين الحربين العالميتين ولا تزال تتألق على أيديهم حتى الآن .

ومن الإنصاف أن نقرر هنا أن الشعر الحر الجديد لم يقصر في هذا المضمار ، على أن بينه وبين الشعر الأصيل اختلافاً في طريقة العرض للأبعاد المعنوية . ورسم الصور الملائمة لها . فلنقف ههنا لنلقى نظرة على بعض أوجه هذا الاختلاف بينهما .

البعد المعنوي بين الشعر الأصيل والشعر الحر الجديد :

مرّ بنا سابقاً أن للبعد المعنوي في الشعر وجهين : أحدهما ذاتي خاص ،

والثاني موضوعي عام . وأن الأول يتكوّن من ومضات ذهنية تعرض للشاعر خلال قطعة شعرية ينظمها لغرض من الأغراض . هكذا كان في عهود الكلاسيكية القديمة . وعلى هذا المنوال جرى في الكلاسيكية الحديثة . ثم ما خلفها من نزعات شعرية أخرى وبخاصة النزعة الرومانسية التي أصبحت - ولاتزال - طريقة النظم الغالبة في عصرنا الحاضر .

والذي يلاحظ أن هذه الومضات الذهنية راجعة في الأكثر إلى إبداعات مجازية في تصوير ما يتجلى للشاعر من معاني الحياة أو حقائقها . وهي عند التحقيق داخلية في ما يسميه البيانيون « البديع المعنوي » من تشبيه وتمثيل واستعارة ومجاز مرسل وسواها .

وإذا قابلنا الشعر الرومانسيّ الأصيل بالشعر الحر الجديد من حيث تصويرهما المجازي للمعاني وجدنا أن الأخير ، أي الحر . يُعنى باستعمال (التجسيم للمعاني) عناية خاصة بل هو يسرف فيه إسرافاً ظاهراً ؛ ويقصد (بالتجسيم) إعطاء المعنويات والجنادات خصائص العقلاء أو الأحياء ، وقد كان القدماء

يستعجبون بل يعيبن الإسراف فيه كما قدمنا في غير هذا المكان . على أن أرباب الشعر الحرّ عموماً يُقبلون عليه إقبالاً شديداً . ويأتون منه بما يستغربه الكثيرون من أهل الذوق الأدبي الأصيل ، وإن يكن منه كما في سواه الحسن المستجاد . وهاك بعض نماذج منه

من ديوان الحاوي . ص ٢٧ « أتجتُرُ
العمر مشلولاً مدميً » .

ص ١١١ « تولد الفكرة في السوق
بغياً » .

ص ١٩٥ « والثواني مَرَضَتْ . ماتت
على قلبي » .

ص ٢٢٣ « نعجنُ الوهمَ ونطلي
الجمجمة »

ص ٢٣٩ « تَرَفُّ اللُّؤْمُ نُحْلَى طعمه
بالنفاق » .

ومن ديوان الماغوط . ص ٦٣ « البواجر
التي أحبُّها تبصق دماً وحضارات » .

ومن ديوان البيّاتي ص ٣٠ « ضوء النهار
ينمّص أعوامي ويبصقها » (أباريق
مهشمة) .

ومن ديوان البيّاتي ص ٢٨ « والسُرُّ على
شِفَاهِهَا انتَحَرَ » .

من ديوان الفيتوري في قصيدته :
« أَحْزَانُ الْمَدِينَةِ السُّودَاءِ » يصف حالة بلاد
إفريقيا وشقاء أهلها ، يقول :

« وَتَجْرِي كَأَبَاتِهَا فِي عُرُوقِ الْحَيَاةِ - »

وتصبغ لون الحياة

وتصبغ وجه الإله

وتضحك أحزانها في الشفاه »

من ديوان حمجازي ٢٢٥ « رسالة إلى
مدينة مجهولة » :

« حَمَلْتُ كَأْسَ عُمَرَى الصَّغِيرِ فَارْغًا

لَمْ يَصْبْ فِيهِ قَطْرَتِي سُرُورِ »

ومن شعر أدونيس في قصيدة (المشردون) :

« يَا كُلُّ الْفِرَاعِ نَدَاؤُنَا

أَيَّامُنَا جُمِعَتْ عَلَى أَثْلَانَا »

أما الوجه الثاني من البعد المعنوي
فيتجاوز ما يمرّ في خاطر الشاعر عرضاً
من ومضات ذهنية نيرة تظهر له في سياق
بعض قصائده . فإن هذا الوجه في الواقع
هو المحور الذي يدور عليه نظمه . والغرض
الذي يرمى ، إليه وهو ينبعث في نفسه عن
تأثيره بأوضاع إنسانية عامة ، منها ما هو

واقعي مُشاهد ، كحالة وطنه مثلاً وما يقاسيه
من سوء الأحكام وعناء الحياة ، ومنها
مادو مثالي كتقديسه لقيم الحياة العليا
والتغنى بها والدعوة لها . كالحق والعدالة
والحرية والمساواة والسلام وإيثار المصاحبة
العامّة على الخاصة ، وما إلى ذلك من قيم
مثالية هي في اختيار البشرية الأسس
الثابتة لتقدم الإنسان وصلاحي حاله على
الأرض .

ولقد يمرّ الشاعر في حالات وجدانية
تدفعه إلى التأمل الفلسفي في الوجود والحياة
والمصير ، فيقف حائراً ، وفي وقفته هذه لا
يرى لديه ما يخفف ثقل حياته أو يهديه
في حيرته غير الارتفاع على أجنحة الخيال
إلى عالم من الرؤى يطيب له فيها المقام .
والذي يلاحظ . أن الشعر العربي قديماً لم
يحفل على العموم بمفارقة ما يتعلق
بالحياة بيئته المعيشية العادية . فهو قلما
يعكس لنا غير تلك الومضات الحكيمية
التي ذكرنا آنفاً أنها تتألق في بعض ما
كان ينظم في أغراض شتى ، حتى المعري
وهو كبير حكماء الشعر العربي الإنساني
لا يرى في لزومياته غير حملات مكبرة ،
يشحنها على ذوى الفساد من حكام وشيوخ

دين . وإلّا فأين تلك الأبعاد المعنوية التي
تبتكر المواضع المتخصصة للنظر في الحياة
وقضاياها والإنسان ومشاكله ، أو في
العوامل الفعّالة إما لرفع الحضارة البشرية
ودفعها إلى الأمام لأجل الخير العام ، وإما
للقوف في سبيلها وتعميم الخراب فيها
بيد الشر الهدّام ؟

تلك أبعاد نرى الشعر الحديث اليوم
أكثر احتفالا بها ، ولا سيما بعدما عظم فيه
شأن الحركة الرومانسية واتسع مداها ،
وكذلك ماتبعها من شعر حر يجري في
نظمه على غير طريقته . وإليك للمقابلة
بعض نماذج من كليهما .

خذ من الشعر الرومانسي مثلاً وقفة
لخليل مطران أمام الأهرام بمصر ، وقفها
لمجرد وصف تلك الصروح الجبّارة
والتغنى بأمجاد بُنائها من طغاة الفراعنة
بل للتأمل فيما هو أبعد من ذلك ، فهي
تتراءى له عبرة من عير التاريخ ، بل عظة
اجتماعية يلقىها الزمان على الطغاة المستبدين
من الحكام الذين يسخرون الأفراد
لآربهم الذاتية ، لا يهمهم ما يقاسيه
الناس من عناء وشقاء ولأما ، يذوقونه
من عذاب وحرمان أو موت ، ليشيدوا لهم

صروح أمجاد يتوهمون فيها خلوداً
لحياتهم وبقاء لعظمتهم وجبروتهم ، فتأمل
كل ذلك فقال من قصيدة مخاطبا الذين
شادوا الأهرام بتسخير المستضعفين ، لتكون
مدافن لهم يخلدون فيها ، وهام الآن جثث
بالية مدفونة مع طغيانهم واستبدادهم :
يا أيها الموتى أَلَمْ يسمعكم ؟

صوت المنادى صادقاً مردداً
قوموا انظروا الشعوب فيما حولكم
تدوس هامات الملوك همداً
قوموا انظروا أجسادكم معروضة
في مشهد لمن يروم المشهدا
وكان يغنيكم جميل الذكر لو
خفضم اللحد وشدتم للهدى

ولهذا الشاعر أكثر من وقفة كهذه
يصف فيها استبداد المستبدين وكيف
ساعت عاقبتهم ، ونشير هنا بنوع خاص
إلى قصيدته الكبرى (نيرون) والتي
يصف فيها حياة هذا الطاغية الروماني
ويختمها بقوله :

كل قوم خالقو نيرونهم
قيصرٌ قيل له أم قيل كسرى

ومن هذا القبيل وقفة لشاعر رومانسى
آخر، وقفها على نهر لندن عقب الحرب
العالمية الأولى وما كان من زهو الحلفاء
وفى مقدمتهم بريطانيا إذ خرجوا منها
منتصرين على الألمان وشركائهم . وعلى
هذا النهر حرّكت الشاعر ذكرى تلك
الحرب الهائلة، وعواقبها الوخيمة على
كلا الغالب والمغلوب (وكانت بريطانيا
يومئذ قد بلغت غاية عظمتها الإمبراطورية)
فتأمل فى الممالك العظمى التى سادت على
الأمم منذ القديم، وما آل إليه أمرها بعد
العز والطغيان فجعل وقفته وهو فى عاصمة
بريطانيا تذكيراً لذوى السلطان الآن،
وتحذيراً لهم من أحكام الزمان وهى
مؤلفة من عدة أدوار، وهذه بعض
أدوارها :

علّم بريطانيا أىّ عالم
رفعته فى الورى أجنادها
شيّدوا أمجادها بين الأمم
هل ترى تبقى لها أمجادها ؟
ذلك الأسطول خفاق البنود
ذلك الجاه وهاتيك الجنود
أم لكلّ أجلّ ثم يعود
ذلة عزّ ينيها والعلی
وعلى الأمجاد يستولى البلى

وبعد أن يستعرض فى بضعة أدوار
عدداً من الدول العظمى التى ازدهرت
فى التاريخ وسادت ثم تنهقرت فاندثرت
أوتضاءلت وأصبحت صغيرة لا شأن
لها .

يقول مخاطباً القوة المادّة حربيّة^١
أو مالية :

حكّموا فى الناس حيناً ومضى
حكّمهم تهزأ منه الحقّيب
حسبوا أن لن يزولوا وقضى
دهرهم فى عكس ما قد حسبوا
أيها القوة سبرى باحترام
وانظرى فى مدفن الدهر الرّمم
باليات فسيأتيك الجمام
وتصيرين كتلك الرّمم
بين أحداث البلى والعدم
ها هنا السيف سيعلوه التراب
ها هنا المدفع يصدأ فى الظلام
ها هنا الرمح سيبلى والحراّب
ويذلّ الفخر فى جوف الرغام
ليس للقوة سلطان الوجود
ليس للسيف العلى أو للجنود
إنما الحقّ سيعلو ويسود

أيها . القوة هلاً تعقلين

هاهي الحكمة تدعو العالمين

وقد يستلهم الشاعر أبعاده المعنوية العامة من بيئته السياسية أو الاجتماعية ، كما ترى في قصيدة للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي موضوعها (إرادة الحياة) وفيها ينعكس لنا شعور الشبيبة التونسية التواقية إلى أن تفرى بلادها حرة مستقلة من الاستعمار الأجنبي . وهذه بعض أبياتها . ومنها نستدل على روحها العامة (ديوانه ١٩٦٥) :

إذا الشعب يوماً أراد الحياةَ

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي

ولا بد للقيد أن ينكسر

وهي طويلة ، وقد ختمها بما يلي :

ورنَّ نشيد الحياة المقدس

في هيكلٍ حالمٍ قد سحر

وأعلن في الكون أن الطموح

حبيبُ الحياةِ وروحُ الظفر

إذا ظمئت للحياة النفوس

فلا بد أن يستجيب القدر

وفي ديوانه تتضح روحه بالدعوة إلى

الحرية والتنديد بالطغاة، كقوله من

أبيات مخاطباً طغاة العالم :

ألا أيُّها الظالمُ المستبدُّ

حبيبُ الفناءِ عدوُّ الحياةِ

سخرتَ بأذاتِ شعبٍ ضعيفٍ

وكفكُ مخضوبةٌ من دماء

وعشتَ تدنسُ سحرَ الوجودِ

وتبذرُ شوكَ الأسى في رُباهِ

وقد ينعكس الفكر الشعري البعيد عن

أمنية إنسانية أو فكرة فلسفية يرغب

في الحصول عليها أو إدراك كنهها

كما ترى في تلك الوقفات الفكرية

الحائرة التي يقفها بعض شعرائنا

الرومانسيين ، كما فعل مثلاً إيليا أبو ماضي

في عدد من قصائده المعروفة ، أكتفي منها

للتمثيل الآن بتلك التي جعل موضوعها

(العنقاء) . والعنقاء طائر خرافي وهو

عند العرب أحد المستحيالات الثلاثة

ويرمز بها إلى السعادة التي يقضي الإنسان

حياته . مفتشاً عنها ساعياً للاهتمام إلى

مكانها ، ولكنه لا يمتد إلى الاوشمس حياته

قد أشرت على الغروب ، يقول في
مطامعها :

أنا لست بالحسناء أول مولع
هى مطعم الدنيا كما هى مطعمى
ثم يجرى فى حديثه عنها فيصف
سعيه طوال حياته للحصول عليها؛ يسأل
كل إنسان ويفتش كل مكان . حتى إذا
بلغ آخر العمر وقف يصف لنا فى ختامها
نتيجة طوافه ، وقد استولى عليه القنوط
فقال :

حتى إذا نشر القنوط ضبابه
فوقى فغيبنى وغيّب موضعى
وتقطعت أمرارى آمالى بها
وهى التى من قبل لم تنقطع
عصر الأسى روحى فسالت أدمعاً
فلمحتها ولمستها فى أدمعى

وعلمت حين العلم لا يُجدى الفتى
أن النى ضيعتها كانت معنى
وإذا كان الشعر العروضى الحديث
لا يعتمد عادةً على الرموز والأساطير
الغامضة فى ابتكار المواضع لأبعاده المعنوية
كما يعتمد الشعر الحر الجديد فإنه
لا يخلو منها ، كما نرى فى ديوان الشاعر

الرومانسى الكبير إلياس أبو شبكة حيث
يعرض لنا قصة شمشون الجبار
الواردة فى سفر القضاة من التوراة
وما كان من أمره مع الفلسطينيين أعداء
قومه ، وكان شمشون قاضياً (أى زعيماً
أو رئيساً) لقومه ، وقد نذر أبواه لله
منذ ولادته ، فوهبه ربّه قوة جسدية فائقة
على أن لا يعلو مقصّ شعره . وظل كذلك
حتى انحرف عن سبيل الله وعكف على
شهوته الجسدية . ثم فتن بهشت هوى من
الفلسطينيين اسمها دليلة التى أغوته
بطلب من قومها لتعرف سرّ قوته الجبارة
فأنامته وقصّت شعره لما أيقنت من
فقدانه القوة التى كان يتغلب بها على
أعدائه ، وسلمته إلى قومها فقبضوا عليه
وقاعوا عينيه وقيدوه بالسلاسل وزجّوه
فى السجن .

وفى ذات يوم استاقوه إلى بيت صنم
لهم ؛ ليتفرج عليه الشعب ويضحكوا
من حركاته . وهناك هاجت فيه روح
النقمة على نفسه وعلى آسريه . فتحايل
حتى قبض بكلمات يديه على العمودين
القائم عليهما سقف البيت وضغطهما
ضغطة زعزعته ، فسقط على جميع من

كان فيه . وهكذا قضى شمشون وأصبح
أسطورة في التاريخ وعبرة للاعتبار .
هذه الاسطورة المأساة اتخذها أبوشبكة
موضوعاً لمعنى شعري بعيد ، وختمها بالأبيات
التالية التي وضعها على لسان ذلك الجبار
إذ قال :

فاسقطى يادعائم الكذب الجاني
وكونى أسطورة للدهور
مَحَقَّ الله في شر ظلامي
فلتضىء في الحياة حكمة نوري
إذ تكن جزّت الخيانة شعري
في ضلالي فقوتي في شعوري
ولنتحول الآن إلى الشعر الحر :

أما وقد عرضنا بعض نماذج تمثل البعد
المعنوي في شعرنا الأصيل ، الجارى على
الطريقة الرومانسية الحديثة ، فلنتحول
مقابل ذلك إلى عرض نماذج من الشعر
الحرّ الراض لهذه الطريقة ، وقد رأينا
للاختصار أن نختار هنا ثلاثة فقط ممّن
يمثل شعرهم هذه الحركة الانقلابية .

ولعله من المفيد أن نقف هنا لنتلفت
ولو لحظة إلى ما سبقت الإشارة إليه من
خصائص يعرف بها كل من هذين

الشعرين (الأصيل والحر) اللذين
يتجاريان اليوم في حلبة الشعر المعاصر
كأنهما فرسا رهان .

فالأول من حيث الشكل : أصولي
محافظ على نظام الأبحر الشعرية المعروفة
مع اعتماده على الحرية التامة في استعمال هذه
الأبحر على طرق شتى ؛ من عمودية أو
توشيفية أو مُجَزَّاة إلى مقاطع وتراكيب
وأشكال جديدة لم تعرف من قبل ، وما يتبع
هذه التراكيب والأشكال من تفنن في
استعمال القوافي المتماثلة أو المتنوعة ، وكذلك
اعتماده على أصول البلاغة اللفظية ؛ من
إشراق بالألفاظ وسلاسة في العبارة ،
ومتانة في الديباجة .

ومن حيث المضمون تحرره من النزعة
الكلاسيكية القديمة التي كان الشعر فيها
مُخَصَّصاً لخدمة أفراد من العظماء والحكام
أو يكرّس لأهواء شخصية ومآرب ذاتية
من مدح وذم وفخر وغزل واستجداء
وحماس وحكمة ، وما إليه من أغراض
الشعر التقليديّة القديمة ، وانطلاق في
أجواء الحياة العامة وما ينشأ فيها من
قضايا اجتماعية وحاجات اقتصادية ومشاكل

سياسية ومطالب إنسانية ، وبكلمة واحدة كل ما يتطلبه تطور المجتمع البشرى وتقدم الإنسان ماديا وروحيا .
أما الشعر الحر الجديد فأهم خصائصه ما يلي :

١- أنه رافض لنظام الأبحر العروضية وما يتعلق بها من قيود وأحكام .

٢- أن شكله الخارجى عبارة عن مقاطع قائمة ؛ إما على أساس التفعيلة الواحدة وعلى قوافٍ ليست ضرورة على نسق واحد فى العدد والترتيب ، وإما على طريقة الإرسال النثرى المطلق من كل قيد من قيود الشعر . كما أوضحنا ذلك فيما سبق .

٣- أنه يعتمد على الأسلوب الرمزى فى ألفاظه ودلالاته سواء فى ذلك القريب منه (أى الواضح الدلالة للأفهام) أو البعيد المتحجب وراء حجب كثيفة من الغموض .

٤- أنه كثيراً ما يركز على الأساطير ويشير إليها فى سياق عرضه لموضوع من المواضيع ، أو تجربة من التجارب .

وهناك خصائص أخرى ستبرز لنا فيما اخترناه من نماذجه التالية .

مختارات من الأبعاد العامة
فى الشعر الحر :

من باب الوجدانيات . أى التجارب النفسية الخاصة :

قطعة من ديوان خليل حاوى فى قصيدة (حبّ وجلجلة) وكان يومئذ طالب علم فى جامعة بريطانية . يعانى وحشة البعد عن وطنه لبنان وقد ألمّ به مرض أقض مضجعه ، حتى كان يشعر باياليه وهو « ياهد كأنها جلاميد ثقال تضغط على صدره . وفى تلك الحال تراءت لنفسه صورة وطنه وأهله وأحبائه ، وكأنهم ينادونه أن يعود إليهم ، فيتجلد رغم شقاء حاله ويصيح :

« آه ربى .. »

صوتهم يصرخ فى قبرى : تعال

كيف لا أنفض عن صدرى الجلاميد

الثقال - الجلاميد الثقال . !؟

كيف لا أضرع أوجاعى وموتى

كيف لا أضرع فى ذل وصمت ؟!

ردّنى ربى إلى أرضى

أعدنى للحياة «

ولكنه برغم ما كان يشعر به من شقاء
وَألم في غربته يتابع سيره رغم محنته
رجاء العودة إليهم ظافرا :

« وليكن ما كان ما عانيت منها

محنة الصلب وأعياد الطغاة

غير أنني سوف ألقى كل من أحببتُ

من لولاهم ما كان لي حياة

بعث . وحنين . . وتمنى »

وفي رجائه يتحدى محنته وما يقاسيه
في منفاه من مرض واغتراب ، فيخطبهم
منفخراً بهم وبوطنه :

« أنتم أنتم أنتم يا نسل إله

دمه يُنبئت نيسان التلال

أنتم أنتم أنتم في عمري

مصابيخ . مروج . وكفاه

وأنا في حبكم . في حُبكن

وفدى الزنبق في تلك الجباه

أتحدى محنة الصلب

أعاني الموت في حُب الحياة »

إنه الشباب الطامح إلى العلى الذى

يتحدى في سبيله العذاب والشقاء ،

فلا يخضع لضعف فيه أو لميل يغريه ، أن

يحول دون بلوغه . أمانيه ، الطموح للعلى ،
هدفها هو المعنى البعيد ، في قطعة صور لنا
فيها الشاعر حاله وهو بعيد في دار غربته .

وهذه . قطعة أخرى من ديوان الحاوى

موضوعها (المحبوس في أوربا) استوحاها

من قصة وردت في الإنجيل عن مجوس

جاءوا المشرق يوم ولد المسيح مهتدين

بنجم إلى المغارة التى ولد فيها حيث

خروا للطفل ساجدين . وهى في الواقع

مقابلة شعرية بين أولئك المجوس

القدماء وما اختبروه في جو تلك المغارة

وبين مجوس من أهل هذا العصر أقبلوا

من المشرق أيضا إلى حيث ولدت حضارة

العلم الحديث في الغرب ، وما اختبروه

في جو هذه الحضارة . في ليلة الميلاد

الأولى سجد المجوس خاشعين أمام طفل

إلهي تمثلت لهم فيه السماء على الأرض :

السلام والمحبة والسمو الإنسانى .

أما المجوس العصريون فماذا وجدوا وإلى

أين قادهم نجمهم وما وجدوا في ليلة

الميلاد أحيوها في الغرب ؟ يحدثنا الشاعر

وهو أحدهم بطريقة الرمزية فيقول :

« ساقنا النجم المغامر

عبر باريس بلدونا صومعات الفكر

عَفِينَا الْفَجْرَ فِي عِيدِ الْمَبَاخِرِ

وَبَزَوْمًا غَطَّتْ النُّجُومُ مَحْتَهُ

شَهْوَةً الْكَهَّانَ فِي جَمْرِ الْمَبَاخِرِ

ثُمَّ نَضِيعْنَاهُ فِي لَنْدَنِ . ضَعْنَا

فِي ضَبَابِ الْفَحْمِ فِي لَغْزِ التَّجَارَةِ

(فَإِذَا هُمْ فِي لَيْلَةٍ مِيلَادِيَّةٍ لَا نَجْمَ فِيهَا
لَا طِفْلَ سَمَاوِيٍّ مَوْلُودٌ بُشْرَى لِلْبَشَرِيَّةِ) .

لَيْلَةَ الْمِيلَادِ . نَصَفَ اللَّيْلَ . ضَيْقَ

شَارِعٍ يَفْرَغُ . ضَحِكَاتٍ حَزِينَةٍ

وَانْحَدَرْنَا فِي الدَّهَالِيزِ اللَّعِينَةِ

لِغَارَاتِ الْمَدِينَةِ

أَعَيْنُ ثَرْتُدُ مِنْ بَابِ لِيَابِ

أَعَيْنُ نَسَّالَهَا أَيْنَ الْمَغَارَةِ »

فَإِذَا أَمَامَنَا بَابٌ مَضَاءُ بِضُوءِ أَحْمَرٍ

وَعَلَيْهِ حَفَرَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ : أَنَّمْ هُنَا وَهَذَى

هِيَ الْجَنَّةُ . فَادْخُلُوهَا آمَنِينَ . .

جَنَّةُ الْأَرْضِ هُنَا لَا حَيَّةٌ تُغْوَى

وَلَا دِيَانٌ يرمى بِالْحِجَارَةِ

هَهُنَا الْوَرْدُ بِلَا شَوْكٍ

وَهُنَا الْعُرَى طَهَارَةٌ

اخْلَعُوا هَذَى الْوُجُوهِ الْمُسْتَعَارَةَ

(وَدَخَلْنَاهَا مِثْلَ مَنْ يَدْخُلُ فِي لَيْلٍ

الْمُتَحَابِرِ فَسَحَرْنَا مَرَأَى أَجْسَامٍ تَقْلُوى ،

وَأَنْوَارٍ تَتَرَاقَصُ وَأَلْحَانٍ تَتَأَخَذُ بِمَجَامِعِ

الْقُلُوبِ ، وَرَكَمًا فِي جَنَّةِ الْأَرْضِ نَحْشَعَا

لِسَحْرِ الْعَالَمِ الْبَادِي) .

وَعَبَدْنَاهُ إِلَهًا يَتَجَلَّى فِي الْمَغَارَةِ

يَا إِلَهَ الْمُتَعَبِّينَ !

يَا إِلَهَ الضَّائِعِينَ !

يَتَخَفَّى فِي الْمَغَارَةِ

فِي كَهُوفِ الْعَالَمِ السُّفْلَى

فِي أَرْضِ الْحَضَارَةِ

فِي هَذِهِ الْحَضَارَةِ الرَّمْزِيَّةِ الْمُثِيرَةِ نَرَى

الْفَرْقَ بَيْنَ مِيلَادِ الطِّفْلِ الْإِلَهِيِّ كَمَا رَأَاهُ

الْمَجُوسُ الْقَدَمَاءُ ، وَمِيلَادِ التَّرَفِّ الْمَادِيِّ فِي كَهُوفِ

الْحَضَارَةِ الْحَدِيثَةِ . وَهَكَذَا يَنْتَقِلُ بِنَا الشَّاعِرُ

بِالرَّمُوزِ مِنْ تَصْوِيرِ الْوَاقِعِ إِلَى مَا وَرَاءَهُ

مِنْ أَبْعَادٍ مَعْنَوِيَّةٍ .

وَلِخَلِيلِ حَاوِيٍّ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الرُّوَائِعِ

الرَّمْزِيَّةِ ذَاتِ الْأَهْدَافِ الْبَعِيدَةِ لِمَرَامِي

الْفِكْرِ مَا تَتَلَأَّلُ الْمَعَانِي الْبَعِيدَةِ وَرَاءَ غَمُودِهِ

وَلَكِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَمَعَانَاةٍ لِتَرَاهَا

واتشعر بلذة الكشف عن أسرارها .
على أننا إذا التفتنا إلى الشعر الحرّ في
أجوائه الواقعية من سياسية أو اجتماعية
أو وطنية وجدناه على العموم أوضح
رموزاً وأقلّ توغّلاً في ظلمات الغموض
المعنوي . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

قصيدة (الجندى المجهول) لصلاح أحمد
إبراهيم في ديوانه غابة الأبنوس ص ٦٣ ،
حيث نراه واقفاً موقف المتهكم من وعود
الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية . فقد
كان الحلفاء يغرون شباب السودان
بالتطوع للمجهود الحربي ضد الألمان
واعدين هؤلاء الشباب بنعمة الحية
والاستقلال لوطنهم متى تم النصر لهم .
وقد تم النصر للحلفاء ، ولكن الشباب
السوداني لم يحظ من ذلك إلا بإقامة
نصب رخامي للجندى المجهول ، مما حفز
الشاعر أن يقول في قصيدة تهكمية .
«وقضى الحلفاء على القوات النارية

وعلى الوعد في الشدة مدود في كل مكان
لم يبق لنا منه سوى الكلام المعسول
ورخام منتصب مصقول» .

وما أشبه هذا القول بقول الأنخل
الصغير في مرثاته الفيصل الأول منوهاً
بوعود الحلفاء للعرب . ثم حنثهم بتلك
الوعود إذ يقول بطريقته الرومانسية
في وعودهم الفارغة :

أملُ كالسماة في بسممة الفجر
وفي موكب الرياض الفواغم
فرمّذ مدّت الأكفّ إليه
كفرار النعيم من كف حالم
حدثونا عن الحقوق فلما
كبر النصر أخرجتنا التراجم
نفحتنا بها الحروب سلاما

رمانا بها السلام أدهم^(١)
وفي هذه الأجواء الواقعية فيه نجد
للشعر الحر نشائد تكرست للمجاهدين
في سبيل الحرية أو المثل الإنسانية محتملين
عذاب الاضطهاد أو مضحين في هذا السبيل
بالأرواح والأجساد ، كقصيدة لبدر
شاكر السياب في بطولة جميلة بوجيرد

إذ يقول منها :
« يانفخة من عالم الآلهة
هبت إلى على أقدامنا التائهة

(١) الأدام : القيود .

لا تمسحها من شواظ الدماء

أنا ستمضي في طريق الفناء

حتى تُروى من سيول الدماء

أعراق كل الناس - كل البحور

حتى تمس الله - حتى تثور » .

ومن هذا القبيل قصيدة لعبد المعطى

حجازي ، موضوعها «بغداد والموت ص ١٨٠ »

حيث نلمس شعوره العميق بالأسى لحال

هذه المدينة العربية عقب مصرع وطني

حر فيها بيد الطغيان ، إنه يبكي لحال

تلك المدينة ، فيقول ناقما سكوتها

عما حدث :

«بغدادُ دربُ صامت وتبة على ضريح »

دُبابة في الصيف لا يهزها تيار ريح

نهر مضت عليه أعوام طوال لم يفيض

وأغنيات محزنة »

ويستمر على هذا المنوال واصفا شقاءها

حتى يتحول الأسى في نفسه إلى نفحة ، إذ

يتخيل ذلك الوطن الشهيد حياً يخاطب

من قبره مواظبه صائحا : «متى الثأر ؟ » ،

وقد وضع على لسانه هذه العبارات :

«من قاع حفرتي سمعت قصتي تطوى

البلاد

كالطائر الليلي يبكي ويبذر السهاد

بغداد ! طفلك القليل ساهر تحت الرماد »

منتظران تكتبني بالفأس تاريخ المعاد .

وهنا تومض للشاعر فكرة عن الحياة

والموت فيعكسها لنا في معنى بعيد إذ

يقول :

«الموت ليس أن تُوارى في الثرى

ولا الحياة أن تسير فوقه

«الزرع يبدأ الحياة في الثرى »

ويبدأ الموت إذا ماشته

فامنح هواك للذي يحييا

واعط للتراب ما استباحوا خنقه

فإن تموت يا مسيح إنما

على الصليب ينتهي من دقه » .

وفي رزمه إلى الصليب والمسيح قد استوحى

معناه البعيد؛ وهو أن الحق لن يموت وإنما

يموت الذين يلدقون مساميره في أيدي

الشهداء من أهل الحق .

ومن واقع السجن يستوحى مثل هذه

الأبعاد المعنوية إذ يقول في قصيدته

السجن (٢٥٦)

«لى ليلة فيه

وكل جيلنا الشهيد

عاش لياليه

فالسجن باب ليس عنه محيد .

السجن عنده باب لا عار من أن يدخله
المجاهدون الأحرار . ولكن هناك سجونا
ليست ذات أسوار وأبواب مثقلة بالحديد
هى سجون معنوية أشد وأقسى ، يقول :
« والسجن ليس دائماً سورا وبابا من
حديد

فقد يكون واسعا بلا حدود

كالليل كالتيه ، نظل نعدو فى فيافيهِ
حتى يصيبنا الهمود » .

هو جفن نطويه على الضيم فى صمت وتخفيه ،
أو ساق لا تقوى على غير القعود فى عالم
لا يعطينا ما ترومه قلوبنا الطامحة ، وهو
أرض لا أهل لنا فيها ولا صديق .

كلمة ختامية

الآن بعد هذه الجولة القصيرة
فى أرجاء الشعر الحر الجديد ، وما يدعو إليه
من انقلاب فى نظام شعرنا العربى ، نرى
لزاما علينا أن نقف متسائلين : هل
من مبرر لهذا الانقلاب ؟ وهل حقاً
أن النظام الشعرى الأصيل أضيق من أن

يحسن التعبير عن أبعاد الحياة الحديثة ،
بمتطلباتها المادية المعنوية ؟ سؤال يتحدانا
جميعاً لعل فى كلمتنا الختامية هذه
بعض الجواب عنه .

إذا تخلينا عن عصبيتنا للشعر العربى
الأصيل ، وما طالما اهتزت له نفوسنا
كما اهتزت له نفوس الأجيال قبلنا
من روائع فكرية ، وعواطف ذات أوزان
شجية ، فإنه لايسع الباحث منا
إلا أن يهتم بما يحدث فيه اليوم من انقلاب
جذرى ، فى طريقة إخراجهِ وفى الأسباب
التي دعت إليه وآلت إلى انتشارهِ ، فإن
شعرا مثله غريباً عن المقاييس العربية
فى ألفاظه وأوزانه بعيداً عن الأفهام
العادية برموزه وألغازهِ ، يجتذب فى
النصف الثانى من قرننا الحالى جمهرة
من نشئنا الأدبى ، يقبلون عليه ويرون
فيه ما يطرِبهم ، بل يروى ظمناً نفوسهم
لحرى بأن ينظر إليه بعين الاعتبار
وأن يُعطى حقه من الدرس والاهتمام .
ولست أنا من دعاة هذا الشعر أو
الضاربين بسهم فيه ، وقد نشأت
فى جو غير جوه ، وشاركت أول اطلاعى
عليهِ المتنكرين له ، لكن ذلك لم يحل

دون رغبتى فى مواصلة الاطلاع لأتفهّمه
ولا تعرف الدوافع التى حملت أربابه
على التحول عن الأصالة الشعرية التى
عرفناها فى الأدب القديم ، كما عرفناها
فى الأدب الحديث الذى وطّدها فى
القرن العشرين ، فى رومانسية جديدة
متحررة من قيود الكلاسيكية التقليدية
متفتحة على عالم الواقع والحياة الإنسانية
العامّة ، وذلك بعد أن مرّت فى طور من
الانطوائية الذاتية تعيش لنفسها فى عالم
الخيال منشدة عواطف الحب ، والجمال
فى نفثات من الأسى ، لما حرّمها الزمان
من رغائب وآمال ، هذه الرومانسية
الجديدة التى تجمع بين المثل العليا
وواقع الحياة هى التى تبثّها أعلام
القرن العشرين ، فأخرجوها من منعزلاتها
الذاتية ، وأنزلوها من أبراجها العاجية

وجعلوها تطوف المدن والأقطار : وتعنى
بحياة الأفراد والجماعات . وتدافع عن
حقوق الإنسان وتحمل على الظلم والعدوان
ناشرة لواء الحرية والنور ، فى مجتمع
يسعى إلى حياة أسعد ومستقبل أزهى
وأفضل .

ولعل الشعر الحرّ الجديد هو أيضا يسعى
إلى هذه الغاية كما يظهر لنا من مطالعته .
بقى أن نتساءل : أى الطريقين هى الأصالح
للوصول إلى هذه الغاية ؟ وأيهما ستعيش
وتبقى مع الزمان ؟ إن الجواب عن هذا
السؤال شخصى ، أتركه لمن يهتم به من
أصحاب المواهب الشعرية ، وإنما الحكم
الأخير فى كل حال للزمان .

أنيس المقدسى
عضو المجمع من لبنان



الشعر الحرة

ومكانه من الشعر العربي

للدكتور عبد الرزاق مجبى الدين

في الآونة الأخيرة بين المتأدبين وبخاصة الناشئة منهم نظم الشعر على أسلوب جديد يختلف عن الأسلوب العربي الذي درج عليه الشعر، من التزام للوزن والقافية، ومن تقييد بأسلوب البيان العربي في جملة ما كان الخروج على الوزن والقافية في هذا الشعر الظاهر الوحدة فيه ليتمكن أن تتجاوز ونفص الطرف عنها ولكن التمازج تناول البيان العربي بجملة على وجه لا يصح السكوت عليه .

وسأبدأ بمقدمة موجزة أحدد فيها صور البيان العربي المختلفة؛ لنشخص المجال الذي يشغله هذا الشعر بين صور البيان ولنشهد فيما إذا كان ما يسمى بالشعر الحر شعرا عربيا أو نثرا عربيا، أو هو شيء ليس من الشعر ولا من النثر العربيين .

بوجه عام قسم العرب كلامهم إلى شعر ونثر ، وقسموا النثر إلى علمي وأدبي ، وفرقوا بين ما يكون نثرا علميا أو نثرا أدبيا؛ بأن النثر العلمي تسوده الدلالات

الحقيقية الأولى . وتثقل وتندر فيه الدلالات المجازية ، ولا يتكلف فيه قدر محدد في أبعاد الجملة وأطوالها، ولا جرس معين في نهاياتها. وفي النثر الأدبي ألفوا من حيث الشكل أن يكون نثرا مرسلا أو مفصلا مزدوجا لا يلتزم نهاية بعينها، وإن التزم قدر ما تشابهها أو مقاربا، ونثرا مسجوعا وهو ما يلتزم أبعادا متقاربة في الجمل والتزاما محدد في النهايات، إلى الاكثار من إيراد المعاني المجازية كثرة بخرج به عن أن يكون نثرا علميا ياتزم الحقائق الأولى في التعبير، لكنهم وقد استجازوا الخروج إلى المجازات في البيان الأدبي اشترطوا شروطا للخروج بالمفردات عن معانيها الأولى . بحيث يكون القصد واضحا، والخروج باللفظ عن معناه مقبولا . وذلك ما تكفل به عالم البيان .

أما الشعر فقد اختصوه بظاهرتين : إحداهما تتعلق بمضامينه والأخرى بشكله وهيئته ففي المضامين ألفوا أن يخرجوا بالألفاظ عن معانيها الحقيقية خروجا بالغا ، بحيث تغطي المجازات على الحقائق طغيانا واضحا أحيانا

وإن تكن الحقائق هي المرادة على أى حال .
وهنا مواطن الفنية في الشعر والصعوبة في التأتى
له بذلك أن تقول شيئاً ونريد شيئاً آخر . وأن
يفهم منك السامع الشيء الذى لا تقوله وأن
يستحسن منك التصرف الذى أوقعته بالألفاظ
وبالمعاني من تجاوز . ولعله لهذا ألمع القائل حين
قال : إنما الشاعر البحتري وأبو تمام والمتنبي
حكيمان . ومن هذا الملاحظ عدل أبو العلاء
شاعراً في ديوانه سقط الزند . وحكيماً في ديوانه
اللزوميات ، لأنه استعمل الحقائق التي في غالب
اللزوميات ، وبلدت وكأنها سرده لحقائق حكمية
يصلح لها النثر أكثر مما يصلح الشعر .

ولهذا لم تكن الحكمة في الشعر بذاتها وفي
الأمثال المنتشرة (وإن تكن قيمة) مجال
الإعجاب والإكبار ، وإنما مجال الإعجاب فيها
بقدرتها على التجاوز إلى معاني أخرى مجازية
بالنسبة لها .

فالحكمة في شعر زهير بن أبي سلمى .
لا ينظر إليها بإعجاب حين تلحظ من جانب
الحقائق التي وردت فيها . وإنما من حيث
مجالات استعمالها في مواطن شبيهة بها مجازاً ؛
أي حين توردها مورد الاستعارة التمثيلية
فقوله مثلاً .

ومن لم يند عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم
أو قوله :

ومن لا يصانع في أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

حين تقف بها عند حدود مادلت عاينه
الألفاظ من حقائق (وإن تكن قيمة) لم يكن
لما أوردته كبير أثر في نفوسنا ، إنما نستشعر
الطابع الشعري في الطاقة التي تحماتها
الآبيات بتجاوز الحقائق الأولى منها إلى
الحقائق التناوية .

كذلك الحال في قول أبي الطيب المتنبي :
ووضع الندي في موضع السيف بالعدى
مضر كوضع السيف في موضع الندي

ليس الذي بهرنا منه الحقائق التي دلت
عليها جملة من معاني : ووضع الندي في موضع
السيف بالعدى مضر ، أو كوضع السيف
في موضع الندي . إنما الذي بهرنا
ومكن له في أن يفعل في نفوسنا الطاقة التي
تحملها هذا البيت من معان . فتنقلنا إلى مجالات
أخرى ليس فيها السيف والندي والعدى . هو
مثلاً : وضع الأناة في غير موضعها ، والهجوء إلى
العنف واللين بأولى منه . والصفح في مقام
يكون العقاب والقصاص أجدر ، إلى غير ذلك
من مجالات .

وتمسك بهذه الخاصية التي تعتبر الميزة
الأولى للنثر الأدبي وللشعر بخاصة وأعني بها
استعمال الألفاظ في غير معانيها الحقيقية .
وتلافياً لما يمكن أن يقع فيه الشعراء من تجاوز
على القيم والطاقات التي تتحملها المفردة في
الاستعمال ، التزم العرب قوانين تنظم عملية
التصرف في اللفظ : ولم يتركوا الأمور
بحيث يباح للأديب أو الشاعر أن يطلق

اللفظ ، ويريد ما شاء . إيماناً منهم بأن لكل مفردة أبعاداً معينة في مجالات الاستعمال إذا خرجت عنها أو تجاوزتها فقدت الكلمة طاقتها الدلالية . وظلت مجرد صوت ليس من ورائه معنى مفهوم ، ولقد تكفل بتنظيم عملية التصرف بالألفاظ علم البيان كما ألقينا سابقاً ، فلم يبح للأديب وللشاعر أن يتصرف في اللفظ ، وينقله إلى غير معناه ، إلا أن تكون هناك صلة بين المعنيين . يدركها ويحس بها السامع ، فإن لم تكن هناك صلة يتحسسها السامع تحسناً كما لو كان على علم مسبق بها ، فليس للشاعر ولا للأديب أن يتصرف في اللفظ . ذلك أن عملية التفهم شركة بين المتحدث والمتحدث إليه ، ليس لأى منهما بمفرده أن يدعيها بمنأى عن الآخر ، فإذا ادعاهما المتحدث ولم يستشعرها السامع كان المتحدث مغرباً غير مبين . وإذا ادعاهما السامع ولم يقصدما المتحدث كان السامع محرفاً أو مثولاً بغير دليل . ولن يتم فهم سليم بين المتحدث والمتحدث إليه إلا حين يكونان على أمر سواء من العلائق ، نظير ما يكرنان عليه من علم بالحقائق اللفظية للكلمة . لهذا عيبت المفردة الغريبة ، والاستعارة الغريبة ، لأنهما ليستا من مدركات السامع . وإن قامت في فهم المتحدث .

وحين قيل لشاعر : لم تقول ما لا يفهم ؟ قال لم لا تفهم ما أقول ؟ ظل الحوار في مكانه لا ينتهي إلا بأن يقول الشاعر ما يفهمه السامع ، وادعاء بعض الشعراء أنهم يدركون العلائق بين الأشياء من وحي لا يدركه الآخرون قد يكون أمراً حقاً في بعض الأحيان ، أو يكون

ظاهرة نبوغ وإبداع في أحيان أخرى . ولكن الأديب مسئول في حدود إبداعه . أن يكون على صلة بمفاهيم الذين يكتب أو ينظم لهم . وفي حدود ما قرره علم بيان اللغة ، وإلا فبأى تمييز أن يكون مبدعاً أو أن يكون مخلطاً موسوساً ما لم يكن هناك نقطة التقاء على نوعية العلائق المقبولة وغير المقبولة بين القائلين والسماعين . وما لم نقيم على طريق التعبير أضواء ترشد السامع إلى قصد القائل .

لقد أعجب الناس بأبيات أبي الطيب في وصف « الحمى » التي انتابته في مصر . وقد تحدث عنها كما لو كان يتحدث عن فتاة تزوره . وما أعرف قبل أبي الطيب شاعراً وصل بين الحمى والحبوبة ، فليست هذه الاستعارة من مألوف الناس . ولكن أبا الطيب بما ألقى من أضواء على قصيدته أتاح للسامع أن يهتدى لهذا التشبيه الغريب عاياً ، مستدرجاً إياه إلى قبول العلاقة الغربية التي ما كان يهتدى إليها لو ترك بحاله وإدراكه من أبي الطيب لخطر هذا التشبيه غير المتوقع من السامع . استدرج روضه على قبول التشبيه : فيعد له من الخصائص المشتركة بين الحمى والفتاة زائرتة ما يكشف عن المشابهة بينهما في الخصائص المشتركة ، حتى يطعن السامع بأن ما فعله كان مستساغاً مقبولاً :

وزائرتي كأن بها حياء

فليس تزور إلا في الظلام .

فرشت لها المطارف والحشايا

فعافتها ونامت في عظامي

إذا ما فارقتني غسّلتني
 كأنّما عاكفان على حرام
 كأن الصبح يطردها فتجري
 مدامعها بأربعة سجام
 أبنت الدهر عندي كل بنت
 فكيف وصلت أنت من الزحام
 جرحتي مستجرحاً لم يبق فيه
 مكان للسيوف وللسهام
 يقول لي الطبيب : أكلت شيئاً
 وداؤك في شرابك والطعام

وما في طبه أني جواد
 أضرب بجسمه طول الحمام
 تعود أن يغبر في السرايا
 ويدخل من قتام في قتام

إنه بدأ استعارته في أول كلمة من
 المقطع (وزائرتي) ، لكنه شعر أنه مورط
 في تشبيه غير مألوف إذا استمر فيه من
 دون إلقاء ضوء على ما يريد بهذه الزائرة ،
 وسيتبقى غير مفهوم وسيضل السامع فيبادر يقول :
 كأن بها حياء . ولم يقل : بها حياء ، فاستعمل
 الكاف لينوه بأنه لا يقصد امرأة بها حياء وإنما
 يقصد شيئاً يشبه أمره وأن يكون به حياء
 وأكمل البيت بقوله :

(فليس تزور إلا في الظلام)

والزيارة في الظلام حالة تشترك فيها المرأة
 الحبيبة والحمى التي تعتاده في الليل .

ثم قال : (فرشت لها المطارف والحشايا
 فعاقبتها) ، وهي حالة تكون من شأن

المرأة حين تزور فتفرش لها المطارف
 والحشايا ، لكنه إبعاداً ؛ لأن يكون
 المقصود بالزائرة امرأة قال : فعاقبتها ونامت
 في عظامي ؛ ليأتي ضوءاً من جديد على أنها
 ليست امرأة هذه التي تزوره . وإنما
 هي شيء آخر ، هي شيء يعتاده ولا ينام على
 حشية أو فراش ، ثم قال :

إذا ما فارقتني غسّلتني . والغسل من
 مثله يعقب عادة مثل هذا اللقاء .

ولكنه قال : « غسّلتني » ولم يقل : « اغتسلت »
 لينوه بأنه اغتسل مجبور عاينه لم يأت به
 استئناً للطهارة ، وإنما يأت به بفعل ما تنزله
 به الحمى التي تعتاده في الظلام ، ثم قال :
 كأننا عاكفان على حرام ، ولم يقل : لأننا
 عاكفان على حرام ، ليأصح أن هذا
 الاغتسال ليس اغتسالا لفعل ما يوجب
 الاغتسال ، وإنما اغتسال آخر من أثر
 ما يصيب المحموم .

ثم عاد ليجد مبرراً آخر لتشبيهه الحمى
 بالفتاة فقال : « كأن الصبح يطردها فتجري
 مدامعها » .

وهو حال يكون من الفتاة الطارقة تحت
 جنح الليل ، والحمى للمعاودة التي تعتاده
 في الليل .

ثم أتم بأربعة سجام ليقول : إن المراد
 بالزائرة ليست فتاة لأن الفتاة تبكي بعينين
 لا أربع ، وإنما أريد بها حمى تعتادني فيرشح
 لها جسمي من جهاته الأربع .

ولو أن المتنبي وقف عند تشبيهه الحمى
بنتاة زائرة لكان مغرباً في تشبيهه ولأنكرنا
عليه وجه الشبه بينهما ، ولو جلدناه متجاوزاً
في استعمال كلمة « زائرة » للحمى . ولكنه
وهو المدرك . لخصائص التعبير الشعري ،
وما يمكن أن يؤخذ به في هذا التشبيه
غير المألوف . استطرد يوالى عرض
الخصائص المشتركة بين الفتاة الزائرة ،
والحمى المعودة ؛ ليقترب لنا سرّاً ما أقدم
عليه ، ويلقى الأضواء على مراده من هذه
الزائرة « الحمى » ؛ فيميزها بخصائصها التي
تتفرد بها حتى لا نضل المقصود منها ، ومع
كل هذا أنهى أبياته بقوله :

يقول لى الطيب إلخ . . .

وطبيعة الشعر مطالبة بشئ من هذا حتى
في الحالات التي تكون العلاقة فيها بين الشئيين
مألوفة معروفة من السامعين . وحتى في الحالات
التي يمكن أن يورد فيها التشبيه مجحلاً كما يذكر
البلاغيون . فما لم يتلمس الشاعر وجوداً لعلائق
تدق بعض الشئ فإن ما يقوله سيمثل
أمراً معتاداً لا إبداع ولا جودة فيه .

لننظر إلى شاعر العصر « أحمد شوقي » وهو
يأخذ تشبيهاً مألوفاً كثير التردد في الشعر والنثر
وجلىّ العلائق في أذهان السامعين ، كيف
يتناوله في عرض لخصائص كل من المشبه
والمشبه به في استزادات لم يبلغها غيره .

يقول في قصيدته في « بكفيا » :

وأغنّ أكحل من مها بكفية
علقت محاجر دمي وعلقت

دخل الكنيسة فارتقت فلم يطل
فوقفت دون طريقه فزحمته
فازورّ غضباناً وأعرض نافراً
حال من الغيد الحسان عرفته
قد جاء من سحر العيون فصادني
وأنتيت من سحر البيان فصدمته
فصرفت تلعالي إلى أترابه
وزعمتهن لبانتى فأغرته
فدشيت إلى وليس أول مجؤذر
وقعت عليه حبايلي فقمصته
لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة وهبته

فهو منذ بدأ الاستعارة في مطلع البيت
(وأغنّ أكحل من مها) استشعر بأن عليه
واجباً في أن يفصح عما يعنيه من هذا الأغن
الأكحل ، فأضافه إلى « بكفية » لينيل ما
يحتمل أن يصرف إليه لفظه « أغن أكحل
من مها » فبادر يحدد قصده منه أنه
من مها بكفية ، وليست « بكفية » من مواطن
الآرام ، وزاد بأن قال : علقت محاجر دمي
وعلقت ، وأضاف أنه دخل الكنيسة فارتقت
حتى إذا خرج وقف دون طريقه وهي من
صفات الإنسان ، ثم عاد إلى شيم المهى والظباء
حين يعترضها معترض فتوسع بشرحها فقال :

فازور غضباناً وأعرض نافراً ، ثم دفع
أن يكون ذلك ظلياً فقال : حال من
الغيد الحسان عرفته ، قد جاء من سحر
العيون فصادني . ثم رجع إلى المشبه به
فقال : فصدمته . ورجع إلى المشبه الفتاة فقال :
فصرفت تلعالي إلى أترابه وزعمتهن لبانتى

فأغرته ، ثم رجع إلى المشبه بد فقال : فشى
إلى وليس أول جوذر وقعت عليه حبائل
فقدصته . ثم أنهى ترده وبيّن أن يكون
المقصود ظهيرا أو غانية : فقال :

لما ظفرت به على حرم الهوى
لابن البتول وللصلاة ودميته

وهكذا يتأتى للشعر ويقصد له ، من
أجل تقريره من ذهن سامعه وإلقاء الأضواء
على طريقة تعبيره . أما أن يضع لفظاً مكان
لفظ ولا مناسبة مألوفة بينهما . أو تكون له
مناسبة في ذهن الشاعر ولا عهد للسامع
بها . فذلك أمر غير مقبول شعرا كان أم
نثرا ، مادام لا يتوفر على أسباب الوضوح
والظهور ؛ لأن الفهم أساس في أى بيان .
يقول « ابن سنان » في كتابه « سر الفصاحة » :
إن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما
احتيج إليه ليعبر الناس عن أغراضهم
 ويفهموا المعاني التي في نفوسهم فإذا
كانت الألفاظ غير دالة على المعاني
ولاموضحة لها فقد رفض الغرض من أصل
الكلام . وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفا
للقطع ويجعل حده كإيلا ، ويعمل وعاء
لما يريد أن يحرز فيه قصد إلى أن يجعل له
خروقا تذهب بما يوعى فيه ، فإن هذا
مما لا يفعله عاقل . ثم لا يخار أن يكون
المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام
ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه ، فإن كان
يريد إفهامه فيجب أن يجتهد في بلوغ

الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه . وإن
لم يرد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ
في غرضه .

هذا ما يقال في الكلام من حيث هو
كأنه نثراً علمياً أو نثراً أدبياً ، أو شعراً موزوناً
مقفى . وما يخرج على ذلك يخرج على البيان
العربي جماله وتفصيلا .

ولكن للشعر أساوباً من أساليب الأداء
العربي لو حظت فيه :

اعتبارات سنّت له طريقه سوى ما قدمناه
من شروط الظهور والوضوح للبيان العربي
بجماليته ، اعتبارات خاصة في الأغراض ؛ فليس
كل غرض يصلح له الشعر ، اعتبارات
خاصة في المعاني ، فليس كل مع صالح للأداء
به ، واعتبارات معينة في هيئة تأليفه فليس
إيراده على أية هيئة مدخلا له في باب
الشعر . إنه لا بد أن يتوفر على جملة
ما يشترط في الشعر الجيد ويدخل في العمود
الشعري الذي هو المثل الأعلى والمقتدى به
في الشعر العربي ، وإن لم يتوفر على جملة
خصائص الشعر واكتفى بالوزن والقافية كان
من الشعر وليس من عموده ، فليس كل
موزون مقفى داخل في العمود حين
لا يتوفر على أسباب الأصالة والصدق ومهينات
الصناعة الشعرية ؛ فإن خرج على الوزن
والقافية عن أن يكون شعرا عموديا أو غير
عمودي ، وانتقل إلى باب النثر ، إن كان
كان به صلاح في أن يدخل في باب النثر
فإن لم يك صالحا لذلك خرج عن أن يكون

من البيان العربي شعره ونثره. ولن يكون الخروج على بيان أية أمة تطويراً في أسلوبها ، لأن تغيير أسلوبها -البياني- يعنى موت اللغة موتاً نهائياً وإحلال لغة أخرى محلها. وذلك ما هو مقرر لدى المعنيين بالدراسات اللغوية .

يبقى لنا أن نتساءل عن المبررات والأسباب التي حدثت بجماعة الشعر الحر لأن نخرجوا على الوزن والقافية في هذا الذي يسمونه شعراً حرّاً . لعل في مقدمة المبررات من حيث الشكل أن الوزن والقافية قيدان مكبلان لا يستطيع معهما الشاعر أن يؤدي غرضه بحرية في اختيار المفردات ولا في اختيار هيئة التأليف ، وأن التأتى للمفردة الصالحة في لفظها ، والملائمة في معناها ، مع الحفاظ على الوزن والقافية يستدعى معاناة وجهديتجاوزان الطاقة على وجه يستوجب أحياناً قبول ما لا يوائم وطرح ما يوائم ، في إدراك لطبيعة هذه الصناعة . وهذا حق ومبرر سليم إذ أن الصناعة الشعرية صناعة دقيقة مجهدّة تستدعى التأتى لها طاقة لغوية عالية على تطوير العبارة ، بتقليبها على وجوه شتى حتى يهتدى إلى الوضع المتوازن السليم ، والقافية غير المتكلفة وغير النابية ، وهو شيء يتحقق لشخص دون آخر ، ولطاقة شعرية دون أخرى ولكن هذا الفن لن يتحقق فنيته إلا بالصورة التي ينعونها عليه .

وقد عرف العرب ذلك وأدركوه وقد

كان بإمكانهم أن يتخلّوا عنه . لكنهم لم يفعلوا ذلك إدراكاً لما للوزن وللقافية من بليغ أثر في الصناعة الشعرية .

ولقد تحدث الشعراء عما ياقنون في سبيلها وليس المطلوب من كل الناس أن يكونوا شعراء ولا من كل الأغراض أن تؤدي بالشعر وفي النثر الأدبي مندوحة ومجال واسع . وقد قيل منذ القديم :

الشعر صعب وطويل سلّمه

إذا ارتقى له الذي لا يعلمه

زلّت به إلى الخضم قدمه

يريد أن يعرّبه فيعجمه

ولكن هذه المعاناة المندولة في سبيل الوزن والقافية لم تذهب سدى ولم تضع هدراً . بل حققت للشعر من المزايا ما لم يتحقق بالنثر من ضبط الفكرة . وتقييمها ، ووضعها في إطار يحفظها . ويبقى على شخصيتها ، فيستقل البيت عن جملة القصيدة حين يراد انتزاعه منها ، وينتفع به بمفرده قدر ما ينتفع به موصولاً بجملة الأبيات .

وتلك مزية لن تتأتى والبيت الشعري لا يضبطه وزن ، أو تختمه قافية ، لذا لا ينتفع بالشعر الحر — إن كان به قدرة النفع — إلا حين تقرأ القصيدة كلها ، فليس يجزء منه قابلية الاستقلال ، كما في الشعر الموزون المقفى . في الشعر الموزون المقفى ينتفع بالقصيدة أبياتاً مجزأة ، بل ربما انتفع بشرط من بيت

يكون شطره الثاني مجال انتفاع لفكرة أخرى ، لنأخذ قول المتنبي :

لولا المشقة ساد كلهم

الجود يفقر والأقدام قتال

ولنما يبلغ الإنسان طاقته

ماكل ماشية بالرحل شمال

ذكر الفتي عمره الثاني وطاقته

مافاته وفضول العيش إشغال

لأنه بفعل الثقافية والوزن ، وضبط أبعاد

العبارة تهيأ لنا أن ننتفع بكل بيت مستقلاً

وبكل مجزوع منه مستقلاً . وبالأبيات موصولاً

بعضها ببعض .

وهناك واقع له بالغ الأثر في عقد صلة بين

الشاعر وسامعه ، حين تكون قصيدته موزونة

متفافة . وتربية الصلة بين القارئ والسماع

تعين أيما عون على التقى وحسن التقبل ،

وهي بالتالي تصعد من عملية التأثير بالشعر

بحكم التجاوب الذي هيأه الوزن والثقافية ،

فنحن حين نسمع البيت الأول من القصيدة

تهيأ لمشاركة نفسية ، وتجاوب تعبيرى ، نفتح

به للقائل آفاقنا النفسية ، فنأخذ منه ونعطيه

خلال إلقائه وسماعه ، ونبادل وإياه المعاني

والعبارات والصور ، وليس شيء من هذا

بمئات والكلام لا يرتبط بوزن ولا يتحم

بقافيته ، إذ لا ندري حين يبتدئ الشاعر

إلى ما ينتهى ، وكيف ينتهى حتى تهيأ أنفسنا

للتلقى .

هذا ما يقول ميرثر الشعر الحر من

حيث الشكل .

أما ميرثرهم لاهن حيث المضمون فإن مما

يحتج به قالة الشعر الحر : أن

العصر بمفاهيمه وعلائقه اختلفت

اختلافاً كلياً عن العصور التي سبقتها ،

وأن دنيا جديدة من العلائق قامت بين

المدركات . ولذلك لا يصح أن تبقى العلائق

بين الأشياء على النحو الذى كانت عليه

بل لا يمكن أن تبقى على ما كانت عليه ،

فلا بد من تجديد فى العلائق ، وإبداع

فى الصور . وتجاوز للمفاهيم التى لم تعد

ملائمة لحياتنا المعاصرة .

مثلاً لا يصح أن تبقى العلاقة بين نظافة

القدور والبخل فى الكناية . ولا بين الرجل

والأسد فى الشجاعة ، ولا بين الليل والبحر ، على

حد ما قال امرؤ القيس : وليل كموج البحر ،

إلى آخر ما ألفناه من صور المجاز والاستعارة .

وتلك دعوى لها ما يبررها بل لها ما

يلزم بها ، فليس فى الإمكان الإبقاء على العلائق

بين الأشياء فى الشعر ، حين تزول تلك

العلائق فى المجتمع ، ومن مدركات أبنائه ،

بل ليس من الصديق الفنى أن تبقى على صور

ليست لها فى نفوسنا ولا فى المجتمع الذى من حولنا ،

أثارة من وجود ، ولكن لا نطالبهم بالإبقاء

على الصور القديمة التى زالت من الوجود

أو على العلائق القديمة التى انتفت بين ،

الأشياء ، بل نطالبهم بالاحتفاء بالعلائق

الجديدة ورصدها ، ولكن على ألا يخلطوا

علائق ليس لها وجود بين الأشياء فى حياة

مجتمعاتهم ، ولا فى مدركاتهم هم أنفسهم

بل يأتونها تقليداً ، ومتابعة لبيئات غريبة
عنهم، ولجتمعات لعلها بادت وبقيت لها
أنارة من وثنية . وقصص أسطوري خرافي
لا يقره علم . ولا يسمو به خيال ، وقد
تخطتها البشرية منذ سادها عقل . وسما
خيال .

لقد مرت العربية خلال عمرها الطويل
بأدوار تجددت فيها الأفكار . وكان لها
في كل دور فكر يختلف عن غيره .
وتفاوتت الأخيالة فكان لها في كل دور خيال
يختلف عن خيال سواه . ولكن الأديب العربي
يستطيع أن يقرأ شعر تلك العصور جميعاً
فلا يضيق بها فهمه ، ولا يتبدل معها حسه
ولا يستشعر أنه يدخل بيئة غريبة عليه
ضيقه به . لا يدرى من أين يسلك إليها
ومن أين يخرج، ولكن الأديب العربي حين
يقرأ الشعر الحر في غالب نوعيته يختلف
عن حاله حين يقرأ مختلف ما مر على الشعر
العربي من صور التجديد والتطوير .

وسأتلو نمطين من الشعر الحر مما يعتبر
من أحسن صوره؛ لنستجلي ما بلغه الشعر على
يد دعائه من إضاعة لأصول البيان العربي
وطبيعة شعره .

وسأختارهما مما عدّه بعض مؤرخي الأدب
وشيوخه تجديداً في الشعر وثورة في نظوره .

يقول البياتي من قصيدة عنوانها «الموت
في المنفى» .

فماذا تنتظر من وراء هذا العنوان :

« بدم القلب بطاقات الرماد

كتبت

أين كنوز السندباد

يازاد المعاد

آه لو أحرقت أشعاري

وأحرقت الليالي بالمداد

لكتبت

مرة أخرى — بطاقات الرماد — بدم

القلب وأطعمت القوافي للجراد . ا »

ولست بحاجة إلى التعليق على ذلك .

وقريب منه مانسب إلى «حبيب إسحاق»
في قطعة خماسية الأدوار يصف ما ورد في
الأسطورة الفينيقية من مصرع الإله «أودونيس»
على بعض مجبال «لبنان» ونوح حبيبته
الزهرة عليه عندما شاهدت حبيبها أودونيس
مضرباً بدمائه بعد أن صرعه وحش ضار
هصور هناك :

«أواه على أودونيس كيف يُجترّ على الصخور
يصبغها دمه الجارى من أعضائه الناعمات
هاهو في الوادي يفترسه الحيوان المصور
أواه .. أودونيس قد مات :

وأسرعت لها الإلهات قد هالها الصياح
إلهات الأشجار والأنهار والربى والوديان
لا طمات الحدود ، رافعات العويل والنياح
باكيات بأشجى الألحان .

والتفنن حولها ينحن معها على الحبيب
يا أودونيس كيف مدت إلى الإله يد الحمام ؟ ا -

يا أودنيس كيف ذبل غصنك الرطيب
ويبس زهره البسام ؟ !

أهذه هي الأخيلة التي جدت على العربية ؟ !
أهذه هي المعاني التي ضاق بها الشعر
ذو القوافي والأوزان ؟ ! أى ذوق يسمو
بهذا أم أى عقل به يستعين .

ويحسن أن نورد أخيراً من قصيدة
لشاعر يعد من كبار الشعر الجديد :

خذوا كل شيء

خذوا العصافير عند الصباح

وصمت المفاتيح — خمرة كأس

وخمرة نار وحيدة

ولا تتركوا لى قصور العناكب

أحلامها معلقة بخيوط السماء

خذوها . خذوا كل شيء

نقيق الضفادع — رفيف الخفافيش

عند المساء .

وآثار أقدامهن الرتيلات

عند مسندى

ودعوني . دعوني

بعيداً عن الأسواق

لأن الجداول عند الرجوع

تحت هذه السهول

وصوت السكينة تحناها

هناك على الشطوط

وحين أموت خذوا جسدى

ولا تدفنوه

لأنه يقوم مع الفجر

ويكشف سر الإله

إن ما يسمى بالشعر الحر خطر على
أذواق الناشئة . يقطع صاتهم بماضى
بيانهم العربى . ويحول بينهم وبين الانتفاع
به ميراثاً حضارياً .

لقد بدا الخطر واضحاً على أذواق الناشئة ؛
فليس للناشئة المعاصرة التذوق الذى كان
للناشئة قبلها . وهم لا يقبلون على
القصيد العربى نظير ما هم يقبلون على الشعر
الحر ، على أننى واثق بان الغلبة الغالبة
منهم لا يفهمون منه قصداً ، ولا ينتفعون
به مادة ثقافة ، وتلك مصيبة حرجية بالتحلص
منها ، والتوجه بهم إلى ما يمكن أن يفهم ويعلم .
وكلمة أخيرة أوجهها إلى مؤرخى
الأدب العربى وأساتذة الجامعات ؛ بأنهم
مطالبون بتسحيص هذه الظاهرة حتى لا
يخدعوا بهرجها ، وحتى يكتشفوا ما بها
من زيف ، فإن تسجيلها ورصدها بالثناء
والحمد يعين على تفشيها ، ويكشف
عن عجز مؤرخى الأدب العربى عن فهم
واقع البيان العربى .

إن الشعر الحر فيما رأينا ليس من النثر
العلمى لأنه لا يعنى علماء ولا ياتزم
المداليل الأولى فى التعبير ، وهو ينفل بالمجازات
بشكل واسع ، ولا هو من النثر الأدبى
لأنه لا يلتزم ضوابط العبارة العربية فى
الأداء للمجازات وللاستعارات ، ولا
من الشعر العربى ؛ لأنه لا ياتزم ذلك ؛ ولا
آداب الوزن والقافية .

عبد الرزاق محبى الدين

أعضو المجمع من العراق

بواعث زهد أبي العلاء

- ١ -

للدكتور أحمد الحوفي

هو

الشاعر الفيلسوف

أحمد بن عبد الله

المعري نسبة إلى بلده المعرة ، وهي قرية صغيرة في شمال سورية ، بين حلب وحمص .

ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ هـ .
فأدرك القرنين الرابع والخامس وهما
أغنى عصور العلم والأدب واللغة ، وأحفلها
بالثقافة المذوعة . تتلمذ في المعرة لأبيه .
وأخذ عن علمائها . ثم رحل إلى حلب
يطلب العلم . وكانت تشرق بالعلماء
والأدباء والفلاسفة منذ اجتذبهم إليها
أميرها سيف الدولة الحمداني ، ثم سافر
إلى أنطاكية وانتفع بنفائس كتبها ،
ثم ارتحل إلى طرابلس ، وتمر باللاذقية
فنزل في دير فيها ، وتأثر براهب

متفلسف هنالك وأخذ عنه بعض الآراء ،
وبعد ذلك شغف إلى بغداد عش العلوم
والآداب ، ووعى ما شاء من مكتباتها ،
وشارك في نواديها الأدبية والعلمية ،
وأعجب به علماءها ، وأعجب بهم ،
وقضى هنالك سنتين لم تمنح السنون
من نفسه ذكرياتهما ، كان لهما أثر
في نضج عقله وسعة ثقافته ، ثم عاد
إلى المعرة . ولزم منزله . وانقطع للتفكير
والتأليف إلى أن مات .

بواعث زهده

١ - العمى :

فجع أبو العلاء في بصره طفلاً ، فشب
في عالم حالك الظلمة ، لا يميز مليحه
من دميمه ، ولا قبيحه من وسيمه ،
يتحسس في وجهه ندوب الجدرى ،

٣ - موت والدته :

وبعد سنوات من موت أبيه فجّع
في أمه . فعظمت مصيبتة . وفقد ينبوع
العطف الذى طالما نعم به ووثق بصفائه
وخلوصه له . فهزته هذه المصيبة وهدته .
وزادته شعورا بضعفه ونقمة على الحياة
والأحياء . قال في رثائها :

إن ينقطع منك الرجاء فإنه
سبقت عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال في رسالة إلى خاله ينعاها له :
« فله الحمد ممزوجاً به الدمع . مُسْتَكَاً
له من الوجد السمع » فأصبح حمده الله
بدمعه . وصور الحزن قد أثقل الحمد على
سمعه .

٤ - فقره :

كان أبو العلا فقيراً ، يغل عليه وقف
لأهله ثلاثين ديناراً في كل سنة . يعطى
خادمه نصفها ، ويستبقى لنفسه النصف
الباقى . لكنه كان يستطيع أن يثرى لو
أنه سلك سبل الكسب والثروة ، وبخاصة
أنه من أسرة عالم وفضل ورياسة ووجاهة

ويحس قصوره عن الناس . فهم مبصرون
وهو كفيف ، يسمعون ويتحدثون عن
الأرض والسماء ، ويسمع افتنان الأدباء
في وصف الطبيعة والجمال . فتأخذه
من ذلك حسرة أى حسرة .

وليس في الحياة آلم من فقد البصر .
على من كان دساساً وشاعراً يجسم خياله
بلواه ، ويمضه التفكير في نصيبه التعس
من الحياة .

٢ - موت والده :

ثم حرمه الموت عطف أبيه في الرابعة عشرة .
وفقد الأب نكبة على من هم في سن
أبي العلا . ونكبة مضاعفة على ذى العاهة ،
فقد كان أحوج إلى أبيه ليعتمد عليه ،
ويستند إليه ، ويعتمز به . ويتناسى
في بحبوحة عطفه آلام عماء . ويستشير
بتوجيهه العلمى والأدبى . فقد عرفنا
أن أباه كان أستاذه الأول ، لهذا حزن
عليه حزناً شديداً ، فقال يرثيه :

فليت فمى إن شام سنى تبسّمى
فم الطعنة النجلاء تدمى بلاسن^(١)

(١) شام : رأى .

في المعرة ، ولها نسب عريق في القضاة ،
ومنها من ولي المعرة ، غير أنه كان حياً
أبياً عظيم النفس ، لا يتكسب بالمدح ،
ولا يقبل العطاء ، وكان إلى ذلك محسناً
سخياً ، فإن الشاعر الفارسي ناصر خسرو
زار المعرة قبل موت المعري بعشر سنوات
تقريباً ، وقال عنه إنه رجل عظيم الجاه
في بلده ، وذو ثروة ينفق منها على الفقراء ،
ولكنه يعيش متقشفاً زاهداً .

أوفي شعره وفي نشره أدلة على أنه كان
يهدي إلى بعض الأدباء ، كقوله وهو في
الخمسين من عمره يعتذر لفقيه عن
صغر هدية :

فيا ليتني أهديت خمسين حجةً
مضت لي فيها صحتي وشبابي
وقلت له : فاترك ثلاثين أسوداً
متى ما تكشفت ثلث غير لباب

لعل الذي أنقذت كفيك ليلة
لإسباغ طهر حان أو لشراب

هـ — بيئته :

هذا إلى فساد الحياة في عصره ، وهو
ذكي يدرس ويستقصي ، حساس
يسمع ويدرك ، درس طبائع الناس

فأحسن درسها ، وبلا نفوسهم فأجاد
بلاغها ، فلم ينتج له الدرس المتشائم
إلا شراً .

فالدويلات الإسلامية ، والمسلمون
والروم يتبادلون النصر والهزيمة ، والحكام
يظلمون الرعية ويغتصبون أموال الناس ،
والساسة خداعون جهال يستعبدون الرعايا ،
ويستلبون قوتهم . نجد هذا في قوله :

ملّ المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدّوا مصالحها وهم أجراؤها

وفي قوله :

يسوسون الأمور بغير عقل
فينفذ أمرهم ويقال ساسه
أفأف من الحياة وأف مني
ومن زمن رياسته نخسسه

وفي قوله :

إن العراق وإن الشام مذ زمن
صفيران ما بهما للملك سلطان
ساس الأنام شياطين مسلطة
في كل مصر من الوالين شيطان

من ليس يَحْفِلُ خِمَصَ الناس كلهم
إن بات يشرب خمرا وهو مبطان^(١)

وقال :
أما شعرت بأنما لا تقتنى
خييرا وأن شرارها شعراؤها
أثرت أحاديث الكرام بزعمها
فأجاد حبس أكفها إثرافها

والقضاة يحكمون بالجور . وكان
الأحرى بهم أن يحكموا بالقسطاس .
ويدفعوا البلاء عن المستضعفين . يقول :

وقال :

وأى امرئ في الناس ألفى قاضيا
فلم يُمض أحكاما كحكم سدوم^(٢)

بنى الاداب غرتكم قدما
زخارف مثل : زمة الذباب
وما شعراؤكم إلا ذئاب
تأصص في المدائح والذباب

وأخلاق جميع الناس منحلة ، يفعلون
التببيع والمنكر ، ويصطنعون الخداع
والغش والمكر والقسوة ، ولهذا دمهم
بقوله :

٦ — ثقافته

وجوهكم كُلف وأفواهكم عدا
وأكبادكم سود وأعينكم زرق
وإذا كان قد ذم الناس فإته حمل على
الأدباء وحملهم وزر هذا الفساد ، لأنهم
في رأيه الدعاة إليه ، قال :

وهو إلى ذلك كله قرأ من كتب
الفلسفة م وافق هواه . فاشتد بغضه
للدنيا ، وسوء ظنه بالناس . حتى إنه
لما تحدث بحفاوة أهل بغداد بتوديعه
وحزنهم لفراقه وتقدمهم المال إليه شك
فيما فعلوا أكان رياء أم وفاء .

وما أدب الأتوام في كل بلدة
إلى المين إلا معشر أدباء^(٣)

ونعلم من تاريخه أنه درس الفلانة
اليونانية في أنطاكية واللاذقية . ثم ألم

(١) الخمص : المراد الجوع . مبطان : المراد شبعان مستاء .

(٢) حكم سدوم : أشار إلى جرائم قوم لوط وتمطالهم وكانوا يقيمون في قري منها سدوم .

(٣) المين : الكذب .

بها في بغداد^٦ ، ودرس الفلسفة الهندية أيضا في بغداد . إذ كانت بغداد بعد فتح السند تتروى من هذه الفلسفة التي يحملها إليها المترددون من هنا وهناك للتجارة أو للسياحة^٧ ، ويفجر ينابيعها أولئك الذين ترجموا عن الهندية منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ، والطابع العام للفلسفة الهندية الزهادة ، وازدراء الحياة ، وتعذيب الجسد لتنقية الروح ، والشفقة على الحيوان ، وتقديسه في بعض الأحيان .

كما أنه وقف على الثقافة الفارسية التي ثقفتها العرب منذ خالطوا أهل فارس . وترجموا عنهم ، وقد ألم أبو العلاء بما ترجم منها في السياسة والأدب والأخلاق والقصص^٨ ، فلما شخص إلى بغداد خالط بعض الفرس وتأثر بهم ، فليس عجيبا أن نجد في شعره ألفاظا فارسية مثل قوله :

إذا قيل لك الله مولاك فقل (ذآرا)
أى نعم .

على أنه بعد هذا كله عالم فاحص دارس ، اطلع على الأديان كلها ، ودرس

الإسلام والنصرانية واليهودية ، وعرض لبعض قضاياها في لزومياته .

٧ - ميله :

لكننا نجد في الحياة عميا فقراء مشوهين ، وهم مع هذا كله مبتهجون بحياتهم ، ينالون من لذاتها ، وينهلون من متعتها ، فلماذا لم يحاول أبو العلاء أن ينال وينعم ؟

ولماذا سخط على الحياة هذا السخط ؟

الحق إن ذلك يرجع إلى مزاجه الخاص الذي يآلف الحزن ويأنس به ويركن إليه ، وتسبح له فرص الابتهاج فيفر منها فرارا ، ويرى العالم كله رزايا وأشوارا .

فقد كان بشار أعمى ولكنه جنح إلى المجانة والخلاعة ، واستمتع بالحياة ما شاء أن يستمتع^٩ .

وكان شو^{١٠} بنهور فيلسوف المشاوم في العصر الحديث بصيرا بصحيح الجسد ، ثريا ثراء واسعا ، ولكنه كان ينظر إلى الحياة نظرة سوداء كآبة ، فبالعالم في نظره شرفا كله ، أينما توجهت ألفيت

عراكا ومنافسة . وليس الإنسان إلا ذئبا
للإنسان ، والإنسان تعس إذا تزوج .
وتعس إن لم يتزوج ، وخير للعالم أن
ينقطع النسل ، وتنتهى الحياة . والحياة
في نظره جحيم يفوق جحيم دانتي .

ولقد تشابه الرجلان المعرى وشو بنهور
في العزوبة ، وسوء الرأي في الناس .
والبرم بالحياة والأحياء . والتجنى
المرأة ، واتفق الرجلان في أن التشاؤم
نابع من نفسييهما . وإن كانا متأثرين
بعوامل أخرى خارجة على قدرتهما تشابه
قليلا أو كثيرا ، فقد انتحر والدشو بنهور
واعوج ماوك أمه ، ولم يجد ما يزوج به
فراغه غير النظر والفكر والتأليف .

فلم يتزوج ولم يلد . ولم يزاول عملا
يلهبه عن مآسية ، فضجر بالحياة ،
وسئم الناس .

على أن فساد الحياة الاجتماعية يؤثر
نار السخط في نفوس الساخطين ،
فلما خاب الأمل المنوط بالثورة الفرنسية
بعد أن زلزلت الأرض بحروب نابليون
أطبقت سحب التشاؤم على أوروبا ،
فكان مرسيه في فرنسا . وببيرون في إنجلترا ،
وشو بنهور وهينى في ألمانيا . ولما فسد
الحياة الاجتماعية والسياسية في عهد
أبي العلاء رجّع في جوها الخائف نغماته
الحزينة .

أحمد الحوفى

عضو المجمع



تحقيق لسان العرب

- ٦ -

لسان العرب لهارون

ووردت «جم» في المخطوطة مهمة ضبط الجيم. وصواب ضبطها: «جَمَّ» بضم الجيم ، كما في ديوان امرئ القيس ١٧١. أي ليس لعظامها نتوء. والجَمَّ : جمع أجَم ، وهو العظم يكثر عليه اللحم فلا يظهر .

٨٥٣ - (ورق) ٢٢٥ : ٢٥٠ وبيروت ٣٨٦ والمخطوطة :

ألم تر أن الحربَ تُعْرجُ أهلها
مراراً وأحياناً تُفِيدُ وتُورقُ

صوابه «تُعْرجُ» كما في اللسان (عرج) ، ومجالس ثعلب ٤٤٤ قال ثعلب : «تُعْرجُ : تعطيهم عرجاً من الإبل» ، يعني الغنائم والعرج ، بالفتح والكسر أيضا : ما بين السبعين إلى الثمانين من الإبل ، أو ما بين الثمانين إلى التسعين .

٨٥١ - (ورق) ١٥٢ : ٥٢ وبيروت ٣٧٢ قول الراجز :

* كُوم الدُّرى وادقة سُرائِها *

وفي المخطوطة : «سرايتها» بفتح الراء مخففة وإهمال ضبط التاء. والوجه «سرايتها» بكسر التاء. وهو من رجز مكسور الروي لعمر بن لجأ في الأصمعيات ٤٣ - ٣٥ والخزانة ٣ : ٤٧٨. وقبله وهو في صفة الإبل :

* أَنْعَتْهَا لِنَيِّ مِنْ نُعَاتِهَا *

ونصب «سرايتها» على التشبيه بالمفعول به . وانظر معجم شواهد العربية ٢ : ٤٥٢ .

٨٥٢ - (ورق) ٢٥١ : ٢٥٠ وبيروت ٣٧٢ قول امرئ القيس :

دخلت على بيضاء جَمَّ عظامها
تعفى بذيل المِرطِ إذ جئت مودتي

٨٥٤- (ورق) ٢٥٧ : ١٠ وببيروت
 ٣٧٦ والمخطوطة : « فإذا زادت فهي
 السحرة » مهملات نقطت ما بعد الحاء .
 والوجه فيها « السححنة » كما في اللسان
 (سحن) وتهذيب اللغة ٥ : ٣٢٣ .
 والسححنة : الأبنة الغليظة في الغصن .
 ٨٥٥- (ورق) ٢٥٧ : ١٩ وببيروت
 ٣٧٨ والمخطوطة : قول عمرو في ناقته .
 وكان أقدم المدينة :

طال الشواء عليه بالمدينة لا
 ترعى وبيع له البيضاء والورق
 أما عمرو قائل هذا الشعر فهو « عمرو
 ابن الأتشم » كما في التهذيب ٩ : ٢٨٩
 رصواب الإنشاد : « عليها بالمدينة » .
 و « وبيع لها » بعود الضمير فيهما إلى
 الناقة وبيع هنا بمعنى اشترى ،
 والبيضاء : الحلي ، وهو ما أبيض من
 يبيس السبط والنصي . والورق ، يعني
 به هنا الحبط

٨٥٦- (ورق) ٢٥٧ : ٢٤ وببيروت
 ٣٧٨ قول الطائي :
 وهزت رأسها عجباً وقالت
 أنا العبري أياها تريد

ووردت « العبري » في المخطوطة
 مهملات الضبط ، والوجه فيها « العبري »
 بوزن التثنية ، كما في التهذيب ٩ : ٢٩٠
 وهو وصف من عبر ، إذا حزن ، أو إذا
 ذرف الدمع .

٨٥٧- (وفق) ٢٦٢ : ١٨ وببيروت
 ٣٨٣ : الوفق : كل شيء يكون متفقاً
 على تيفاق واحد « وقد أهمل ضبط
 « تيفاق » في المخطوطة . وصواب
 ضبطه بكسر التاء ، كما في التهذيب
 واللسان نفسه (وفق ٢٦٣) .

٨٥٨- (وفق) ٢٦٣ : ٨-٩ وببيروت
 ٣٨٣ : « هو بيت في السناء تيفاق الكعبة ،
 أي حذاؤها ومقابلها » . ولم تضبط
 قاف « تيفاق » في المخطوطة ، ووجه
 ضبطها النصب على الظرفية ، كما أن
 الصواب « حذاهما » بالنصب . وقد
 رسمت في المخطوطة « حذاها » بطرح
 الهمزة المنصوبة كما هو مألوف في الرسم
 القديم .

٨٥٩- (ورق) ٢٦٤ : ٤ وببيروت
 ٣٨٤ والمخطوطة ، قول الشاعر :
 تصبئنا حتى ترق قلوبنا
 أوالق مخلاف الغداة كذوبها

والوجه «يصبئنا» كما في التهذيب
٩ : ٣١٠ . والوجه أيضا : «حتى ترفّ
قلوبنا» كما في التهذيب . ونحوه في
قول الحسين بن مطير في الحماسة ١٢٣٠
بشرح المرزوقي :

يمثيننا حتى ترفّ قلوبنا
رفيف الخزامى بات طلّ يجودها

أما «الغداة» فصوابها «العداء» : جمع
عدة ، وهي الوعد .

٨٦٠ - (ولق) ٢٦٤ : ١١ وببيروت
٢٨٤ والمخطوطة : «قال الشماخ يهجو
جليدا الكلابي» صوابه «القلاخ» كما
في اللسان (زلق) ، وهو القلاخ بن حزن
المنقري . ولم يرد هذا الرجز في
ديوان الشماخ

٨٦١ - (ألك) ٢٧٣ : ٢٠ وببيروت
٣٩٣ والمخطوطة ، قول الشاعر :

ألكنى يا عتيق إليك قولاً

سُتهديه الرواة إليك عنى

والشاعر هذا هو النابغة الذبباني .
والبيت في ديوانه ١٩٧ من قصيدة
يخاطب بها عُيينة بن حصن بن حليفة
ابن بدر الفزاري ، حين أراد أن يعاون

بنى عبس ويخرج بنى أسد من ذبيبان .
وصواب الرواية : «ألكنى يا عتيق» ،
مرخم عُيينة كما في الديوان . وقد ورد
النص صحيحاً في ص ٢٧٤ من اللسان .
ألكنى : باغ رسالتى . وعُيينة هذا ممن
صاحب وفد تميم في وفادتهم على
رسول الله . السيرة ٩٣٤ جوتنجن .

٨٦٢ - (بتك) ٢٧٥ : ٢٠ وببيروت
٣٩٥ والمخطوطة : «وفي التنزيل العزيز :
«وَلْيَبْتَكَنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ» . وقد رسمت
الواو واضحة في المخطوطة ، معززة
بالفتحة فوقها ، وهو تحريف . والتلاوة :
«فَلْيَبْتَكَنْ» بالفاء . وهي الآية ١١٩
من سورة النساء .

٨٦٣ - (ترك) ٢٨٦ : ٢٢ وببيروت
٤٠٥ وديوان الأعشى ٦٥ قول الأعشى :

ويهماء قفر تخرج العين وسطها

وتلقى بها بيض النعام ترائكا

وخروج العين هنا عجب عجب .
إنما هي «تخرج» ، أى تحار . وفي
رواية المقاييس (ترك) : «تأله» بمعنى
تحار أيضا ، وهو أحد الأقوال في
اشتقاق لفظ الجلالة ، لأن العقول تأ

في عظمته ، أى تتحير . ومنه قول ذى
الرمة :

تزداد للعين إمهاجاً إذا سَفَرَت

وتَحَرَّجَ العينُ فيها حينَ تنتقب

وفي مخطوطة اللسان : « لُتَحَرَّح » ،
بالحاءين المهملتين ، صوابهما ما أثبت .

٨٦٤ - (حكك) ٢٩١ : ١٧ وببيروت

٤١٠ والمخطوطة أيضا : « وتروى

هذه الأبيات لزميل بن أبيين » ، وإنما

هو « زميل بن أبير » كما في شرح

الحماسة للتبريزي والمؤتلف ١٢٩ والإصابة

٢٩٧٣ والخزانة ١ : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

وزميل وأبيرا كلاهما بهيئة التصغير ،

ويسمى أيضا : زميل بن أم دينار .

وهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ،

كما في نواذر المخطوطات ١ : ٩٢ .

٨٦٥ - (حكك) ٢٩٥ : ١١ وببيروت.

٤١٣ والمخطوطة : « وقيل معناه أنا

دون الأنصار بذل حكاك لمن عاداهم

ونواهم » والصواب « وناوهم » .

كما في تهذيب اللغة ٣ : ٣٨٦ ، ناوأت

الرجل مناوأة ونواء : فاخرنه وعاديته .

وفي الحديث : « لا تزال طائفة من أمتي

ظاهرين على من ناوهم » . أى ناهضهم
وعاداهم .

٨٦٦ - (حكك) ٢٩٧ : ١٣ وببيروت

٤١٥ والمخطوطة أيضا :

ياذا النجاد الحلكة

والزوجة المشتركة

ليست لمن ليست لكه

وجعله شاهدا على أن « الحلكة » دويبة

تغوص في الرمل . وصواب الرواية في الشطر

الأول :

* ياذا البجاد الحلكة *

كما في جمهرة ابن دريد ٢ : ١٨٥

وتاج العروس (حكك) . قال الزبيدي :

« وتقول للأسود الشديد السواد : إنه

لحلكة ، كهمة ، والصواب ما ذكرنا » .

يعنى الشديدة السواد .

والبجاد : كساء مخطط من أكسية

الأعراب . وصواب الرواية في الشطر

الآخر :

* لست لمن ليست لكه *

كما في الجمهرة : وورد في التاج محرفا

كما في اللسان : « ليست لمن ليست » .

وذكر ابن دريد أن هذا من كلام لقمان

بن عاد ، في كلام طويل .

٨٦٧ - (درنك) ٣٦٠ : ٢٠ وبيروت
 ٤٢٣ : « له خَمَلٌ قصير كَخَمَلِ المناديل »
 وكلمة « خَمَلٌ » وردت مجردة من ضبط
 الميم في المخطوطة ، ووجه ضبطها « خَمَلٌ »
 بسكون الميم كما في القاموس وغيره . وفي
 المصباح المنير : « الخمل مثل فُلَس :
 الهُدب . والخمَل : القطيفة » .

٨٦٨ - (دك) ٣٠٧ : ٢٣ وبيروت
 ٤٢٤ والمخطوطة أيضا قول الشاعر :

وطاوعتاني داعكًا ذا معاكة
 لعمرى لقد أودى وما خِلْتُه يُودى
 وصواب الرواية « وطاوعتاني » كما في
 مجالس ثعلب ١٧ مع الاستضاءة بأمالي
 المرتضى ٢ : ٦٠ . كما أن الصواب كذلك
 « لقد أزرى وما مثله يُزرى » .

والبيت من أبيات رائية لعبيد الله بن عبد
 الله بن عتبة المسعودي ، في مجالس ثعلب
 وأمالي المرتضى والحيوان ١ : ١٤ - ١٥
 والمحبر لابن حبيب ٢٩٧ ، ومنها البيتان
 المشهوران :

فَمَسَّا تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خَلْقَتَا
 وفيه المعاد والمصير إلى الحشر
 ولا تَأْنِفَا أَنْ تَرْجِعَا فَتَسْلِمَا
 فما حُشِيَ الْإِنْسَانُ شَرًّا مِنْ الْكَبَرِ

يخاطب معاتباً رجلين مرّاً به وهو أعمى
 فلم يسألْهما عليه .

٨٦٩ - (دك) ٣٠٨ : ٥ - ٦
 وبيروت ٤٢٤ والمخطوطة : « والدك :
 القيّران المنهالة » ، وإلّا هي « القيّزان »
 بالزاي المعجمة ، كما في التهذيب ٩ :
 ٤٣٦ . والقيّزان : جمع قوز ، بالفتح ،
 وهو المستدير من الرمل ، والكثيب المشرف .
 ٨٧٠ - (دك) ٣٠٨ : ١٦ وبيروت
 ٤٢٥ : « إنا وجدنا بالعراق خيلاً عراضاً
 دُكّاً ، فما يرى أمير المؤمنين من أسهامها » ،
 والصواب « في إسهامها » : أي اقتسمها
 كما في المخطوطة ، وإن كانت « إسهامها »
 مجردة من الضبط فيها .

٨٧١ - (دك) ٣٠٨ : ٢٠ والمخطوطة
 « واختلّفوا في الدكان فقال بعضهم : هو
 فُعْلان من الدَّكِّ ، وقال بعضهم : هو فُعّال
 من الدَّكِّ » . وليس كذلك ، بل صواب
 الأخيرة « فُعّال من الدكن » كما في
 التهذيب ٩ : ٤٣٨ . وبذلك صححت في
 طبعة بيروت ٤٢٥ .

٨٧٢ - (دك) ٣٠٩ : ١٨ وبيروت
 ٤٢٦ والمخطوطة أيضا قول الراجز :
 يادار سلمى بدكاديك البرق
 سَقِيّاً فقد هيّجتِ شوق المشتاق

والراجز هو رؤبة ، كما في شرح شواهد الشافعية للبغدادى ١٧٤ . كما أن الشطرين في الخصائص لابن جنى ٣ : ١٤٥ والمقرب لابن عصفور ١٠٧ والصباح (شوق ، دكك) واللسان (شوق) بدون نسبة .

أما « المشتاق » التي وردت محرفة في هذا الموضع وحده فصوابها « المشتق » كما في جميع المراجع المتقدمة . قال البغدادى : « أصله المشتق ، فقلب الألف همزة وحركها بالكسر لأن الألف بدل من واو مكسورة » ، يعنى أن أصلها مشتوق .

٨٧٣- (ركك) ٣١٧ : ٤ وببيروت ٤٣٢ والمخطوطة قول الشاعر :

توضّحن في قرن الغزالة بعدما

ترشّفن ذرات الذّهاب الركائك

ولم ينسب البيت في اللسان ولا في التهذيب

٩ : ٤٤٤ . وهو لذى الرمة في ديوانه

٤١٩ : « ترشّفن ذرات الذّهاب الركائك »

كما أن صواب النص : « ذرات الذّهاب »

بالدال المهملة المكسورة . كما في الديوان

والتهذيب . والذرات : جمع درة بالكسر ،

وهي سيلان المطر ، كما أن الدرة سيلان

اللبن وكثرته . والذهاب : جمع ذهبة بالكسر ، وهي المطرة الضعيفة .

٨٧٤- (ركك) ٣١٧ : ٦ وببيروت

٤٣٣ : « قيل لأعرابي : ما طرة أرضك ؟

فقال : مرشكة » . أما المطرة على وضعها

هذا فصوابها « المطرة » بسكون الطاء .

وفي اللسان : « المطرة : الواحدة » يعنى

أنها اسم مرة . لكن صواب النص المطابق

للمخطوطة : « ما طر أرضك » . وكذلك

ورد النص في تهذيب اللغة ٩ : ٤٤٥

وهو مرجع ابن منظور في هذا الاقتباس .

٨٧٥- (سكك) ٣٢٧ : ١-٢

وببيروت ٤٤٢ : « يقال سكك بسلاحه

وسجج وهك ، إذا حذق به » . وفي

المخطوطة « إذا حذف » بالدال المهملة .

والوجه « حذق » بالخاء والذال المعجمتين

والقاف ، كما في التهذيب ٩ : ٤٣٢ وإن كانت

في بعض مخطوطات التهذيب : « حذف » ،

إذ هو المؤلف في التعبير عن

سلاح الطائر . وفي التهذيب ٧ : ٢٠

« عن الأصمعي : ذرق الطائر ونحرق

ومزق وزرق » .

٨٧٦- (شكك) ٣٣٨ : ١٢ وببيروت

٤٥٢ والمخطوطة : « والشكائك من

الهُوَادِجُ : مَاشِكٌ مِنْ عِيدَانِهَا الَّتِي بَقِيَتْ
بِهَا بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ « ، وَلَا وَجْهَ لِقَوْلِهِ
« بَقِيَتْ بِهَا » ، وَالصَّوَابُ « الَّتِي تُقْبَبُ
بِهَا » ، كَمَا فِي التَّهْذِيبِ ٩ : ٤٢٦ مَعَ
التَّجَاوُزِ عَنْ خَطَا الطَّبَعِ . وَفِي اللِّسَانِ :
(قَبَبٌ ١٥٢) : « وَبَيْتٌ مُقْبَبٌ : جَعَلَ
فَوْقَهُ قَبَّةً . وَالهُوَادِجُ تُقْبَبُ » .

١٧٧- (ضَبْرُكُ) ٣٤٥ : ١٩ وَبِيرُوتُ
٤٥٩ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَرَدُوا أُرَاقَ بَعْجَحَنْدَلٍ مِنْ تَغْلِبٍ
لَجِبَ الْعَشَى ضُبَارُكَ الْأَرْكَانِ

وَفِي الْمَخْطُوطَةِ : « وَرَدُوا أَرَانَ » ، وَفِي
الْهَامِشِ أَمَامَهَا « إِرَاقُ » ، مَعَ وَضْعِ الْحَرْفِ
« ط » فَوْقَهَا . وَصَوَابُهُمَا جَمِيعًا : « إِرَابُ »
كَمَا فِي الدِّيَوَانِ ٨٨٢ . وَفِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ :
« إِرَابٌ بِالْكَسْرِ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ، مِنْ
مِثْلِ الْبَادِيَةِ ، وَيَوْمٌ إِرَابٌ مِنْ أَيَّامِهِمْ ،
غَزَا فِيهِ هَنْدِيلُ بْنُ هَبِيرَةَ الْأَكْبَرِ التَّغْلَبِيُّ ،
بَنَى رِيَاخَ بْنَ يَرْبُوعَ ، وَالْحَيَّ خَلُوفَ ،
فَسَبَى نِسَاءَهُمْ . وَسَاقَ نَعْمَهُمْ » .

وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ فِي الدِّيَوَانِ :

وَكَنَّانَ رَايَاتِ الْهَلِيلِ إِذَا بَدَتْ

فَوْقَ الْخَمِيصِ كَوَاسِرُ الْعَقِيَانِ

فَهَذَا الْهَلِيلُ هُوَ هَنْدِيلُ بْنُ هَبِيرَةَ التَّغْلَبِيُّ
قَائِدُ يَوْمِ إِرَابٍ . وَالْفَرَزْدَقُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
يُعْتَرِفُ لِلْأَخْطَلِ التَّغْلَبِيِّ الشَّاعِرِ بِمَكْرَمَتِهِ
فِي تَفْضِيلِهِ إِيَادَ عَلَى جَرِيرٍ ، وَيَمْدَحُ رِثْمَةَ
بَنِي تَغْلِبٍ . وَيَهْجُو جَرِيرًا . وَيَقُولُ
الْأَخْطَلُ فِي الْإِنْتِصَارِ الْفَرَزْدَقِ وَهَجَاءِ جَرِيرٍ
(دِيْوَانُهُ ٥٠) :

فَانْعَقْ بِضَائِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا
مَنْتَكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَالًّا

مَنْتَكَ نَفْسُكَ أَنْ تُسَاقِيَ دَارِمًا
أَوْ أَنْ تَوَازِيَ حَاجِبًا وَعِقْلًا

٨٧٦- (عَفْكُ) ٣٥٥ : ٢ وَبِيرُوتُ
٤٦٩ وَالْمَخْطُوطَةُ : « وَامْرَأَةٌ عَفْتَاءٌ ، وَعَفْكَاءُ
وَنَفْتَاءٌ ، إِذَا كَانَتْ خَرَقَاءَ . وَالْعَفْكُ
وَالْعَفْتُ يَكُونُ الْعُسْرَ وَالْخَرْقُ » ، لَكِنْ
فِي الْمَخْطُوطَةِ « الْعُسْرُ » بِالرَّفْعِ . وَفِي النِّصِّ
تَحْرِيفَانِ . أَمَّا « نَفْتَاءٌ » فَلَا وَجْهَ لَهَا ،
وَالصَّوَابُ « لَنْتَاءٌ » بِاللَّامِ كَمَا فِي
التَّهْذِيبِ ١ : ٣٢٢ . وَفِي اللِّسَانِ (لَفَتْ) :
« وَالْأَلْفَتْ وَالْأَلْفُكُ فِي كَلَامِ تَمِيمٍ :
الْأَعْسَرُ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ بِجَانِبِهِ
الْأَمِيلُ » ، وَفِي كَلَامِ قَيْسٍ : الْأَحْمَقُ ،
مِثْلُ الْأَعْفَتِ . وَالْأُنْثَى لَفْتَاءٌ » .

وأما التحريف الآخر ففي ضبط « العسر »
وصوابها « العسر » كما رأيت ، بنتهج
السين وبالنصب .

٨٧٩ - (عكك) ٣٥٧ : وببيروت
٤٦٩ والمخطوطة : قول دَلَم . أجي زُعَيْب
العشمي :

* لما رأيت رجلا دعكايه *

وبوجه الرواية : « لما رأيتني » على أن
الرواية في اللسان (درج ، دعك) :
« إهأثريني » .

٨٨٠ - (عكك) ٣٥٧ : ١٣ وببيروت
٤٧٠ قول الراجز :

* أَزَرْتُهُ تَجَدُّهُ عَكَ وَكَأ *

وفي المخطوطة : « أَرَزْتُهُ » ، والصواب
« إِزَرْتُهُ » لتقابل « مَشَيْتُهُ » في الشطر
الذي بعده ، وهذا الصواب في الصحاح .
وفي التهذيب ١ : ٦٥ : « إِنْ زَرْتَهُ » ،
وليست بشيء . وبعد الشطر :

* مَشَيْتُهُ فِي الدَّارِ هَاكَ رَكَا *

يقال ائْزَرَ فلانُ إِزْرَةَ عَكَ وَكَ ،
وإِزْرَةَ عَكِّي ، وهو أَنْ يُسَبِّلَ طَرْفِي إِزَارَهُ
ويضم سائره . فالنص يتناول تصوير
الإِزْرَةِ والمشيئة ، ولا يلقى بالزيارة .

٨٨١ - (فرك) ٣٦٢ : ٧ وببيروت ٤٧٤
والمخطوطة أيضا قول رؤبة :

وَالْعَسَقُ : ظِلْمَةُ اللَّيْلِ ، وَلَا وَجْهَ لَهَا هُنَا
إِنَّمَا هُوَ « الْعَسَقُ » بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ كَمَا فِي
ديوان رؤبة ١٠٤ واللسان والمقاييس (عسق)
والأسرار من السَّرِّ ، وهو الزكاح . ويقال
عَسَقْتُ الناقةَ بِالْفَحْلِ عَسَقًا : أَرَبَّتْ بِهِ
ولزمته . وقد سبق الكلام عليه في التنبيه
رقم ٣٧٧ .

٨٨٢ - (لكك) ٣٧٣ : ٧ وببيروت ٤٨٤
والمخطوطة ، قول الشاعر :

إِلَى عَجَايَاتٍ لَهُ مَلَكُوكَةٌ
فِي دُنُوسٍ دُرْمِ الْكُحُوبِ بَيَانٌ
بإهمال نقط الكامة الأخيرة ، وإنما هي
« أَتْنَانُ » كما في التهذيب ٩ : ٤٥٢ .
وَالْأَتْنَانُ : جَمْعُ تِنٍّ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ الْمَثِيلُ
وَالشَّبِيهِ .

٨٨٣ - (لوك) ٣٧٤ : ٦ قول عبد بن
الحسحاس :

أَلَكْنِي إِلَيْهَا عَمْرَكَ اللَّهُ يَافَتِي
بِأَيَّةِ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا

والصواب «عمرَك الله» بنصب لفظ الجلالة ، كما في المخطوطة . وجاءت على هذا الصواب في طبعة بيروت ٤٨٥ . وفي اللسان (عمر ٢٨٠) : «الكسائي : عمرَك الله لا أفعل ذلك ، نصب على معنى عمرتك الله ، أى سألت الله أن يعمرَك ، كأنه قال : عمرت الله إياك . قال : ويقال إنه يمين بغير واو . وقد يكون عمرَ الله . وهو قبيح » .

٨٨٤ - (ملك) ٣٨٥ : ١١ وبيروت ٤٩٥ والمخطوطة كذلك ، قول أوس بن حجر :

فملك بالليط التي تحت قشرها

كغرقى ببض كنه القيض من عل
وصواب الرواية : «الذي تحت قشرها»
كما في الديوان ٩٧ واللسان (ليط)
والمعاني الكبير لابن قتيبة ١٠٦١ .
والليط : جمع ليطة ، وهى قشرة القصب
والقوس والقناة وكل شئ له متانة . وملك ،
أى ترك من القشر شيئاً يتمالك به .

٨٨٥ - (نرك) ٣٨٨ : ١٢ وبيروت ٤٩٨ والمخطوطة : «أنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لامرأة وقد لامها ابنها في زوجها :

وددت لو أنه ضب أنى
ضبيبة كدية وحداً خلاء

والبيت في الحيوان ٦ : ٧٥ منسوب إلى حبي المدنية ، قالت لابنها حين عدلها لأنها تزوجت ابن أم كلاب ، وهو فتى حدث ، وكانت هى قد زادت على النصف .

وانظر سبب تمنى هذه المرأة لأن تكون ضبة زوجاً لضب ، فى كتاب الحيوان . و «وحداً خلاء» خطأ فى النص والرسم . والصواب «وجداً خلاء» أى أصابا خلوة . وفى الحيوان : «كضبة كدية وجدت خلاء» .

٨٨٦ - (ورك) ٤٠٤ : ١٨ وبيروت ٥١٢ قول الهذلى :

بها مَحِصٌ غيرُ جافى القوى
إذا مُطى حنَّ بوركِ حُدالٍ

وفى المخطوطة : «جُدال» بضم الجيم مع إهمال ضبط اللام ، وهذه معروفة ، إنما هى بالحاء المهمة كما فى المطبوعتين ، لكن وجه الخطأ فى ضبط اللام بالسكون وإنما هى «حُدال» بكسر اللام ، من قصيدة لأمية بن أبى عائذ الهذلى فى

ديوان الهذليين ٢ : ١٧٢ وشرح السكري
٤٩٤ مطلعها :

ألا يا قوم لطيف الخيال
أرق من نازح ذى دلال

وحدال : فيها حدل ، أى طمأنينة
إلى أحد جانبيها ، تنحدر سيئتها قليلا .

٨٨٧ - (وشك) ٤١٦ : ٦ - ٧
وببيروت ٥١٤ والمخطوطة : « قال عبد الله

بن عثمة يرثى بسطام بن قيس :

حقيبة سرجه بدن ودرع
وتحملة مواشكة دؤوك

فأول خطأ تسمية الشاعر ، فهو عبد الله
بن عثمة : لا عثمة . وأصل العنمة واحدة
العنم ، وهو ضرب من النبات . وعبد الله
هذا شاعر معروف من شعراء الفضليات
والأصمعيات ، له المنضائية ١١٤ والأصمعية
١٠ . ومطلع قصيدته فى الأصمعيات ص ٢٦ :

لأم الأرض ويل ما أجنت
غداة أضر بالحسن السبيل

والخطأ الثانى « دؤوك » بالكاف .
صوابها « دعول » باللام : من الدالان :
وهو ضرب من العنود .

عبد السلام محمد هارون
عضو المجمع

في معاني الأفعال :

المزيد بالهمز كالمجرد

في الأفعال النثرية المتعددة

للسانف محمد بن أمين

١ - المشهور من أحكام التصريف العامة أن هناك معنى لكل حرف من حروف الزيادة في بناء الأفعال ، وأنه إذا زيد حرف أو حرفان أو أكثر كان لكل زيادة من هذه الزيادات معناها الملحوظ ، وذلك تفرقة بين المجرد والمزيد .

ذلك إذا يسوقه علماء العربية في عامة ما يقولونه وما يعتمدونه أساسا راسخا في دلالة المباني على المعاني ، ولكنهم يجدون في مسموع اللغة من الأفعال المزیدة ما هو في معنى الأفعال المجردة ، دون تفریق .

ولإزاء هذا الذي يجدونه لا يملكون إلا أن يشيروا إليه ، فتراهم يقولون إن هذه الصيغة المجردة أو المزیدة يحرف أو أكثر تجيء بمعنى صيغة أخرى من صيغ المزیدات ، ثم يجتزئون بذلك مثال أو أمثلة معدودات ، وربما نصوا على أن ذلك قليل أو نادر .

٢ - والذين يتبعون أقوال النحاة والصرفيين في أبنية الأفعال المزیدة يختلف

حروف الزيادة يستطيعون أن يستخلصوا ظاهرة صرفية واضحة ، هي أن أكثر هذه الأبنية المزیدة قد تأتي كالمجرد بلا مغايرة له في معناه ، فما من مؤلف في تصريف الأفعال - قديم أو محدث - إلا أنه إلى ذلك صريح في غير مواربة ولا لبس ، ومن أبرز ذلك في تأليفه «النارابي» في «ديوان الأدب» فهو يرشد في بيان معاني الأبنية إلى تلاقى المجرد والمزيد على معنى مشترك فيأتي المجرد بمعنى المزید سواء .

وهناك من ذلك القليل نماذج ممتبسة من جملة من التصانيف الأصول ، تتناثر في تفاسيف الصه حائف والأبواب ، نقدمها فيما يلي على سبيل التمثيل لا الحصر :

أولا - بناء «فعل» المجرد تشاركه في معناه الصيغ الآتية :

(أ) أفعل ، مثل : جهجت فلانا وأجهجته .

(ب) فعل المضعف ، مثل : ماز الأمر وميئزه

(ج) فاعل ، مثل جاز البلاد وجاوزه .

(د) افتعل ، مثل قفى الشيء واقتناه .

(هـ) انفعّل ، مثل : عدل عنه وانعدل .

(و) استنفعّل ، مثل : يأس منه واستيأس .

ثانياً — بناء «أفعل» يشركه فى معناه بناءان هما :

(أ) فعّل المضعّف ، مثل : أسمى الشيء وسماه .

(ب) فاعل ، مثل : عافاه الله وأعفاه .

ثالثاً بناء «تفعّل» يأتي بمعناه البناءان الآتيان :

(أ) تفاعّل ، مثل : نجوز فى الأمر ونجاوز .

(ب) استنفعّل ، مثل : تكبّر فلان واستكبر .

رابعاً — بناء «فعلّل» المضعّف ، له بمعناه بناءان كذلك : —

(أ) فاعل ، مثل ضعّف الشيء وضاغفه .

(ب) تفعّل المضعّف ، مثل : ولىّ فلان وتولىّ .

فلذا رجعنا إلى كتب فقه اللغة وما دبر منها بسبيل . ألفينا ثمة أبواباً تعقدياً ما يتحد فيه المبنى مع اختلاف البناء ، وفى هذه الأبواب تسرد الأمثلة من فصيح العربية بتدرّ يغزر أو يندر فى هذا الكتاب أو ذاك .

٣ - وهنا يتبادر إلى الخاطر هذا السؤال : فيم الزيادة إذن إن لم تكن لمزيد معنى ، أفادته زيادة المبنى ؟

ولم يغيب هذا السؤال عن بال النحوى الألعى «الرضى» فقال فى التعتيب على ما أورده «شافية ابن الحاجب» من معنى «أفعله بمعنى فعله ، نحو : قلته البيع وأقلته : «وكل زيادة لمعنى وإن لم يكن إلا التأكيد» والحق أن اصطلاح «الرضى» فائدة «التأكيد» لتسويغ الزيادة ، إنما هو محاولة مقترضة لجعل قاعدة أن الزيادة لا بد أن تكون لمعنى قاعدة مطردة لا تتخلف .

ويقف فى وجه هذه المحاولة أن اللغة حين تذكر الأفعال المزیدة بمعنى الأفعال المجردة ، لا تضيف فى الأكثر منها جديداً يفرق بين المجرد والمزيد ، وإن يكن الفارق هو محض التوكيد .

وقد اختلف علماء التصريف فى تسمية الهمزة الزائدة فى أفعله بمعنى فعله وتعليها . وإن لم يختلفوا فى ورودها . وقد ذكر «المالقي» فى كتابه «رصف المباني» ص ٥٠ أن هذه الهمزة تسمى همزة النقل . وقال : «إنها لا تفيد شيئاً سوى النقل ، سواء كان الفعل متعدياً أو غير متعد . وليس لها معنى إلا مجرد النقل خاصة»

٤ - على أن اللغويين الذين يعنون بتسجيل ما تناقله الرواة من تنسيب الكلام العربى إلى اللهجات العربية المتعددة . يرجعون أنساب بعض هذه الأفعال المزیدة إلى فبيالة أو قبائل مسماة أو غير مسماه . ويقولون إنها تناظر صيغها المجردة بمعناها فى لهجة أو لهجات أخرى لقبيلة أو قبائل غير تلك .

وفى هذا المنظور القائم على التنسيب،
اللّهجوى^(١) ما يضعف من جدية المحاولة
التي عبر عنها «الرضى» بأنها التوكيد
تيجيز بها دخول الحرف الزائد على الفعل
المجرد بمعناه، مادام اللغويون يطبقون
على أن الزيادة لغير مزيد معنى مأنوسة في
غير لهجة من لهجات العرب.

ومع ذلك فإن هذا التنسيب اللغوى الذى
رصدته بعض اللغويين بالنص على
فروق اللهجات غير مطرد في قبيلة معينة؛
أو موقوف على لهجة برأسها، فرمما نسبوا
إلى إحدى القبائل مزيداً بمعنى المجرد في قبيلة
أخرى، ونسبوا إلى جانب هذا مجرداً في
القبيلة الأولى بمعنى المزيد في القبيلة الأخرى.

٥- وفى هذا المقام نريد أن نخص
بالبحث بنية «فعل وأفعل»، وأول ما ننوه
به أن هاتين البنيتين لقيت كلتاهما فضل
عناية من النحاة وأصحاب اللغة، إذ لاحظوا
كثرة ورودهما معنى واحداً؛ فذهبوا إلى ذلك
بمثل قولهم: «ويجىء أفعلته بمعنى فعلته». وفى
مؤلفات فقهاء اللغة، أبواب أوفصول
معينة ينص فيها على مجئ البنيتين باتفاق المعنى
وأذكر من هذه المؤلفات «أدب الكاتب» لابن
قتيبة، و«سر العربية» للثعالبي و«الخصص»
لابن سيده، و«الزهر» للسيوطي، و«الأفعال»
للسرقسطي، وهو أغزرها مادة وأرضحها تفصيلاً.

وإن صيغة أفعل بمعنى فعل، من أظهر
ما يظهر فيه تنازع رواة اللغة وأثباتها حول
تعاقب المجرد والمزيد، تارة يقولون هذه
اللفظة المزيدة موافقة لأختها المجردة، كما
في ملكة العجبن وأملكه وطورا يقولون
هذه لغة دون نسبة كما في أردفه بمعنى
ردفه. وحينما يعزون اللغة إلى ذوبها كما في
أرجفته في لغة هذيل بمعنى أرجفته وأعصفت
الريح في لغة بني أسد بمعنى عصفت؛
ويذكرون أن بني عامر يقولون: ذهبه فهو
ذهيب ونيتته نهو منيت وبرزه فهو مبروز؛
وبينهم من يذكر تفرقه خفيفة بين أفعل
وفعل، في أقبسه وقبسه، فيقول: أقبست
والرجل علما وقبسته نارا، ويتصدى له
الكسائي فيقول: أقبسته ناراً وعلما سواء،
ويجوز طرح الألف منهما. وربما أنكر
بعضهم مجئ أفعل بمعنى فعل في بعض ألفاظ،
كما في إنكار «الأصمعي» لأبرق وأرعد
بمعنى برق ورعد، فردوا عليه محتجين
بشعر «الكهيت». وفى اللغويين من لاحظ
أن العرب تقول: أحزننى هذا الشئ، فإذا
صاروا إلى المستقبل قالوا: يحزننى بفتح الياء،
ويحمل هذا على أنه كان في الأصل أحزنه
بحزنه، وحزنه بحزنه بمعنى واحد، كما
قاله أ: سلكه وأسلكه، وسحته، وأسحته
بمعنى واحد، فأخذوا من هذه الصلابة ومن
هذه الغابر وأماتوا الآخرين، وما استظهره
ذلك اللغوى يؤيده إثبات «الجوهري» لأحزنه

(١) نسبة إلى علم اللهجات، أى نسبة إلى الجمع، باعتبار أن (اللهجات) قد اكتسبت العلمية بأنها اسم لا صفة
من العلوم. فيةال - لهجوى، كما يقال في النسب إلى هذات وصعبات: هذوى وصعبوى.

وحده نه بمعنى واحد ، وإن لم يقل إن أحد
الفاعلين في ماضيه أو مضارعه مسلوب الحياة .
وفي الدراسة التي نشرها الأستاذ الدكتور
« أحمد علم الدين الجندى » في الجزء الثاني
والثلاثين من مجلة « مجمع اللغة العربية »
لصيفتى « فعل وأفعال » - جملة من النصوص
الوثيقة حول جملة من الأفعال ، يؤخذ منها
أن اللهجات العربية تتعاور الصيغتين ، بيد
أن لهجة « تميم » يغلب استعمالها لصيغة « أفعله »
بمعنى « فعله » ، وأن غيرها من لهجات الحجاز
وتجد وهذيل وقيس وعقيل وجرم يرد في
استعمالاتها ذلك أيضا ، على حين أن لهجة
« تميم » تستعمل كذلك صيغة « فعله » بمعنى
« أفعله » فتقول في أهلكه هلكه ، وفي أجبره
على الأمر جبره ، وفي أخلى على اللين
واللحم خلا ، يضاف إلى ذلك أن هناك
أفعالا هي : سحت وفتن ولات وجنب
وسرى وحزن ، وردت (هي ؛ وغيرها)^(١) في
قراءات القرآن ، مداولة بين فعل وأفعال
بمعنى واحد ، لا خلاف في ذلك بين
لغوى ومفسر .

٦ - وبجمل بنا أن نقف مع « ابن
درستويه » وقفة قصيرة ، فقد جاهر بمخاصمته
لاتفاق أفعال وفعل في المعنى ، وأظهرنا على
أنه ألف كتاباً في افتراق معنى فعل وأفعال ،
وله في كتابه « شرح الفصيح » مقولة ينادى بها
ويصر عليها ، وهي قائمة على أساس أنه لا
يؤمن في فلسفته اللغوية بالمشارك لفظاً أو

المشارك معنى ، فهو ينكر تعدد المعاني مع
وحدة اللفظ ، كما ينكر اختلاف أبنية اللفظ
مع وحدة المعنى : وما أفاض فيه يتجلى أنه
يتأول ما يرد من أفعال وفعل بأنه إما لتباين
اللهجات ، وإما لعلة وفروق : وإما لتشبيهه
فِعْلٌ بفِعْلٍ ، وإما لحذف واختصار .
وإذا كان لهذا الوجه من النظر مدرك
يمكن قبوله ، والاطمئنان إليه . في تعليل
بعض الأفعال المسموعة عن العرب ، فإن
ذلك لا يقدم ولا يؤخر في واقع اللغة المروى
الحاصل في اليد من الألفاظ التي يرد فيها
أفعاله بمعنى فعله سماعاً عن العرب الخالص .
وشتان ما بين النظر والعمل ، وما بين المنطق
والواقع ، وما ينبغي لنا أن نرسم للغة شريعة
من قواعد وضوابط منبثقة من فكر وتدبر ،
وتأصيل وتفصيل ، ثم نحكم بها على المأثور
من فصيح الكلام . لنعدل به عن وجهه .
ونصرفه إلى غير مدلوله ، فإنما تخضع
القواعد والضوابط للوارد المسموع ،
فتجرب عليه . وتأنزم به ، كما نقله رواة
اللغة وحفظها ، بدلالاته التي تعبر عن حرية
العربي الفصيح في الوضع ، وتصرفه في
الصوغ ، بلاسلطان عليه ، ولا نكير .

ولو أننا عمدنا إلى اللغة . فنقمينا منها مالا
يطابق القواعد والضوابط التي ننتزعها من
أفكار مجردة ، وتصورات عقلية ، لأكرهنا
اللغة إكراها على غير ماهي جارية عليه
بالفطرة والدربة ، والمرونة والطلاقة .

(١) قرئ (يمد) في سورة لقمان مجرداً ومزيداً ، كما في « النسفي » .

أفيجوز لنا أن نؤلف معجمنا العربي على أساس
رفض المشترك لفظا والمشارك معنى ، على
نحو ما ينادى به «ابن درستويه» ؟ إذن يلحاز
لنا أن ن حذف من مواد اللغة وتفرجات
مدلولاتها ما يعيا به الإحصاء ، وإذن
لأفقدنا متن اللغة ما نفهم به النص العربي
المأثور ، من منظوم ومنثور .

ومقطع الحق في هذا ما عبر عنه «ابن فارس
في فقه اللغة كما في «المزهر» ص ٣٦٩ بقوله :
«إن العرب تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ،
وتسمى لشيء واحد بالأسماء المختلفة» وأزيد :
أن الأفعال في هذا كالأسماء .

٧ - ولقد أورد أعلام النحو والصرف
ما جاء فيه فعلاته وأفعاله باتفاق المعنى
أمثلة لا تجاوز أصابع اليد ، للتمثيل ،
وسرد له فقهاء اللغة في مختلف كتبهم
عشرات الأمثلة للتعريف . وكنت فيما سلف
من الأقضية أعنى بجمع ما يقع لى من هذا
القبيل فيما أطالع من المراجع اللغوية المعتمدة
كالجمهرة والصحاح والتهذيب واللسان
والتاج وغيرها من الأصول . ومن حصيلة
ذلك كله توافر لى عدد جيم من الأفعال
يبلغ نحو ستين فوق المائتين ، ثلاثة أرباعه
أفعال ثلاثية مجردة متعدية بنفسها ، لها ما يباظرها
في معناها ، مما دخلت عليه الهمزة مزيدة
دون معنى مزيد ، والرابع الباقي أفعال
ثلاثية مجردة أيضا تعدت بحرف الجر
ولها نظائر بمعناها مع الهمز . وعمدتى في
بيان المعنى المشترك ما نص عليه معجم أو
تواردت في النص عليه معجمات . مناد

ذلك كله عند جمة اللغة ومدونها أن هذه
الأفعال مزيدها كمجردها ، دون تفرقه في
معنى ، أو زيادة في دلالة ، ودون توقف
في جواز استعمال المزيد كالمجرد ، سواء بسواء ؟
٨ - وغنى عن القول أن مأثور اللغة

كله حجة للاستعمال إن صح ، ومدرجة
للقياس إن كثر ، والمقصود بالصحة النقل
عن العرب الذين تنوقل عنهم الكلام ،
والمراد بالكثرة ما يطمان به إلى سنة العربية
في البناء والصوغ ، وليس بقادح في ذلك
أن يكون المسوع عن العرب متعدد
المصادر من مختلف اللهجات المروية عن
قبائل اعتمد علماء اللغة عروبتها في جمع
مواد اللغة . وحسبنا فيما نحن بصداه
من صيغة أفعله بمعنى فعلة أنها واردة في
لهجات شتى ، وأنها لا صفة لصوقا ظاهرا
بلهجة «تميم» التى قال فيها «ابن حزم»
في «جمهرة أنساب العرب» : «إنها قاعدة
من أكبر قواعد العرب» .

وطوعا لما أسلفنا ، يسعنا القول بأن من
سنن العربية استعمال أفعلت الشيء بمعنى
فعلته ، وللقائل بأنقياس ذلك الاحتجاج بهذا
العدد الوافر الزاخر مما تحتويه خزائن اللغة ،
ومنه تلك المصنعة التى أوفت على المائتين
عدداً ، ونحن موردوها من بعد مرتبة
بحسب حروف الهجاء ، مفصلة بحسب
التعدى بالنفس أو بالحرف .

٩ - ورب سائل قائل :

ما الحاجة إلى هذا الذى تجهد فيه
جهدا ، وتنجح له جدّا ؟

والجواب عن ذلك أن القول بعباسية أفعاله بمعنى فعله ، فيه غناء من عدة فواح : الأولى : تحقيق السنة العربية في مجيء أفعاله بمعنى فعله ، وإضافة ذلك إلى قواعد التصريف المقررة ، فما هو بالشاذ ، ولا بالنادر ، ولا بالقليل .

الثانية : تطويع هذه الصيغة الفعلية لحاجة الاستعمال ، برفع الحجر الذي تفرضه فيها المقررات التعليمية العامة وإجازة القياس عليها ، لاستخدامها حين يراد التخصص في مصطلح ، أو التصرف في تعبير ، إلى غير ذلك من وجوه التنويع أو التيسير .

الثالثة : أن الأفعال الزيادة بصورتها المهموزة معدية إلى منفعولاتها ، أسرع في إفادة التعدية من الأفعال المجردة متعددة بنفسها أو بحرف الجر ، وكذلك الشأن في مصادر المجرد ومصادر المزيد .

الرابعة : أن الأفعال الثلاثية المجردة يصعب الحكم فيها على حركة عين الماضي والمضارع ، بخلاف المزيدة ، فإن الضبط فيها لا يحتاج إلى توقف في مضي أو استقبال ، إذ هو موحد مقيد .

الخامسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة أغلبها لا قياس فيه ، على عكس المزيدة ، فمصادرهما مما ينقاس . وما لا يحتاج إلى سماع أولى وأيسر مما يحتاج إلى السماع .

السادسة : أن مصادر الأفعال الثلاثية المجردة قد توافقت الأسماء المأخوذة منها في صيغتها ، فيشتبه التعبير ويلتبس ، ومثاله «العذر» فهو اسم بمعنى حجة الاعتذار ووجهه ، وبهذا المعنى أشهر حتى اختص به :

والعذر كذلك مصدر للمعنى الخلد وهو رفع اللوم . تقول : عذره عذرا أى قبل اعتذاره : فالعذر إذن هو قبول العذر . ولا يكاد هذا المعنى يسفر باستعمال لفظ العذر . كما يستمر إذا جرى بالبناء المزيد . فيقال : أعذره إعذاراً أى قبل عذره . وذلك مثبت في مسموع اللغة .

السابعة : أن اسم المرة من مصدر الثلاثي المجرد لا يستبقى في الغالب صورة المصدر ، بل يقتصره على صورة موجبة ربما كان فيها تنكير لصورته الأصلية . فاسم المرة من الفراغ فرغة ، ومن الإتيان أتية ، ولا كذلك المزيد ، فإن اسم المرة لا يتحيف صورة مصدره ، بل يستبقى على أصله ، بزيادة تاء في آخره . وفي الإبقاء على الأصل إيضاح ، وفي تغيير الصيغة إغماض ، والجنوح إلى الوضوح غرض منشود .

الثامنة : أن من الشائع في اللغة المعاصرة قول الكتاب هذا عمل مشين أو مريع أو مربك (بضم المهمات) وذلك العمل يضيره ، بضم الياء ، وقد أضير الرجل بضم الهمزة ، وإشهار البيع ، وهذه الاستعمالات إنما تجاز على أن أفعالها المزيدة في معنى أفعالها المجردة .

١٠ - والآن نسوق الأمثلة الفصاح من الأفعال الثلاثية المجردة التي وردت متعددة بنفسها أو بالحرف ، كما وردت مزيدة بالهمز ، مع اتفاق المعنى . وهى قسمان : القسم الأول : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بنفسه .

القسم الآخر : المجرد والمزيد بالهمزة ، مما يتعدى بالحرف :

أولا - من المتعدي بنفسه

ألف المكان وآلفه	جننته وأجننته	ردح البيت وأزدحه
أمر ماله وأمره	جهرته وأجهرته	رجعه وأرجعه
أجر الغلام وآجره	جملت الشحم وأجملته	رملت الحصير وأرملته
أدبه وآدبه	حزنه وأحزنه	روى الزرع وأرواه
أدمه وآدمه	حقه وأحقه	رحض الثوب وأرحضه
أثمه وآثمه	حكيت العقدة شددتها	ردفته وأردفته
أويته وآويته	وأحكيتها	رعى المشية وأرعاه
بر الله حججه وأبره	حبه وأحبه	رهن الشيء وأرهنه
بشرت الرجل وأبشرت	حرقه وأحرقه	رقن الشعر وأرقنه
بدأ الخلق وأبدأه	حشمه وأحشمه	رتج الباب وأرتجه
بت البيع وأبته	حرقه وأحرقه	رسنته وأرسنته
بدع الشيء وأبدعه	حرمه وأحرمه	ركسته وأركسته
بلى الباب فتمحه وأبلىه	حكمته وأحكمته	رابه الشيء وأرابه
يهج فلانا وأجهجه	حشته وأحوشته	زجاه وأزجاه
باع الشيء وأباعه	حترت الحبل وأحترته	زلت الشيء وأزلته
برزه وأبرزه	حدره وأحدره	زاق رأسه وأزلقه
برم الحبل وأبرمه	حمده وأحمده	زنت خيرا وأزنت
بره الأمر وأبره	حتأ الثوب وأحتأه	زففتها رأزففتها
تباه الحب وأتباه	جاذ الأمور وأجودها	زكتته وأزكتته
ثقفه وأثقفه	خمر الشيء وأخمره	زدق الثياب وأزرقها
جنبه وأجنبه	خبا الخبا وأخباه	سفت الناقة وأسفتها
جبره وأجبره	خسرت وأخسرت	سجد الله وأسجده
جفأه وأجأه	خصه وأخصه	سفت الباب وأسفتها
جهده وأجهده	دلع لسانه وأدله	سفت النسيج وأسفتها
جمعوه وأجمعوه	دججه وأدججه	سجد الله رأسه
جاحه وأجاحه	ذروت الحب وأذريته	سار الدابة وأسارها
جلوته وأجلوته	ذهبه وأذهبه	سعرني شرا وأسعرني

سحر النار وأسحرها
 سلكه وأسلكه
 سقاه وأسقاه
 سقته وأسقته
 شجنه الأمر وأشجنه
 شجاه الأمر وأشجاه
 شرح العربة وأشرحها
 شمع الشيء وأشمرعه
 شرته في الأمر وأشركه
 شغل الوعاء وأشغله
 شمل النار وأشعلها
 شغلته وأشغلته
 شكل الكتاب وأشكاه
 شنى الناقة وأشنىقها
 شنى الغربية وأشنىقها
 شار العسل وأشاره
 شاقه وأشاقه
 صددته وأصددته
 صر أذنه وأصرها
 صفحت الرجل رددته
 وأصفحته
 صبعته وأصبعته
 صابيته في النار وأصابيته
 صرت إلى رأسه وأصرته
 ضره وأضره
 طاح البعير هزله وأطاحه
 طاق يده بالخير وأطلقها
 ظلفت أثري وأظلفته
 طل دم القتييل وأطله
 طمر الشيء وأطمره
 طاعه وأطاعه
 عددت وأعددت

حذر الرجل وأحذره
 عار عينه وأعارها وأعورها
 علمته وأعلمته
 عرش الكرم وأعرشه
 عسرت الرجل وأعسرته
 عفصت القارورة وأعفصتها
 عقبه وأعقبه
 عقم الله رحمها وأعقمه
 عل إبله وأعلها
 عمر داره وأعمرها
 علفه وأعلفه
 عننت الأجسام وأعنته
 عاقه وأعاقه
 عصد العصيدة وأعصدها
 عضبه وأعضبه
 عنكت الباب وأعنته
 عاضه وأعاضه
 عذقت الكبش وأعذقته
 عفوت الشعر وأعفيتها
 غمد السيف وأغمده
 غمض عينه وأغمضها
 فتنه الأمر وأفتنه
 غواه وأغواه
 فرزت الشيء وأفرزته
 فرشته فراشي وأفرشته
 قلد السهم وأقلده
 قبسته وأقبسته
 قلدته وأقلدته
 قرى الضيف وأقراه
 قطبث الشراب وأقطبثه
 قطرت الماء وأقطرته
 قلته البيع وأقلته

قمسته في الماء وأقمسته
 قمعته وأقمعته
 كفأت الإناء وأكفأته
 كنتت الدرة وأكنتها
 لحدت القبر وألحدته
 لحقته وألحقته
 لحيث القوم وألحيهم
 لغز اليربوع أبحجاره
 وألغزها
 لحتته وألحتته
 لاته حقه وألاته
 لاق الدواة وألاقها
 محضه الود وأمحضه
 مد الدواة وأمدها
 مدر الحوض وأمدره
 مرأى الطعام وأمرأى
 مرج البحرين وأمرجهما
 مضه الحزن وأمضه
 مطرنا السماء وأمطرتنا
 ملح القدر وأملحها
 ملك العجين وأملكه
 مهر المرأة وأمهرها
 مارأله وأمارهم
 منجزت الحاجة وأنجزتها
 نجوت الخلد عن اللحم وأنجيتهم
 نرفت البشر وأنزفتها
 نشر الشيء وأنشره
 نشل الشيء وأنشله
 نصف الشيء وأنصفه
 نصر وجهه وأنصره
 نظر غريمه وأنظره
 نعشه الله وأنعشه

نقد الدراهم وأنقصها
نقص الشيء وأنقصه
نقع الشيء وأنقعه
نكر القوم وأنكرهم
نكهم عقوبة وأنكهم
نويت النوى وأنويته
هجأ (سكنه) وأهجأه
مدره وأهدره

هديت العروس وأهديتها
هلاكت الشيء وأهلكته
هلت التراب وأهلته
هرقته الماء وأهرقته
هزل الناقة وأهزلها
وجرت الدواء وأوجرته
ونخفت الخطمي وأونخفته
وعيت العلم وأوعيته
وقفه وأوقفه
وكأ القرية وأوكأها
وهنه الله وأوهنه
يقن الأمر وأيقنه

ثانياً — من المتعدي بالحروف

برق لي وأبرق
بل من مرضه وأهل
ثويت عنده وأثويت
جزت عنه وأجزت
جدني الأمر وأجد
جلبوا عليه وأجلبوا
جلا عن الموضع وأجلى

جهش في البكاء وأجهش
جال في ظهر دابته وأجال
حدث على زوجها وأحدث
حديق به وأحديق

حل من إحرامه وأحل
حاك فيه القول وأحاك
حال في متن فرسه وأحال
خطل في كلامه وأخطل

خفق بجناحيه وأخفق

خاد بالمكان وأخاد

خلد إلى الأرض وأخلد

خلف الله عليه وأخلف

خلا على الدين واللحم وأخلى

دبر عنه وأدبر

ذعن له وأذعن

وبعت عليه الحمى وأربعت

أعد له وأرعد

رغل في مشيه وأرغل

ركح إليه بلأ وأركح

رمى على الخمسين وأرمى

زحف في المشي وأزحف

زرى عليه وأزرى

سقط في يده وأسقط

سرى أبعبده وأسرى

سمح له بحاجة وأسمح

سند في الخيل وأسند

سوئت به ظنا وأسأت

صغوت إلى الرجل وأصغيت

ططف لك الشيء وأطف

طلع على القوم وأطلع

طاف به وأطاف

عصفت به وأعصفت

عاذ بالله وأعاذ

غبت عنه الحمى وأغبت

غمى عليه وأغمى

غربت بالشيء وأغربت

فسح له وأفسح

قبل على الرجل وأقبل

قرأ عليه السلام وأقرأه السلام

قنع به وأقنع

لحد في الدين وألحد

لحق به وألحق

لغط به وألغط

لمع بيده وألمع

لهج به وألهج

لاذ به وألاذ

لوى برأسه وألوى

مطت عنه وأمطت

مسك بالشيء وأمسك

نصع بالحق وأنصع

هوى إليه وأهوى

نعم الله بك عينا وأنعم

وحى إليه وأوحى

وعز إليه وأوعز

وضع في ماله وأوضع

وفي بالعهد وأوفي

وقعت بالقوم وأوقعت

وكس في ماله وأوكس

وما إليه وأوما

يسر له في الأمر وأيسر

محمد شوقي أمين

عضو المجمع

التراث الجيولوجي عند العرب

الدكتور محمد يوسف حسن

محفل

تراث العرب الجيولوجي
بالكثير من المصطلحات

والدراسات التي تدلّ أبليغ دلالة إلى
ازدهار علم الجيولوجيا عند العرب ،
الذي يُعدُّ من أهمِّ دعائم ازدهار
هذا العلم - أيضاً - عند علماء أوروبا في
عصر النهضة ، وحتى مشارف العصر
الحديث .

ويرجع اهتمام العرب بالجيولوجيا إلى
ما طُبِعُوا عليه من حب التجوال ، والرحلة
إلى الآفاق ، والتعرف على معالم بيئتهم ،
وما فيها من جبال ووهاد ووديان ، ومياه
جارية أو غائرة ، وعيون سائلة أو
متفجرة . . وما تنخر به هذه البيئة من
هضاب وصخور ورمال ، وما في باطن
أرضهم من معادن ، وما في أعماق خليجهم
من لآلي ، وغير ذلك مما في جزيرة
العرب .

وجاء القرآن الكريم وفيه عشرات
الآيات التي تبحث بل تسأمر بالنظر والتأمل
فيما أبدع الله تعالى من أرض وسما . .
ومن هذه الايات قوله تعالى :

« قل : انظروا ماذا في السموات
والأرض » (يونس - ١٠١)
« قل : سيروا في الأرض فانظروا
كيف بدأ الخلق (العنكبوت - ٢٠)

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع
للناس » (الحديد - ٢٥)

« وألقى في الأرض رواسي أن تُمَيِّدَ بكم
وأنهاراً ، وسبلاً لعلكم تهتدون » . (النحل
(١٥)

« أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ،
 وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال
كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت
فذكر إنما أنت مذكر » (الغاشية - ١٧-٢٠)

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ، وَمِنَ
الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ،
وَغَرَابِيبٌ سُودٌ » . (فاطر - ٢٧)

« أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا
مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا » . (الأنبياء - ٢٠)

« لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
(غافر - ٥٧) .

وهكذا ، حين أُطْلِفَجِر الإسلام على
أَرْض جزيرة العرب ، وَأَخَذَتْ أَضْوَؤُهُ
تُشْرِقُ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ ، وَارْتَحَلَ الْعَرَبُ
إِلَى مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ ، كَانَ مِنْ أَبْرَزِ سِمَاتِ
الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هَذَا الْإِهْتِمَامُ
الْعِلْمِيُّ بِعَالَمِ الْأَرْضِ وَظَوَاهِرِهَا ، وَاسْتِكْنَاهُ
أَسْرَارِهَا ، وَالْكَشْفُ عَنْ كُنُوزِهَا وَيَتَجَلَّى
ذَلِكَ فِيمَا تَزَخَّرَ بِهِ الْمَعَاجِمُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ
ثَرْوَةٍ هَائِلَةٍ مِنَ الْمَصْطَلَحَاتِ وَالْأَلْفَاظِ
الْجِيُولُوجِيَّةِ ، الَّتِي مَازَالَتْ حَيَّةً حَتَّى الْآنَ ،
يُسْتَعْمَلُهَا الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِنَا الْحَدِيثِ .
كَمَا يَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْحِمَاسُ الْعِلْمِيُّ -
لدى علماء العرب - فِي الْبَحْثِ عَنْ حَقِيقَةِ

تكوين الأرض ، ودراسة ظواهرها ، حتى
خَلَقُوا لَنَا تَرَاثًا جِيُولُوجِيًّا يَنْطِقُ بِأَجَلِي
بَيَانٍ عَلَى أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةُ عِلْمٍ وَحَضَارَةٍ
مِنذُ عَشْرَاتِ الْقُرُونِ . وَمِنَ كُتُبِ هَذَا
التُّرَاثِ « رِسَائِلُ إِخْوَانِ الصِّفَا ، وَ « كِتَابُ
عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ وَغَرَائِبِ الْمَوْجُودَاتِ »
لِلْقَزَوِينِيِّ ، وَغَيْرُهُمَا .

وقد بدأ نمو الخلفية الجيولوجية عند
علماء العرب المهتمين بالعلوم الطبيعية
من حصيلة ما ترجمه أساطين عصر الترجمة
منذ القرن الأول للهجرة وبخاصة ما ترجمه
بعد ذلك أعلام مدرسة بنى موسى بن
شاذان ، ومدرسة يعقوب بن إسحاق الكندي
وغيرهم ممن أجادوا لغات اليونان والرومان
والسريان ، وللكندي نفسه رسائل أصيلة
في موضوعات جيولوجية مثل رسائل « المد
والجزر » و « العوامل الباطنة المؤثرة في
الأرض » و « علة حدوث الرياح في
باطن الأرض والمحدثات كثيرا من الزلازل
والخسوف » و « الجواهر والأشباه » وغيرها .

الرواد والمتخصصون في علوم الأرض
في عصر النهضة العلمية العربية الإسلامية :
لقد كان علماء العصور الإسلامية ، شأن
كل قدامى العلماء ، حتى نهاية عصر النهضة

الأوروبية . علماء موسوعيين يعملون في مجالات متعددة من العلم . غير أنه يمكن تقسيم من اشتغل من علماء العرب بعلوم الأرض بعد انتهاء عصر الترجمة والنقل إلى مجموعتين :

(أ) مجموعة المرحلة الأولى (٣٠٠ - ٥٠٠ هـ تقريبا = ٩٠٠ - ١١٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد الموسوعيين في علم الأرض .

(ب) مجموعة المرحلة الثانية (٥٠٠ - ٨٠٠ هـ تقريبا = ١١٠٠ - ١٤٠٠ م تقريبا) : ويمكن تسمية علمائها بالرواد المتخصصين في علم الأرض .

* * *

ومن علماء المرحلة الأولى نذكر هؤلاء الأعلام :

١ - أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

(المتوفى عام ٢١٤ = ٩٢٦ م تقريبا) : وهو بجانب شهرته الأولى كطبيب ، كان أول من طبق علم الكيمياء في الطب ، فوضع أول تصنيف للمواد مؤسسا على الطريقة العلمية المستندة إلى وصف الخواص الطبيعية والكيميائية . وقد أورد ذلك في كتابه « سر الأسرار » ، وهو كتاب في

الكيمياء والعقاقير أساسا ، ولكن الرازي أفاض فيه في وصف المعادن والأحجار - كطائفة بذاتها - فتناولها بالدراسة من حيث اللون ، والثقيل النوعي ، ومعرفة الجيد والردى ، وموطن الوجود . وكان الرازي من رواد التقدير الدقيق للكثافة ، وابتكر لها جهازا خاصا أسماه « الميزان الطبيعي » . وله أيضا كتاب في الفلك اسمه « هيئة الأرض » تعرض فيه لموضوعات كوزموجرافية مثل براهين كروية الأرض ، وتقدير أحجام الشمس والأرض والقمر .

٢ - علي بن الحسين بن علي المسعودي

(المتوفى عام ٢٤٦ هـ = ٩٥٦ م تقريبا) وشهرته الأولى في الجغرافيا ، وأشهر كتبه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » . وبه ريادات في الجيولوجيا الطبيعية كوصف هيئة الأرض ، ومعالمها ، وأغلفتها ، والمد والجزر ، ودورة الماء في الطبيعة وأوصاف الأنهار ، وأسباب ملوحة ماء البحر ، وتغير مواضع البر والبحر على طول الزمان ، وعلامات وجود الماء في باطن الأرض ، ووصف البراكين وما تقذفه من أبخرة ودخان أحجار ، وله أيضا كتاب اسمه « التنبيه والإشراف »

ناقش في خلاله نظرية التطور العضوى .
ويعد المسعودى أول من تناول ذلك
الموضوع بعد أنكسيماندر الإغريقى
بشئ من العمق والتفصيل إلى الحد الأدنى
دفع بعض علماء الغرب المعاصرين لداروين
أن يكتبوا في « الموازنة بين الداروينية
في القرنين : التاسع والتاسع عشر »

٣ - جماعة إخوان الصفا وخلاص الوفا

(القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى) :

وتعد هذه الجماعة أول جمعية علمية
فلسفية في التاريخ بمعنى يقارب المعنى
الحديث لتلك الجمعيات ، وقد اختصت
رسالتان من رسائلهم التى نيفت على
الخمسسين بالعلوم الجيولوجية ، وهاتان
هما الرسالة الثامنة عشرة في « الآثار
العلوية ، والرسالة التاسعة عشرة في « بيان
تكون المعادن » . وقد أثبت التحقيق
والتعليق العلمى لبعض المعاصرين من
الجيولوجيين العرب على هاتين الرسالتين
أنهما تحتويان على أقدم نصوص في
التاريخ لموضوعات جيولوجية عالجهما من
ألف الرسالتين بأسلوب علمى يشير
لدهشة من حيث تقاربه التاميد مع
الأسلوب العصرى . وهذه الموضوعات

هى : وصف الدورة التحولية في الصخور
- تطور المستنقعات وبحار الرفوف القارية
- عمليات التأثير الجوى والتحات
والنقل والترسيب . وتشتمل الرسالة
الأولى أيضا على تقسيم للغلاف الجوى
للأرض إلى ثلاثة أغلفة تناظر ما يعرف
الآن بالتروبوسفير والستراتوسفير -
والأيونوسفير ، مع وصف علمى مفصل
لكل غلاف على حدة ، وتفسر الرسالة
الثانية نشأة الجبال مما يتراكم على قعور
البحار من رواسب تآلى إليها من البر ،
وما يؤدى إليه ذلك من تغير مواضع البر
والبحر بمرور الأزمان . ويضم الشرح
أول بادرة في التاريخ لفكرة التغيرات
الترسيبية العظمى (الجيوسينكلينات)
التي هى مناشىء الجبال ، لفكرة توازن
القشرة الأرضية . وبالرسالة أول محاولة
لتصنيف الصخور طائفتين تناظران
ما يعرف اليوم بالصخور النارية والصخور
الرسوبية ، وبها أيضا أول محاولة لشرح
أصل المياه الجوفية وحمولتها الذائبة
وترسب المعادن منها ، وبها كذلك وصف
للبيئات الجيولوجية لتكوين المعادن يعد
أول بادرة لنشوء علم التنقيب عن المعادن .

وقد صنف المؤلفان المعادن ووصفها على
أساس صفاتها الفيزيائية من شكل ولون
وطعم ورائحة وثقل ودرجة صلادة وقوة
تماسك وغير ذلك، وكذلك ورد بالرسالة
أول بادرة لوصف الاختبارات الكيميائية
للمعادن تعد أولى محاولات علم تجهيز
المعادن .

٤ — أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني

(المتوفى عام ٤٤٢ هـ = ١٠٥٠ م تقريبا) :

له عشرات الكتب الهامة في معظم
العلوم ، ومن أهمها كتابه في علم المعادن
واسمه « الجماهر في معرفة الجواهر »
تناول فيه بالدراسة المفصلة نحو ثلاثين
معدنا أو حجرا أو خاما أو فلزا ، على
أساس الخواص الفائة من لون وشكل
وصلادة وحكاكة ومكسر ووزن نوعي
وشكل بلوري وشفافية وقدرة على كسر
الضوء . وتعد تجاربه وأجهزته وحساباته
لتعيين الوزن النوعي ماثرا للعجب ، وقد
توصل منها إلى تقدير الأوزان النوعية
لعدد من المعادن لا يتجاوز الفرق بينها

وبين القيم الحديثة أجزاء قليلة من المائة
أو العشرة على أكثر تقدير .

٥ — أبو علي بن الحسين بن عبد الله ابن سينا

(المتوفى عام ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م تقريبا) :

أكبر شهرته في الطب . وله كتاب في
التاريخ الطبيعى اسمه « الشفاء » تناول
فيه مسائل أصل الجبال والصخور والمعادن
بريادة ووجهة نظر تقارب وجهة النظر
الحديثة ؛ فتحت الطريق أمام جيولوجى عصر
النهضة الأوروبية لتفهم هذه الموضوعات ،
فاستعانوا بأفكاره ، بل استعاروا منها
بحرية . وقد أشاد بريادته وتعمقه في
في هذه المجالات أساطين مؤرخى علم
الجيولوجيا في الغرب ، أمثال لايل وجايكى
وآدمز ، ويعد بن سينا أول من وضع
الأسس الأولى في علم الطبقات والرسوبيات
والحركات الأرضية ، وفهم الزمن الجيولوجى .
كما أنه أول من ألمع إلى حركات القارات
وميكانيكية تحجر بقايا الأحياء ، ومغزى
البحفريات

٦ - عمر العالم

(القرن الرابع الهجرى) العاشر

(الميلادى تقريبا) :

وهو شخصية تلتبس مع عمر الخيام المشهور ؛ ولم يتوصل المؤرخون إلى حسم هذا اللبس بعد . ومن أمتع الآثار الجيولوجية فى العصور الوسطى رسالة تنسب إليه بعنوان « تراجع البحار » ، وقد أثبت فيها من خلال ملاحظاته الحقلية ومقارنته خرائط عصره لمنطقة بحر قزوين بخرائط الفرس والهنود للمنطقة نفسها قبل ألفى سنة من زمانه ، أن البحر كان يغمر المنطقة فى سالف الأزمان . وقد علق رائد الجيولوجيا الحديثة « تشارلس لايل » على الرسالة بأن « بالاس فى أواخر القرن الثامن عشر قد توصل من نفس المشاهدات إلى نفس الاستنتاج » . وتعتبر هذه الرسالة أول بادرة وردت فى علم الجغرافية القديمة (الباليوجغرافيا) والتدليل على حركات البحار بطريقة مبتكرة لم يسبق عمر العالم إليها أحد .

* * *

ومن علماء المرحلة الثانية - والمعروف منهم حتى الآن قلة علم أى حال - نذكر :

١ - شهاب الدين أبو العباس أحمد

بن يوسف التيفاشى

(المتوفى عام ٦٥١ هـ = ١٣٥٢ م)

وأهم آثاره العلمية كتاب « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » ، وهو رسالة فى علم المعادن والخامات كثرت ترجمتها إلى اللغات الأوروبية ، وكثر التعليق العلمى عليها من الأوروبيين والعرب المحدثين المهتمين بعلم الجيولوجيا ، مما أثبت المنهج العلمى الأصيل للتيفاشى فى دراسة المعادن والخامات ، وبين التجديدات التى أحدثها فى أسلوب من سبقوه فى هذا المجال مما يرشحه لأن يكون أول من طور دراسة علم المعادن نحو الأسلوب الذى اهتم به رواد هذا العلم فى نهاية القرون الوسطى وبداية عصر النهضة ، وأسسوا به قواعده الحديثة ، وقد أثبتت هذه الدراسات أن التيفاشى أول من تنبه وتكلم عن ظواهر التشقق ، والمحصورات ، والتوأمية ، واختبار الشعلة . وأنه أول من حاول وضع نظريات فى أصل تكون الخامات . وقد أوضحت الدراسات كذلك براعة التيفاشى فى الوصف الدقيق^١ ، وموهبته فى ابتكار المصطلحات الفنية فى وصف^٢

الشكل البلّورى والتشقق ، والصلادة .
وإنكسار الضوء وتشتته ؛ وكذلك موجهيته
التصنيفية التى أشاد بها « موليه » الفرنسى
فى القرن التاسع عشر ، وتظهر فى وصفه
للمعادن على أساس خواصها الفيزيائية
والكيميائية ، وفصل كل مجموعة متشابهة
فى ذلك على حدة . هذا فى الوقت الذى
كان علماء المعادن فى أوروبا يصنفونها بحسب
حروف الهجاء ، ولم يتركوا ذلك التصنيف
السادج إلا قرب زمن أجريكولا الملقب
ببأبى علم المعادن فى القرن السادس عشر .

٢ — عماد الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن محمود القزوينى

(المتوفى عام ٥٦٨٢ = ١٣٨٢ م) :

كان جغرافيا ورحالة وعالما بالتاريخ
الطبيعى . وأشهر مولفاته « عجائب المخلوقات
وعجائب الموجودات » وبه باب عن
الجغرافيا الطبيعية والجيومورفولوجيا ،
وآخر عن الأحجار والمعادن . وقد ساق
فى هذا الكتاب محاورات ممتعة بأسلوب
مشوق ، وتنطوى على أفكار جيولوجية
بخصوص حركات البحار ، وتبادل البر
والبحر أماكنهما على مر الزمان .

٣ — أبو القاسم عبد الله بن على بن أبى طاهر الكاشانى

(القرن الثامن الهجرى = الرابع عشر
الميلادى) :

كان متخصصا فى دراسة المعادن والأحجار
وخصوصا خامات صناعة الخزف والمعادن
التي تستخرج منها طلائعته .

٤ — أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ساعد السنجارى المعروف بابن الأکفانى

(المتوفى عام ٥٧٤٩ = ١٤٤٨ م) :

كان طبيبا متضلعا فى طب العيون
واشتهر بهويته العميقة للأحجار الكريمة
إلى الحد الذى دفعه إلى تأليف كتاب
متخصص فى علم المعادن باسم « نخب
الذخائر فى أحوال الجواهر » يمتاز بدقة
الوصف وعمام المراجع .

أثر التراث الجيولوجى العربى فى نشأة الجيولوجيا الحديثة فى أوروبا :

إن ما سبق هو ملخص لما أمكن التوصل
إليه من إضافات العرب إلى علم الجيولوجيا
فى عصور النهضة العلمية الإسلامية .
أوهو إذا لم يكن شيئا مذكورا بالنسبة لما
استحدثوه فى الطب ، والكيمياء ،
والفيزياء ، والفلك ، والرياضة ، وما
كان له من أثر معروف فى تطور تلك

العلوم في أوروبا إبان عصر النهضة . فإن ذلك يرجع إلى أن الجيولوجيا لم تتوطد أركانها بين العلوم الحديثة إلا عند مطلع القرن التاسع عشر ، فلم يتسع الوقت ولم تتوفر الأسباب بعد لمؤرخي هذا العلم في أوروبا أو الشرق للكشف عن جوانب أخرى لما أضافه العرب فيها ، وأثره في تطور هذا العلم في أوروبا في عصر النهضة ، ولكن سبيلنا إلى تقويم راهن لهذا التأثير يأتي من ناحيتين : الأولى : من الأدلة المباشرة على استفادة علماء أوروبا في أواخر القرون الوسطى من الفكر الجيولوجي الإسلامي ، وهي - على قلتها - واضحة في كتب ألبرت الكبير ، ورستورو داريزو في القرن الثالث عشر الميلادي . ويقول الأول بنفسه في كتبه إنه استقى كثيرا من معلوماته ونظرياته الجيولوجية من أعمال ابن سينا . وأما الثاني فقد كان كتابه « طبيعة العالم » محل دراسة مؤرخي علم الجيولوجيا الغربيين في أوائل هذا القرن وأواسطه . وقد ثبت منها أنه قد استفاد الكثير من الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية .

وتأتي الناحية الثانية من الأدلة غير المباشرة التي تتركز فيما سقناه من كشف عن الكثير من التراث الجيولوجي الإسلامي ، وتحليل عامي لما جاء فيه ، يظهر سبق المؤلفين العرب

والمسلمين عامة إلى أفكار جيولوجية كثيرة وأساليب علمية فنية نجد صداها واضحا في كتابات الجيولوجيين الأوروبيين في أواخر القرون الوسطى وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي . ولئن كان هؤلاء قد توصلوا إلى هذه الأفكار باستقلال نكرى تام عن المؤلفين العرب ، أو كان أصحاب الأسماء المشهورة من بناء الجيولوجيا الحديثة أمثال ستيل وأجريكولا وهاتون قد اطلعوا على التراث الجيولوجي الإسلامي عند إخوان الصفا وابن سينا والتيفاشي والقزويني وغيرهم ، فإن هذا لا ينقص من قدر العلم الإسلامي ولا من قدرهم ، بل يزيد منهما معا . وإذا كانت علوم الطب والكيمياء ، والفلك والرياضة وغيرها في العصور الإسلامية الزاهرة قد ثبت تأثيرها بشكل قاطع في تطور العلم الغربي الحديث حتى فجر عصر النهضة بل وأواسطه ، وكانت المسالك الحقيقية للفكر الجيولوجي الإسلامي إلى أوروبا إبان عصر النهضة لم تتضح معالمها بعد - فإن ما سقناه من الأدلة غير المباشرة على ذلك نرجو أن يثير همم البعاث لتعرف تلك المسالك وتحققها .

محمد يوسف حسن
عضو المجمع

الوجود العسري في اللغة التركية

للاستاذ أحمد توفيق الميرني

لأمتنا

العربية المأجدة ، الرصيد
ضمخم من اللغة
والأدب ، هو ديدة الآباء والأجداد ،
عند إخوتنا من الشعوب المجاورة لأقطار
العربية ، أو القريبة منها ، كتركيا ،
إيران ، وباكستان . وأرى . ترون معي
ولاريب ، إن البحث عن هذا الرصيد
التميز ، إنما هو من أقدم الواجبات
المفروضة على الأديب العربي . حتى يظهر
لأجيالنا الحديثة مدى إشعاع العربية في
البلاد المجاورة لنا ، ومدى ما أسهمت به
لغتنا الحية الخالدة في نمو وعمق وشمول
اللغات التي تكتنف بلادنا العربية .

فإن كانت روابط الإسلام الحنيف
تجمع بين شعوبنا برابط إلهي مقدس
لا انفصام له أبداً ، فإن روابط اللغة العربية
توحد كذلك صفنا ، وتجانس بين طرائف
تفكيرنا ومناهج عملنا . ولو أن جمعا من
علماء وأدباء العرب ولجوا ميدان هذا البحث
المثمر الطريف ، وتغلغلا في شعبه ، لفتحوا
بذلك أبواب تعاون جديد بيننا وبين إخوتنا
في الدين . ولازدادت العربية بذلك ذيوفاً
وانتشاراً .

لقد اشتغلت بهذا العمل رديفاً من
الزمن ، بحسب الجهد والطاقة . وسماح
أوقات العمل . واهتمت فرصة وجودي
سفيراً للجمهورية الجزائرية في قطري
تركيا وإيران أولاً ، ثم في بلاد الجمهورية
الباكستانية أخيراً ، وفحصت فحوصاً مدققة مختلف
اللغى التي يتخاطب بها القوم في هذه القطع
الغالية من البلاد الإسلامية ، فخرجت
من ذلك البحث بنتيجة رائعة مذهلة :
إن حوالي الربع من هذه اللغات مكون
من كلمات عربية صحيحة فصيحة ، تستعمل
بألفاظها ومعانيها في كلام الخاصة والعامة

إن البحث في هذا الميدان لشيق ومثمر
لمدى . وإن الإنسان العربي المعاصر ليندهش
عندما يبحث البحث الجدي العميق في لغات
الترك والفرس والباكستانيين ، فتتجلى
أمام عينيه الحقيقة الناصعة عن مدى إسهام
اللغة العربية في تكوين هذه اللغات من جهة
وعن مدى تغلغل الأدب العربي ، نثراً
وشعراً ، بموازينه ، وقوافيه ، وسجعته
بديعه ، في آداب تلك اللغات من جهة أخرى .

سواء كان مكتوباً أو منطوقاً . وتشمل هذه الكلمات العربية الغنيرة كل ميادين التفكير والتعبير ، بحيث إنها لو انحسرت عن تلك اللغة ، لأصبحت اللغة شلاء غير صالحة للتعبير . ولا قدرة لها على ربط صفة التفاهم بين الناس .

ولإنه ليسعدنى ويشرفنى أن أقدم هذا البحث المبتكر عن : الوجود العربى فى اللغة التركية . وسأقضى على أثره ، إن سر الله وسمح الأجل . يبحث آخر عن : الوجود العربى فى اللغة الباكستانية . الآوردية ثم عن الوجود العربى فى اللغة الإيرانية « راجياً أن يكون هذا البحث ذا فائدة لامتنا وللغتنا . جديرة بالتسجيل والتنويه .

فلقد وضعت فى مضابط بحثى ثمانية آلاف كلمة تركية جردت من بينها نحو الألفين من الكلمات العربية . أى ما يعادل الربع من مجسرها . ثم اعتكفت على نالكم الكلمات المجردة وترتيبها ترتيباً معجمياً محكماً . وكانت نتيجة ذلك ، هذا القاموس الوجيز الذى أضعه الآن بين يدي الدارسين .

ولى على هامش ذلك ملاحظات :

أولها : أن إخواننا الأتراك فى غالبيتهم لا يعلمون أن هذه الكلمات عربية ، بل يعتبرونها — إلا ما قل — من صميم لغة الترك ، وأسوق لكم على ذلك مثلاً طريفاً :

عندما تعين موعد اجتماعى برئيس جمهورية تركيا ، لتقديم أوراق اعتمادى ، جاءنى رئيس تشريفات الدولة . يلتقنى طريقة التقديم . وهى عندهم بسيطة جداً ولكنه قال لى فى طعنة حازمة : هنالك أمر لا يمكن إطلاقاً نسيانه أو التهاون فيه . وهو أنك يجب أن تقدم تحية لفرقة الحرس الجمهورى الذى تجده واقفاً لاستقبالك ، وذلك بأن تقول له بصوت مرتفع ، كلمتين باللغة التركية الصليمة ، وهو يحياك عنهما جماعياً فيجب أن تحفظ الكلمتين ولا تنساهما . وعلى كل فأنا سأكون لى جانبك . ألقنك إذا نسيت . قلت جاداً : سأحفظهما إن شاء الله ، وسأمرن لسانى عليهما . فهات الكلمتين . قال لى هما : مرحباً عسكري فكتمت بكل صعوبة ضحكة كانت تترجرج فى صدرى ، وقلت : إن كانت اللغة التركية كلها على هذا المنوال ، فسأكون أفصح من يتكلمها .

وثانيها : إذا أنصت الإنسان إلى الأتراك وهم يتكلمون ، فإنه لا يكاد يشعر بوجود هذه الكلمات العديدة من اللغة العربية فى لسانهم ، ذلك لأنهم يفهمون بعض الحروف ويرفقون بعضها بما يخرج الكلمة العربية عن مبنائها الطبيعى ، ثم أنهم من جهة أخرى ، لا ينطقون عدداً من الحروف العربية مثل : الشاء — والحاء — والظاء — والضاد — والعين — والقاف — والواو . يستعملون مكانهما حرف

السين ، أو حرف الألف ، أو حرف الزاى أو حرف V الإفرنجى ذلك زيادة عن أنهم يستعملون فى لسانهم أحرفاً لا وجود لها فى العربية مثل أحرف p - u - و - v -

لَـ لهذا ، فالباحث عن الكلمات العربية يجدها فى الكتابة التركىة واضحة جلية ، على الرغم من استعمال الأتراك لما يدعونه منذ ثورتهم الثقافية أيام أتاتورك ، بالأحرف التركىة وماهى فى الحقيقة لإحرف لاتينية أدخل عليها تغيير غير منطقى . فحرف ينطق جيماً مدغوماً بـ «دج» ، وإذا كانت لهذا الحرف شارة سفلى ، فهو ينطق : تش وحرف G ينطق غينا . وحرف ينطق : وحرف ينطق شينا ، وحرف u ينطق ou .

لهذا ، ترون أنى رتبت هذا المعجم على ثلاثة أودية ، أضع الكلمة العربية أولاً ، ثم أرسمها كما تكتب بالحروف التركىة الجديدة .

وأضع أخيراً فى الوادى الثالث معناها الخاص ، إن كان معناها الاصطلاحى ويخالف أو يحدد المعنى العربى . وذلك قليل جداً .

وثالثها : أن الأتراك أنشأوا فى أول عهدهم بالثورة لجان تطهير ، غايتها إبعاد الكلمات الأجنبية عن لغتهم ، والاستعاضة عنها بكلمات من صميم الطورانية . ولقد اشتغلت تلك اللجان بحماس فى أول أمرها

واستبعدت عدداً كبيراً من الكلمات الأجنبية ومنها كلمات عربية ، فما أذكره لكم بعد هذا من كلمات . يعتبر اليوم من صميم لغة الأتراك .

ورابعها - أنى لم أدخل فى بحثى أسماء الأعلام ، وهى عندهم عربية بنسبة ٩٠ من المائة كما لم أدخل كل المشتقات . وهى عديدة جداً .

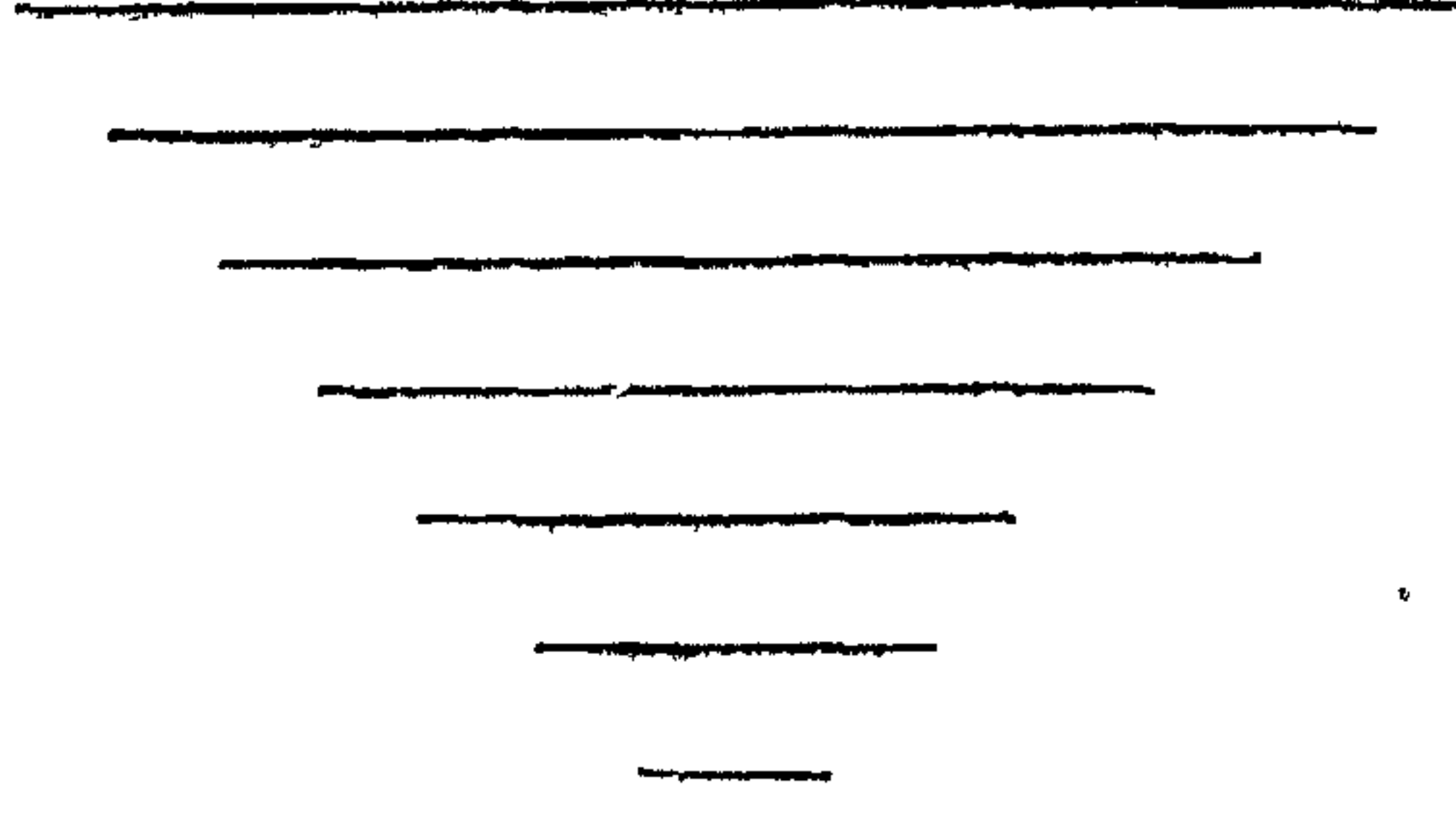
وأخيراً ، ملاحظة تاريخية . عن تغلغل الكلمات العربية ضمن اللغة التركىة . لقد كان الأتراك قوياً من البدائيين بوجه عام عندما جاءهم الإسلام الخفيف على يد الرواد الأولين . وجاءهم القرآن هدى ونوراً فأخذوا الكتابة عن العرب . وأخذوا العلم عن العرب . وأخذوا مبادئ الحضارة عن العرب .

ثم كان الاختلاط الوثيق الأول بين العرب والترك ، عندما ما استعمل العباسيون الجند التركى . وأفسحوا له المجال فى دولتهم ، فاغترف الترك يومئذ من العربية وعلومها وآدابها الشيء الكثير ثم كان بعد ذلك ورود فيالق المماليك تترى على أقطار مصر والشام . وأخذت التركىة تتوسع شيئاً فشيئاً بواسطة المدد العربى الواسع ، إلى أن كان القرن السادس عشر ، ودخل العرب كافة ضمن السلطنة العثمانية ، فزاد الالتحام والترابط بين الأميين التركىة والعربية .

فاللغة العربية وهى لغة الدين والعلم والأدب
والحضارة لم تأخذ خلال هذا الالتحام
شيئاً من اللغة التركية ، اللهم إلا بعض
الكلمات الإدارية ، على حين أخذ الأتراك
من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون
فيضاً من لغة العرب . سد عجز لغتهم الپدائية
الصغيرة .

هذه ملاحظات أقدمها بين يدي عملي ،
ولأدعى الكمال . ولأقول إنني بلغت

الغاية . انما أخصائي هذا ، يمكن أن يعتبر
أساساً لعمل جماعى ، تقوم به قلة من
رجال العلم والأدب ، تجوس خلال
مصطلحات العلوم والفنون المختلفة ،
وتستخرج منها المدد العربى الكبير الذى
يتخللها . إنما اعتقد أن النتيجة ستبقى نهائياً
على حالها : إن ربع اللغة التركية مكون
اليوم من كلمات عربية فصيححة .



حرف الألف

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Ahmak	أحمق		Ibat	إبعاد
	Ahval	أحوال		Ebedi	أبدى
	Ihbar	إخبار	أهداء - تقديم	Ibra	إبراء
	Ihtilaf	اختلاف		Ebeveyn	أبوين
	Ihtilal	اختلال		Ithaf	اتخاف
	Ihtilas	اختلاس		Ittifak	اتفاق
	Ihtira	اختراع		Asariatika	آثار عتيقة
	Ihtisas	اختصاص		Ispat	إثبات
	Ihtiar	اختيار		Eser	أثر
	Ihtar	اختطار		Esna	إثناء
ملاحظة - تأخير صادرات	Ihracat	إخراجات		Igtimai	اجتماعي
	Âhiret	آخرة		Ecdad	أجداد
	Ahsap	أخشاب		Iera	أجراء
	Ahlâk	أخلاق		Ecnebi	أجنبي
	Ahlaki	أخلاقي	مزايادة عمومية	Ihale	أحالة
	Ahtapot	أخطبوط		Ahbab	أحاباب
	Eda	أداء		Ihtikar	احتكار
	Edat	أداة		Ihtimal	احتمال
	Adab	أدب	طمع - رغبة	Ihtiras	احتراس
	Adabimua sarat	أدب معاشر		Ihtiraz	احتراز
حسن السلوك	Edebi	أدبي		Ihtiva	احتواء
	Edebiat	أدبيات		Ihtiaç	احتياج
	Edib	أديب		Ihtiat	احتياط

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Esir	أسير	تمرين جسدي	Idman	إدمان
	Isaf	إسعاف		Idrak	ادراك
	Esmer	أسمر	البول	Idrar	ادرار
	Iskan	اسكان		Ital	ادخال
	Isim	اسم	واردات	Ithalat	ادخالات
	Isal	إسهال	الرجل	Adam	ادم
	Istisna	استثناء		Idare	ادارة
	Istisare	استشارة		Ezan	اذان
	Istirahat	استراحة		Izin	اذن
	Istibdat	استبداد		Eziyet	أذية
	Istida	استدعاء		Erbap	ارباب
	Istifade	استفادة		Arz	أرض
	Istihdam	استخدام		Arazi	اراضي
	Istihkam	إستحكام		Irtikâp	ارتكاب
	Istifa	استعفاء		Irtifa	ارتناع
	Istihsal	استحصال		Erzak	ارزاق
	Istikamet	استقامة		Izdiham	ازدحام
	Istikbal	استقبال		Ezcumle	ازجمل
	Istiklal	استقلال		Ezeli	أزلي
	Istikrar	استقرار		Ezme	أزمة
	Istikraz	استفراغ		Esas	أساس
	Istimal	استعمال		Esasen	أساسا
	Istihlak	استهلاك		Esbabimu- cibe	أسباب موجبة
	Istirham	استرحام		Esef	أسف
	Istila	استيلاء		Esaret	أسر

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
استيضاح	Istizah	نزع الملكية	اعتراف	Itiraf	اقصى - اقصى سرعة
استهداف	Istihdaf		اعتناء	Itina	
استهلاك	Istimlak		اعتیاد	Itiyat	
إسراف	Israf		إعدام	Idam	
إسلام	Islam		أعضاء	Aza	
إسناد	Isnad		أعظمى	Azami	
استهزاء	Istihza		اكتساب	Iktisap	
استخبارات	Istihbarat		اعلان	Ilân	
إشارة	Isaret		إعمار	Imar	
اشتراك	İştirak	عامل يدوي - تاجر	إغفال	Igfal	تحيل - اعتيره مغنلا
اشغال	Isgal		إفادة	Ifade	
أشياء	Esya		افتخار	Iftihar	
إصابة	Isabet		افتراء	Iftira	
أصالة	Asalet		آفة	Afet	
أصناف	Esnaf		افراز	Ifraz	
أصغر	Esgari		إفساد	Ifsat	
أصلا	Asla'		إفشاء	Ifşa	
اصول	Usul		إفطار	Iftar	
أصيل	Asil		إفراط	Ifrat	
أصلي	Asli		أفق	Ufuk	
أطراف	Etraf		أفكار	Efkar	
اطفائية	Etraiyet		إفلاس	Iflas	
اعتبار	Itibar		أفيرن	Afion	
اعتدال	Itidal		إقامة	Ikamet	
اعتزاز			إقتباس	Iktibas	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Alet	آلة	Iktidar	إقتدار	
	Ilah	إله	Iktiraz	إقتراض	
	Allah	الله	Ikraz	إقراض	
	Ilahi	الاهي	Iktisat	إقتصاد	
	Ilahiyat	الاهيات	Iktisadi	إقتصادي	
	Ilham	إلهام	Akraba	أقرباء	
	Elyaf	إلباف	Ikna	إقناع	
	Imtihan	امتحان	Ekser	أكتر	
	Imtiaz	امتياز	Ekseriya	أكثريّة	
	Aman	أمان	Ikram	إكرام	
	Emare	إمارة	Ikmal	إكمال	
	Emtea	أتمعة	Itisak	التصاق	
	Emanet	أمانة	Itifaf	إلتفاف	
	Imam	أمام	Itihak	إلتحاق	
	Ama	أما	Itimas	التماس	
	Emsal	إمثال	Itihab	التهاب	
	Imda	إمداد	Elbet	البت	
	Imha	إحتواء	Elbise	البسة	
	Imla	إملاء	Elhamdoi lillah	الحمد لله	
	Imza	إمضاء	Elhasil	الحاصل	
	Emlak	إملاك	Ilhak	إلحاق	
	Emniet	أمنية	IlGa	إلغاء	
	Emir	أمير	Elem	ألم	
	Amin	أمين	Elim	أليم	
	Intihar	انتحار	Elmas	الماس	

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
انتظار	Intizar		أنفس	Enfes	
انتقال	Intikal		[اهانة]	Ihanet	
انتقام	Intikam		أهالي	Ahali	
انتظام	Intizam		اهتداء	Ihtida	اعتناق الإسلام
إنحصار	Inhisar	اختصاص	اهمال	Ihmal	
إنصاف	Insaf		أهل	Ehil	
إنضباط	Inzibat	طاعة — انقياد	أهلية	Ehliet	
انطباع	Intiba		[أهلي]	Ehli	
انطباق	Intibak		أولا	Evvela	
إنفاذ	Infaz	انتهجار	أولاد	Evlat	
إنفلاق	Infilak		أوصاف	Evsafe	
انقاض	Enkaz		أولوية	Evleviyet	
انقباض	Inkibaz		آية	Ayet	
انقلاب	Inkilap		انجار	Icar	
انكشاف	Inkisaf		ايضاح	Izah	
إنشاء	Inşa		ايفاء	Ifa	
إن شاء الله	Inşallah		ايقاضي	Ikaz	
انسان	Insan		امان	Iman	
إنكار	Inkar		آية	Evet	
انكشاف	Inkisaf				

حرف الباء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Pesrev	بشرف		Baba	بابا
	Beseri	بشرى		Barut	بارود
	Beşeriyet	بشرية		Bâkir	باكرة
	Basiret	بصيرة		Batil	باطل
	Battaniye	[بطانية]		Bilhassa	بالخاصة
	Bazi	بعض		Basur	بشور
	Papagan	بغبغان		Bahis	بخت
	Bakkal	بقال	للأوزان الشعرية	Bahr	بحر
	Bakla	بقاة		Bahriye	بحرية
	Belâ	بلاء		Buhran	بحران
	Balagat	بلاغه		Buhar	بخار
	Bülbül	بلبل		Baht	بخت
	Belediye	بلدية	مجانادون مقابل	Bedava	بداوة
	Binaye-naleya	بناء عليه	لعنة	Beddua	بالدعاء
	Bunye	بُنْيَة		Bedel	بدل
الربيع	Bahar	بهار		Beden	بدن
	Baharat	بهارات		Beraet	براعة
الحديقة	Bahçe	بهجة		Barrak	بَرَّاق
	Bogaz	بوغاز		Bereket	بركة
	Bayan	بيان		Portakal	برتقال
	Bayaz	بياض		Burç	بورج
	Bayrak	بيرق		Bostan	بستان
	Beyzi	[بيضى]	أغنية	Beste	بسطة

حرف التاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Tecrube	تجربة		Tabut	تابوت
	Tecrit	تجريد		Taç	تاج
	Teçhiz	تجهيز		Teessur	تأثر
	Teçhizat	تجهيزات		Tesir	تأثير
	Tahdit	تحديد		Tedye	تادية
	Tahrif	تحريف		Tarih	تاريخ
	Tahrik	تحريك		Tecil	تأجيل
	Tahsil	تحصيل		Teessilf	تأسف
	Tahsilat	تحصيلات		Tessis	تأسيس
عجيب - بديع	Tuhaf	تحف	ثانوى	Tali	تالى
محلى بيع الملابس	Tuhafiye	تُحفية		Telif	تأليف
الداخلية	Tahkik	تحقيق		Tam	تام
	Tahkika	تحقيقات		Temin	تامين
	Tahkir	تحقير		Teyit	تأييد
	Tahakkum	تحكّم		Tehir	تأخير
	Tahkim	تحكيم		Teberru	تبرع
	Tahammül	تحمل		Tebrik	تبريك
	Tahlil	تحليل		Tebliğ	تبليغ
	Tahmil	تحميل		Tebriye	تبرئة
	Tahmiltahlyie	تحميل تخلية		Tesbit	تثبيت
	Tahvil	تحويل		Ticaret	تجارة
	Tahvilat	تحويلات		Ticari	تجارى
	Taht	تحت		Tecanus	تجانس
	Tahsisat	تخصيصات		Tecaliz	تجاوز

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
دسيسة	Terk	ترك	[إنقاذ]	Tahsis	تخصيص
	Terkip	تركيب		Tahlisiye	تخليصية
	Tezvir	تزوير		Tahliye	تخليية
	Tesanut	تساند		Tahammür	تخمر
	Tespih	تسبيح		Tahmin	تخمين
	Tescil	تسجيل		Tahmini	تخميني
	Teskin	تسكين		Tedarik	تدارك
	Teslim	تسليم		Tedavül	تداول
	Teselli	تسلي		Tedavi	تداوى
	Tesellum	تسليم		Tedbir	تدبير
	Tesviye	تسوية		Tedricen	تدريجاً
	Tesebbus	تشبث		Tedkik	تدقيق
	Tesbih	تشبيه		Tezkere	تذكرة
	Teshis	تشخيص		Teraküm	تراكم
	Tesrih	تشریح		Turbe	تربة
	Tesekkur	تشكر		Terbiye	تربية
	Teskil	تشكيل		Tertip	ترتيب
	Tesri	تشریع		Tercüman	ترجمان
	Tesrii	تشریعی		Tercih	ترجيح
	Tesrifat	تشریفات		Terhis	ترخيص
	Teşhir	تشهير		Tereddut	تردد
	Tesvilk	تشويق		Tarassut	ترصد
	Teşyi	تشجيع		Tarziye	ترضية
	Tesadüf	تصادف		Terfi	ترفيه
	Tasarruf	تصرف		Terfih	ترفيه

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
المعاش	Teferruat	تفرعات	Tasrih	بصريح	
	Tefsir	تفسير	Tasnif	تصنيف	
	Tafsilat	تفصيلات	Tasvip	تصويب	
	Takas	تقاص	Tasvir	تصوير	
	Tekabul	تقبل	Tazmin	تضمين	
	Takaddim	تقدم	Tazyik	تضييق	
	Takdir	تقدير	Tatbik	تطبيق	
	Takdis	تقديس	Tezahur	تظاهر	
	Taksit	تقسيط	Tezahurat	تظاهرات	
	Taksim	تقسيم	Tabir	تعبير	
	Tahkir	تحكير	Tacil	تعجيل	
	Tekaut	تقوت	Tadil	تعديل	
	Takviye	تقوية	Taarod	تعرض	
	Takvim	تقويم	Tarif	تعريف	
	Takyit	تقييد	Tazie	تعزية	
	Tekamul	تكامل	Tatil	تعطيل	
	Teksir	تكثير	Tazim	تعظيم	
	Tekzip	تكذيب	Talimat	تعاليمات	
	Tekrar	تكرار	Taamul	تعهد	
	Teklif	تكليف	Tamim	تعميم	
	Tekmil	تكميل	Taahhud	تعهد	
	Telafi	تلافي	Tayin	تعيين	
	Telaffuz	تلفظ	Teftis	تفتيش	
	Telakki	تلقائي	Tefrika	تفرقة	
	Temaruz	تمارض	Tefrik	تفريق	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Tenasüp	تناسب		Temas	تماس
	Tenafus	تنافس		Tamam	تمام
	Tanzim	تنظيم		Tamaman	تماماً
	Tenvir	تنوير		Tamamiyet	تمامية
	Tahrip	تهريب		Temayül	تمايل
	Tehlike	تهلكة		Temattu	تمتع
	Töhmät	تهمة		Timsal	تمثال
	Tevazu	تواضع		Tamsil	تمثيل
	Töbet	توبة		Temerkuz	تمركز
	Teveccüh	توجهه		Timsah	تمساح
	Tevcih	توجيه		Temenni	تمنى
	Tevdi	توديع		Temyiz	تمييز
	Tevrat	توراة		Tenbih	تنبيه
	Tevzi	توزيع		Tenazzüh	تنزه
	Tevesstül	توسل		Tenzil	تنزيل
	Tevsi	توسيع		Tenzila t	تنزيلات
	Tavsiye	توصية		Tensikat	تنسيقات
	Tevfik	توفيق	مصادقة	Tensip	تنصيب
	Tevekkul	توكل		Tenkid	تنقيد
				Tenasül	تناسل

حرف الثاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Servet	ثروة		Sabit	ثابت

حرف الجيم

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Celp	جَلَب		Caiz	جائر
	Cilt	جلد		Cadde	جادة
	Cilve	جلوة		Cazibe	جاذبة
	Cemaat	جماعة		Casus	جاسوس
	Cuma	جمعه		Canı	جاني
	Cümla	جملة		Cam	جام
	Cemiet	جمعية		Cami	جامع
	Cümhuriyet	جمهورية		Cahil	جاهل
	Cenazet	جنازة		Cebir	جبر
	Cinas	جناس		Cebran	جبراً
	Cinayet	جناية		Ceset	جثة
	Cennet	جنة		Cetvel	جدول
	Cinnet	جنة		Ceddi	جدي
	Cins	جنس		Cüzam	جدام
	Cenup	جنوب		Cüret	جراءة
	Cihaz	جهاز		Cerahat	جراحات
	Cihat	جهة		Cerrahi	جراح
	Cehalet	جهالة		Cürum	جرم
	Cehennem	جهنم		Cerean	جریان
	Cevap	جواب	عقاب	Ceza	جزاء
	Civar	جوار		Cüzi	جزئي
	Ceviz	جوز		Cesaret	جسارة
	Cevhar	جوهر		Cisim	جسم
	Cep	جيب		Cesur	جسور
				Cefa	جفاء

حرف الحاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Hiddet	حِدَاة		Hadis	حادث
	Hudut	حدود		Hasiye	حاشية
	Hur	حُرّ		Hasila	حاصلة
	Haram	حرام		Hasilat	حاصلات
	Hararet	حرارة		Hazir	حاضر
	Harp	حرب		Hafiz	حافظ
	Hirs	حرص		Hafiza	حافظة
	Harf	حرف		Hâkim	حاكم
	Harekat	حركات		Hakimiyet	حاكمية
	Hareket	حركة		Hakim	حكيم
	Hurmet	حُرمة		Hal	حال
	Haris	حريص		Halâ	حالا
شعبي — رجل ما	Herif	تحريف		Hamiz	حامض
	Hurriyet	حرية	سيادة حامل	Hamile	حاملة
	Huzun	حزن		Hami	حامي
	Hazin	حزين		Hap	حبّ
	His	حس		Hapis	حبس
	Hesap	حساب		Hububat	حبوبات
	Hassas	حساس		Hatta	حتى
	Haset	حساد		Hac	حج
	Hasret	حسرة		Hücre	حجرة
	Hasa t	حصاد		Haciz	حجّز
حصن	Hasar	حصار		Hacim	حجم
	Hisse	حصّة			حاد

تابع حرف الحاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Helva	حلوة	Huzur	حضور	
	Hammal	حمّال	Haz	حظ	
	Hamaliye	حمالية	Hakaret	حقارة	
	Himaye	حماية	Hak	حق	
	Haml	حمل	Hakiyet	حقانية	
	Hammam	حمام	Hukuk	حقوق	
	Hamul	حمل	Hukuki	حقوقي	
	Havuz	حوض	Hukikat	حقيقة	
	Hamiyet	حمية	Hakikaten	حققة	
	Havadis	حوادث	Hakikei	حقيقي	
	Havale	حوّل	Hikaye	حكاية	
	Hayat	حياة	Hakam	حكم	
حيوى	Hayati	حياتي	Hüküm	حكم	
	Haysiyet	حيثية	Hukmi	حكمي	
	Hayavan	حيوان	Hakim	حكيم	
	Hayvan	حيواني	Hukumet	حكومة	
هنا دهمش - متعجب	Hayran	حيران	Hal	حل	
	Hayran	حيران	Halka	حلقه	
	Hayret	حيرة	Hallaç	حلاج	
	Hile	خيالة	Helal	حلال	

حرف الخاء

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
خارق للعادة	Harici	خارجي		Hain	خائن
	Haricie	خارجية		Hadim	خادم
	Harita	خارطة		Hademe	خادمة
	Harika	خارقة		Haric	خارج
	Hasim	خصم		Han	خان
	Hususiyyet	خصوصية		Has	خاص
	Hususi	خصوصي		Hassa	خاصة
	Hata	خطأ		Hatir	خاطر
	Hitap	خطاب		Hatira	خاطرة
	Hitabet	خطابة		Hatirat	خاطرات
	Hutbe	خطبة		Hala	خالة
	Hattat	خطاط		Halis	خالص
	Hatip	خطيب		Halik	خالق
	Hafif	خفيف		Has	خاص
	المرحاض	Hela	خلاء	Ham	خام
Hulassa		خلاصة	Haber	خبر	
Halita		خلط	Harabe	خرابة	
أخذ المعادن	Halef	خليف	Harap	خرباب	
	Halk	خاق	Hurafe	خمرافة	
	Hancer	خنجر	Harc	خرج	
	Hendek	خندق	Hazine	خزين	
	Hayal	خيال	Hortum	خرطوم	
	Hayali	خيالي	Hasar	خسارة	
	Hiyanet	خيانة	Hasis	خسيس	
	Hiyar	خيار	Haçin	خمشين	
	Hayir	خير			
			نخيل		

حرف الدال

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
دائرة	Daire		دفين	Defin	كنز
دائمي	Daimi		دقة	Dikkat	
دائما	Daima		دقيقة	Dakika	
داخل	Dahil		دليل	Dalil	
داخلي	Dahili		دمار	Damar	غضب - عرق
داخلية	Dahiliye		دمانة	Damla	
داهية	Dahi	عبقري	دنيا	Dunya	
درجة	Derece		دهاء	Deha	عبقريّة
درس	Ders		دهشة	Dehset	رعب - فزع
درهم	Dirhem		دراء	Deva	
دستور	Düstür		دوام	Devam	
دعاء	Dua		دررد	Devre	
دعم	Deyim		دورية	Devriye	
دعوة	Davet		دولاب	Dolap	
دعوتية	Davatiye	بطاقة الدعوة	دولة	Devlet	
دعوى	Dava		ديانة	Dianet	
دفتر	Defter		ديني	Dini	
دفعة	Defa		ديوان	Divan	
دفن	Defin				

حرف الذال

ذات	Zat	ذكي	Zeki
ذاتي	Zati	ذهن	Zihin
ذروة	Zirve	ذهنية	Zihniyet
ذرية	Zurriyet	ذهول	Zühul
ذكاء	Zeka	ذيل	Zeyil
ذكر	Zikir	ذوق	Zevk

حرف الراء

الكلمة	رسمها	ممنها	الكلمة	رسمها	ممنها
رابطه	Rabita		رشوة	Rusvet	
رأس المال	Rasılmal		رشيد	Recid	
رأى	Rey		رصد	Rasat	
رائج	Raic		رضى	Riza	
راحة	Rahat		رطوبة	Rutubet	
راصد	Rasit		رعاية	Riayet	
راضى	Razi		رغبة	Ragbet	
راهب	Rahip		رغما	Rogmen	
راهبة	Rahibe		رف	Raf	
رئيس	Reis		رفاه	Rafah	
رب	Rap		رفقة	Rafakat	
ربى	Rabbi		رقابة	Rekabet	مزاحمة
رتبة	Rutbe		رقاص	Rakkas	
رجاء	Rica		رقاصة	Rakkase	
رحم	Rahim		رمضان	Ramazan	
رحمة	Rahmet		رهن	Rahin	
رخصة	Ruhsat		روح	Ruh	
رد	Ret		روحانى	Ruhani	
ردالة	Razalet	فضيحة	روحى	Ruhi	
رسالة	Risale		رويا	Rua	
رسام	Ressam		رياء	Riya	
رسم	Resim		رياضى	Riyazi	
رسمى	Resmi		رياضية	Riazia	
رسمى البسة	Resmielbise				

حرف الزين

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
زجاجية	Zucacia	سم	زنجي	Zinci	صعب - عسير
زراعة	Ziraa		زوال	Zeval	
زراعى	Zirai		زوالى ساعة	Zevali Saat	
زفت	Zift		زور	Zor	
زقوم	Zukkim		زيادة	Ziade	
زمان	Zaman		زيارة	Ziaret	
زهرة	Zumre		زيت	Zeytin	
زهرد	Zumurt		زيتونى	Zeytouni	
زناء	Zina		زيتون	Zeytoun	
			زينة	Ziyenet	

حرف السين

سابق	Sabik	سجل	Sicil	بؤس - شقاء دعارة - سوء السيرة
سابقة	Sabika	سجينة	Secia	
ساعة	Saat	سحر	Sihir	
ساحنة	Saha	سر	Sir	
ساحل	Sâhil	سراب	Serad	
سافل	Safil	سراج	Serac	
ساقط	Sakit	سطر	Satir	
ساكن	Sakin	سطح	Sath	
سالم	Salim	سطحي	Sathi	
سبيب	Sebed	سعادة	Saadet	
سببية	S:ebiet	سفالة	Sefalet	
سجادة	Seccade	سفاهة	Sefahat	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
حب - غرام	Selamet	سلامة		Sefaret	سفارة
	Semavi	سماوى		Sefer	سفر
	Sene	سنة		Sofra	سفرة
	Sünnet	سنة		Safsata	سفسطاء
	Sumbul	سنبول		Sefir	سفير
	Senet	سند		Sfeih	سفيه
	Sual	سؤال		Sukut	سقوط
	Suiistimal	سوء استعمال		Sukut	سكوت
	Sevda	سوداء		Sükünet	سكون
	Sur	سور		Silah	سلاح
	Sevn	سوق		Sulale	سلالة
	Seyahat	سياحة		Silsile	سلسلة
	Seyah	سياح		Sultan	سلطان
	Siyaset	سياسة		Saltana	سلطنة
	Siassi	سياسى		Sem	سما
	Seyar	سيار		Selam	سلام
	Seyir	سير		Semt	سمت
	Sira	سيرة		Simsar	سمسار

حرف الشين

شجرة الأصول	Sebeke	شبكة		Şan	شان
	Şuphe	شبهة		Şair	شاعر
	Şeceir	شجرة		Şamil	شامل
	Şiddet	شدة		Şahit	شاهد
	Şarap	شراب		Şahika	شاهقة
	Şerh	شرح		Şayia	شائعة

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Şikahyet	شكاية		Şart	شرط
	Şeker	شكر		Şeref	شرف
	Şekil	شكل		Şark	شرق
	Şellal	شلال		Şirket	شركة
	Şimal	شمال		Şerir	شرير
	Şemsiya	شمسية		Şerit	شريط
	Şamdan	شمعدان		Şahis	شخص
	Şümül	شمول		Şahsiet	شخصية
	Şahadet	شهادة		Şahsi	شخصي
	Şehvani	شهواني		Şiir	شعر
	Şehvet	شهوة		Şasaa	شهامة
	Şehit	شهيد		Şifa	شفاء
	Şevk	شوق		Şefaai	شفاعة
	Şura	شورى		Şeffaf	شفاف
	Şey	شيء		Şefkat	شفقة
	Şeytan	شیطان		Şafak	شفق
				Şifahen	شفها
				Şifahi	شفاهي

حرف الصاد

Sihhat	صحة	Sabun	صابون
Sihhi	صحي	Sahip	صاحب
Sihhiye	صحية	Safi	صافي
Sahan	صحن	Sabah	صباح
Sâhi	صحيح	Sabir	صبر
Sahife	صحيفة	Sohbet	صحبة
		محادثة	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Sulh	صلح		Sa dakat	صدقة
	Zamk	صمغ		Sadaka	صدقة
	Samimi	صميم		Saraha	صراحة
	Samimiet	صميمية		Sarraf	صراف
	Sanat	صناعة		Sirf	صرف
	Sinai	صناعي		Sarfiet	صرفية
	Sinf	صنف		Sarih	صريح
	Sanaat	صنعة		Safa	صفاء
	Sevap	صواب		Sofa	صفحة
	Sayfie	صيفية	تطور	Safha	صفحة
				Salahiet	صلاحية

حرف الضاد

ضعف	Zaruri	ضروري	Zabit	ضابط
	Zafiat	ضعيفه	Zabita	ضابطة
	Zaif	ضعيف	Zai	ضائع
	Zimnen	ضمنا	Ziddiet	ضدية
	Zamir	ضمير	Darb	ضرب
	Zia	ضياع	Darbi me sel	ضرب مثل
	Ziafet	ضيافة	Zaruret	ضرورة

حرف الطاء

Talebe	طالب	Tabi	طابع
Tayfa	طائفة	Tabia	طابية
Tip	طيب	Takat	طاقة
Tababet	طباية	Tâli	طالع
Tebeşir	طباشير	Talip	طالب

سعد - حظ
راغب

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Tarz	طرز		Tabi	طبع
	Tarh	طرح		Tabac	طبق
	Taraf	طرف		Tipki	طبق
	Tarikat	طريقة		Tabaka	طبقة
	Tilsim	طاسم		Tepki	طبقي
	T a mah	طمع		Tipki	طبي
	Tufan	طوفان		Tabib	طبيب
	Tayyare	طيارة		Tabiat	طبيعة
				Tabii	طبيعي

حرف الظاء

Zafer	ظفر	Zalim	ظالم
Zulum	ظلم	Zahiri	ظاهري
Zulma	ظلمة	Zafe	ظرافة
Zan	ظن	Zarf	ظرف
		Zarif	ظريف

حرف العين

صعوبة - حادث	Âriza	عارضة	Aidat	عائدات
	Afiyet	عافية	Aile	عائلة
	Akibet	عاقبة	Aciz	عاجز
	Akil	عاقل	Âcil	عاجل
	Akili	عاقلي	Âdet	عادة
	Âlem	عالم	Âdi	عادي
	Âlim	عالم	Adil	عادل
	Amme	عامّة	Ari	عاري
	Amele	عامل	Asi	عاصي

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
الفناء في الله	Aşkına	عشقنة	موزع بريد - معاون	Âmil	عامل
	Asap	عصب		Ibadet	عبادة
	Asabi	عصبي		Ibret	عبرة
	Asabiy eti	عصبية		Abes	عبث
	Asir	عصر		Acayip	عجائب
	Asri	عصري		Acele	عجلة
حرارة التهاب	Ateş	عطش		Acemi	عجمي
	Atifbeani	عطف بياني		Acuze	عجوز
	Uzi	عضو		Adalet	عدالة
	Uzvi	عضوي		Adese	عديس
	Uzviet	عضوية		Adli	عدلي
	Iffet	عفة		Adliye	عدلية
	Akar	عقار		Azap	عذاب
	Akit	عقد		Araba	عربة
	Akrep	عقرب		Arabi	عربي
	Akli	عقلي		Arz	عرض
	Akim	عقم		Arzuhal	عرضحال
	Akide	عقيدة		Arafa	عرفة
	Aksin	عكسا		Azar	عزر
	Akis	عكس		Azil	عزل
	Aksi	عكسي		Azim	عزم
حسن جدا	Âlâ	علاء		Aziz	عزيز
	Alaka	علاقة		Asker	عسكر
قوس قزح	Alaimin sema	علامن سما		Askeri	عسكري
	Alama	علامة		Aşk	عشق

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
علاجي	Alci	الحصن	عنصر	Unsur	سكير
عائني	Aleni		عنوان	Unvan	
عليه	Aleyh	ضده	عوام	Avam	
عملي	Ameli		عودة	Avdet	
عمليات	Amaliyat		عيار	Ayar	
عمودي	Amudi		عيتاش	Ayyas	
عمومي	Umumi		عيب	Ayip	
عمومية	Umumiyeh		عيننا	Aynen	
عنبر	Ambar		عينه	Aina	نظارة - مرآة
عنينة	Anane		عينى	Ayni	

حرف الغين

غازي	Gazi	غرض	Garaz	جميل - حسن
غائب	Gayip	غريب	Garip	
غاية	Gayet	غزال	Gusel	
غبطة	Gipta	غصب	Gasp	
غذاء	Gida	غنيمة	Ganimet	
غذائي	Gidayi	غيرة	Gayret	

حرف الفاء

فاتح	Fatih	فاصلة	Fasila	ممثّل - مؤلف
فاجع	Feci	فاعل	Fail	
فاجعة	Facia	فأل	Fal	
فاحش	Fahiş	فانى	Fani	
فاحشة	Fahişe	فائدة	Faida	
فار	Far	فتح	Feth	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Fazilet	فضيلة		Fitik	فتق
	Fuzuli	فضولي		Fitne	فتنة
	Fitri	فطري		Fitil	فتيل
	Faal	فعّال		Fuceten	فجأة
	Faaliyet	فعالية	دعارة	Fuhuş	فحوش
	Fiil	فِعْل		Fahri	فخري
	Fiilen	فعلا		Fida	فداء
	Fiili	مغلي		Firar	فرار
	Fil	فيل		Feraset	فراصة
فقير	Fukara	فقراء		Feragat	فراغ
	Fakat	فقط	العدول عن أمر - تنازل	Feragat	فرغات
من أتباع الصوفية	Fakir	فقير		Ferahi	فرح
	Fikir	فكر		Fert	فرد
	Fikra	فكرة		Ferdi	فردى
واحد من عامة الناس	Falanfilan	فلان فيلان		Firsa	فرصة
	Felec	فلاج	واجب - اغراض	Farz	فرض
	Felek	فلك		Farazi	فرضي
	Felsefe	فلسفة		Faraziye	فرضية
	Felsefi	فلسفي		Feri	فرعى
قبيح - مريض	Fena	فناء		Fark	فرق
	Fener	فئار		Firka	فرقة
	Fen	فن		Feriat	فريّة
	Fenni	فنتى	رطوبة تأمر	Fesat	فساد
	Fevkalâde	فوق العادة		Fcza	فضاء
	Fiat	فتة		Fazla	فضلة
	Eeylesof	فيلسوف		Fil Hakika	في الحقيقة

حرف القاف

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
قابل	Kabil		قدر	Kadar	على قدر ما
قالب	Kalip		قدر	Kader	حادث
قابلية	Kabiliye		قدرة	Kudret	
قاتل	Kaatil		قدم	Kıdam	
قاطع	Kati	صارم - عنيف	قرار	Karar	
قاطع	Kati	نهائي	قرآن	Kur'an	
قاعدة	Kaida		قربان	Kurban	
قافية	Kafiye		قرنفل	Karanfil	
قافلة	Kafilet		قرعة	Kur'a	
قانع	Kani		قرمزي	Kirimlzi	
قافون	Kanon		قسط	Kesit	
قانون	Kanun	آلة موسيقية	قسم	Kesim	
قباحه	Kabahat		قسمه	Kismet	حظ - نصيب
قبعة	Kubbe		قسمة	Kesme	من الاقسام
قبر	Kahir		قصاب	Kasap	
قبض	Kabiz	إمساك	قصبه	Kasaba	
قبلة	Kibla		قصد	Kait	
قبلمما	Kaplama	الشيء	قصدما	Kasten	
قبول	Kabul		قضاء	Kaza	
قبيلة	Kabile		قطران	Katran	
قتل	Katil		قطار	Kitar	
قدح	Kadeh.		قطب	Kutup	
قطر	Kutur		قنطار	Kıntar	
قطعة	Kita		قهر	Kahir	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Kahve	قهوة		Kafa	قفا
	Kuvvet	قوة		Kufe	قفة
	Kavis	قوس		Kafes	قفص
	Kias	قياس		Kalp	قلب
	Kiyafet	قيافة	قلب الحقائق	Kalp	قاب
	Kiamet	قيامة		Kale	قلعة
	Kaytan	قيطان		Kalam	قلم
	Kay	قيى		Kumar	قمار
	Kayit	قيد		Kumaş	قماش
	Kiyimet	قيمة		Kanaat	قناعة
				Kindil	قنديل

حرف الكاف

Kitabe	كتابة	Kabus	كابوس
Keten	كتان	Kâs	كاس
Kesafet	كثافة	Kasif	كاشف
Kesif	كثيف	Kagit	كاغط
Keza	كذا	Kafi	كافى
Kira	كراء	Kahin	كاهن
Kürsü	كرسى	Kibar	كبار
Keir	كسر	Kipir	كبير
Keşif	كشف	Kibrit	كبريت
Keffaret	كفارة	Kitap	كتاب

من الكسور العشرية

أعيان القوم

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
النشوة الخفيفة	Keman	كمان		Kefalet	كفالة
	Kemiet	كمية		Kifayet	كفاية
	Kunne	كنية		Kufur	كفر
	Kehainet	كهانة		Kefen	كفن
	Keyif	كيف		Kefil	كفيل
	Keyfiet	كيفية		Kofte	كفتة
	Kimya	كيمياء		Kulfet	كلغة
				Kelime	كلمة

حرف اللام

قاموس	Lânet	لعنة		Layiha	لائحة
	Lugat	لغة		Lazim	لازم
	Lakap	لقب		Lahika	لاحقة
	Lokma	لقمة		Layik	لائق
	Lakin	لكن		Lehim	ليحام
	Lahce	لهجة		Lezzet	لذة
	Levha	لوحة		Luzum	لزوم
	Liakat	لياقة		Lutfen	لطفاً
	Lif	ليف		Latif	لطيف
	Limon	ليمون	فكاهة — نكتة	Latife	لطيفة

حرف الميم

صاحب المال	Masallah	ما شاء الله		Maba it	ما بعد
	Maada	ماعد		Matem	مأتم
	Mal	مال	حادث	Macera	ماجري
	Mal sahibi	مال صاحبي		Mezun	مأذون

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Mute Harrik	متحرك		Malik	مالك
	M tehassis	متخصص		Maliye	مالية
	Mütereddit	متردد		Mali	مالي
	Mütercim	مترجم		Memur	مأمور
	Metruk	متروك		Mani	مانع
	Müteşebbis	متشبت		Mahiet	ماهية
	Müteakip	متعقب		Mahir	ماهر
	Mütaassip	متعصب		Mayi	مائي
	Müteallik	متعلق		Mübadele	مبادلة
	Müteahhit	متعهد		Mübarek	مبارك
	Mütefekkir	متفكر		Mübsaer	مباشر
	Müttetik	متفق	صنقة بيع	Mübalaga	مبالغة
	Mütekabil	متقابل		Mübayaa	مبايعة
	Mutekait	متقاعد		Müptezel	مبتذل
	Mutemadi	متماذي		Muptela	مبتلى
	Mutema diyen	متمادين	كثير	Mebzul	مبذول
	Mutenasip	متناسب	نائب في المجلس	Mabus	مبعوث
	Metin	متين		Mablag	مبلغ
	Misal	مثال		Muphem	مبهمة
	Müsepet	متشبت	هدنة	Mutereke	متاركة
	Mesalâ	مثلا		Metanet	متانة
حرب - معركة	Mucadele	مجادلة		Müteessir	متأثر
	Mecaz	مجاز		Meta	متاع
	Mecal	مجال		Mütecanis	متجانس
	Meccanen	مجانا		Mütecevaz	متجاوز

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
متواضع التواضع	Muhtamel	محتمل	مخترع	Mucbir	مجبّر
	Muhteva	مُحتَيَوَى		Mecbur	مجبور
	Muhtevi	محتوى		Mecburitt	مجبورية
	Mahdut	محدود		Mecra	مجرى
	Mahcup	مجبوب		Mücellit	مُجَلِّد
	Mahcubiet	مجبوبية		Meclis	مجلس
	Mahcuz	محبوز		Mecmua	مجموعة
	Muharrir	محرر		Mucehhez	مجهز
	Muharrik	محرك		Meshul	مجهول
	Mahrukat	محروقات		Mucit	مجيد
	Mahrem	محرم		Muharip	محارب
	Mahrüm	محروم		Muharebe	محاربة
	Mahzun	محزون		Muhasebe	محاسب
	Mahsus	محسوس		Muhasebat	محاسبة
	Mahsul	محصول		Muhassara	محاصرة
	Mahzur	محظور		Muhavere	محاورة
	Mahfaza	محافظة		Muhafaza	محافظة
	Mahfuz	محفوظ		Muhafiz	محافظ
	Muhakkak	محقق		Muhakeme	محكمة
	Muhkam	محكم		Muhabbet	محبة
	Mahkeme	محكمة		Mahpus	محبوس
	Mahküm	محكوم		Muhtaç	محتاج
	Mahlul	محلول		Muhtarem	محترم
	Mahal	محل		Muhtasem	محتشم
	Mahalle	محلة		Muhtekir	محتكر

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Muddeium umu	مدعى عمومى		Mahalli	محالى
	Met	مد		Mahv	محو
	Methal	مدخل		Mihver	محوور
	Medeni	مدنى		Muhit	مخيط
	Medeniyet	مدنية		Muhabir	مخابير
مرعب - مفزع	Muthiş	مدهش		Muhabere	مخابرة
	Medducezir	مد وجزر		Muhatap	مخاطب
	Medih	مديح		Muhatara	مخاطرة
	Müzakere	مذاكرة		Muhalif	مخالف
	Mezbaha	مذبح		Muhalefet	مخالفة
	Mezkür	مذكور		Muhbir	مخبر
	Mezhep	مذهب	حر - مستقل	Muhtar	مختار
	Mürâj	مُرأى	عمدة قرية	Muhtar	مختار
	Muracaat	مراجعة		Muhtasar	مختص
	Merasim	مراسم		Muhtalif	مختلف
	Meram	مرام		Muhteri	مخترع
	Murakip	مراقب		Magaza	مخزن
	Murakabe	مراقبة		Mahluk	مخلوق
	Murabbia	مربية		Muhayyle	مخيلة
	Murattip	مرتب		Mudahale	مداخلة
	Mertebe	مرتبة		Müdafî	مدافع
رجعى	Murteci	مرتجع		Müdafaa	مدافعة
	Mercan	مرجان		Müdür	مدير
	Merci	مرجع		Müddet	مدة
	Merhaba	مرحبا		Müddei	مدعى

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
ضيء - زائ	Musaade	مُساعدَة	مندوب - مفوض	Merhale	مرحلة
	Mesafe	مسافة		Merhamer	مرحمة
	Misafir	مسافر		Merhum	مرحوم
	Mes'ele	مسألة		Murahhas	مُرتخص
	Müsamaha	مسامحة		Mer'i	مرعي
	Müsavat	مساوات		Mer'a	مرتعي
	Musavi	مساوي		Mureffeh	مُرفَّه
	Mustabit	مستبند		Murekkeb	مركب
	Mülstesna	مستثنى		Merkez	مركز
	Müstahsil	مستحصل		Merkezi	مركزي
حصن	Müstahkem	مستحكم	قنبلة - قذيفة	Mermer	مرمر
	Müstahdem	مستخدم		Mermi	مرمي
	Müstarih	مستريح		Muruvvet	مروعة
	Müstasar	مستشار		Mizac	مزاج
	Müstesrik	مستشرق		Mizah	مزاح
	Müstacel	مستعجل		Merat	مزاد
	Müstaceliye ^t	مستعجالية		Mezar	مزار
	Müstamel	مستعمل		Muzayede	مزايدة
	Müstakbel	مستقبل		Mezrak	مزارق
	Mustakil ^{me}	مستقل		Muzmin	مؤمن
مستعمرة	Müstakim	مستقيم		Müzevir	موزر
	Müstemlik	مستملك		Meziet	مزية
	Müstanit ^l	مستند		Müsabaka	مسابقة
	Müstahcen	مستهجن		Mesaha	مساحة
	Müstahlik	مستهلك		Müsait	مساعد

الكلمة	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
مسجد	Mescit	سعيد - محظوظ	مشعالة	Mesale	ممنها
مسرف	Müsrif		مشغول	Mesâul	
مسعود	Mesut		مشكل	Müşkül	
مسك	Misk		مشهود	Meshut	
مسكرات	Muskirat		مشهور	Meshur	
مسكن	Mesken		مشؤوم	Mes'um	
مسكن	Musekkin		مصادرة	Musadere	
مسكون	Meskun		مصادمة	Musademe	
مسجل	Müseccel		مصالحة	Musalaha	
مسلم	Müslüman		مصادر	Mastar	
مسلك	Meslek		مصراع	Mesra	
مسهل	Müşhil		مصرف	Masraf	
مسؤول	Mesul		مصون	Masun	
مسؤولية	Mesuliyet		مصيبة	Musibet	
مسودة	Musvedde		مضاف	Muzaf	
مشاهد	Müşahit		مضبطة	Mazbata	
مشاهدة	Müşahede		مضر	Muzir	
مشاور	Müşavir		مطابق	Mutabik	
مشاورة	Müşavara		مطابقة	Mutabakat	
مشربة	Masrapa		مطالعة	Mutalaa	
مشارك	Müşterek		مطبعة	Matbaa	
مشتري	Müşteri		مطبوع	Matbu	
مشخص	Müşahas		مطبوعات	Matbuat	
مُشترَف	Müşerref		مطرح	Matrah	قاعدة الضرائب
مشروع	Mesru		مطروود	Matrut	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Madeni	معدي	Mutlak	مطلق	
	Mazeret	معذرة	Mutlaka	مطلقا	
	Mazur	معذور	Matlup	مطلوب	
	Mirac	معراج	Maznon	مظنون	
	Marifet	معرفة	Muzaffer	مظفر	
	Mazum	معصوم	Maatteessuf	مع التأسف	
	Matuf	معطوف	Muadil	معادل	
	Muazzam	معظم	Maazalla	معاذ الله	
	Muaf	معفى	Maarif	معارف	
	Makul	معقول	Maas	معاش	
	Maalesef	مع الأسف	Muaseret	معاشرة	
	Malil	معاول	Muassir.	معاصر	
	Muallim	معلم	Muafiete	معافية	
	Malum	معلوم	Muamele	معاملة	
	Malumat	معلومات	Muahede	معاهدة	
	Maamafih	مع مافيه	Muavin	معاون	
	Mimar	معمار	Muayen	معاین	
مصنوع	Mamul	معمول	Mabet	معبد	
	Muamma	معصوم	Mabut	معبود	
	Mâna	معنى	Mutat	معناد	
	Mâneui	معنوى	Muteber	معبر	
	Maneuiat	معنويات	Mutemet	معتمد	
	Mayet	معينة	Mutedil	معتدل	
	Maiset	معيشة	Mucize	معجزة	
	Magara	مغارة	Maden	معدن	

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Maktul	مقتول		Mugair	مغاير
	Mikdar	مقدار		Magdur	مغدور
	Mukadderat	مقدرات		Magrur	مغرور
	Mukaddes	مقدس		Magfired	مغفرة
	Mukaddesat	مقدسات	امر صعب الفهم	Muglak	مغلق
	Makas	مقص		Maglup	مغارب
	Maksat	مقصد		Maglubiyet	مغلوبية
	Makta	مقطع		Mugber	مغبر
	Mukavva	مقوى		Mufettis	مفتش
	Mikyas	مقياس		Müfred	مفرد
	Mükafat	مكافأة		Müfrit	مفرط
	Mekân	مكان		Mefrus	مفروش
مدرسة ابتدائية	Mektep	مكتب		Mefrusat	مفروشات
رسالة	Mektup	مكتوب		Müfreze	مفرزة
	Mükarrer	مكرر		Mufassal	مفصل
	Mekruh	مكروه		Müflis	مفلس
	Mükallaf	مكلف		Mefluç	مفلوج
	Mükallafiye	مكلفية		Mukabil	مقابل
	Mukemmel	مكتمل		Makale	مقالة
	Mükeyyifat	مكيفات		Makam	مقام
	Mülahaza	ملاحظة		Mukavele	مقاولة
	Mülakat	ملاقات		Mukavemet	مقاومة
	Millet	ملة		Makayes	مقايسة
	Mülteci	ملاذئجي	وصل مقابل دفع	Makbuz	مقبوض
	Mülhak	ملحق		Muktadir	مقتدر

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Münavebe	مناوذة	أدوات العمل	Malzeme	مأزومة
	Memba	منبع		Mulga	مأغى
	Mümbit	منبت	مع هذا	Mülfuf	مألفوف
	Münebbih	منبه		Mülk	مألك
	Müntazam	منتظم		Melek	مألك
	Müntaza man	منتظما		Meleke	مأكة
	Münhasir	منحصر		Mülki	مأكى
	Münhasiran	منحصرأ		Mülkiet	مأكية
	Münhal	منحل	مرهم	Melhem	مأهم
	Mundericat	مندرجات		Milli	مألى
	Mensup	منسوب		Milliet	مألية
	Mensucat	منسوجات		Mumtaz	ممتاز
	Mense	منشأ		Mumassil	ممثل
	Mantik	منطقي		Mumkin	ممكين
	Mentika	منطقة		Memnu	منوع
	Mantiki	منطقي		Memnun	ممنون
	Manzara	منظرة		Memnuniet	منونية
	Manzum	منظوم		Mumeyiz	مميز
	Manzume	منظومة		Minare	منارة
	Münferit	منفرد		Münasip	مناسب
	Menfaat	منفعة		Münasebet	مناسبة
	Menfa	منفعسى		Münazara	مناظرة
	Menfi	منفى		Münakaşa	منقشة
	Menkibe	منقبة		Münakalat	مناقلات
	Münakkit	منكيت		Münakale	مناقلة

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Muessif	مؤسف		Minnet	منة
	Mevsim	موسم		Munevver	منور
	Mumin	مؤمن		Maharet	مهارة
	Mevzi	موضع	معتنق الإسلام	Muhtedi	مهتدي
	Mevzu	موضوع	نختم - طابع	Muhur	مهر
	Muazzaf	موظف		Mahmuz	مهماز
	Muaffak	موفق		Mühim	مهم
	Muaffakiyet	موفقية		Mühimmat	مهمات
	Muvakkat	موقت		Mühendis	مهندس
	Muvakk- atan	مؤقتاً		Muaheze	مواخلة
	Mevki	موقع		Muvazene	موازنة
	Mevkuf	موقوف		Muazi	موازي
	Muellif	مؤلف		Muvasalat	مواصلات
	Mevlit	مولد		Muvafik	موافق
	Mevhum	موهوم		Muvafakat	موافقة
	Mumya	مومييا		Muebbet	مؤبد
	Mueyyit	مؤيد		Muessir	مؤثر
	Meydan	ميدان		Mesuk	موثوق
	Miras	ميراث		Mevcut	موجود
	Meyil	ميل		Mevcudiet	موجودية
	Meyus	ميثوس		Muahhar	مؤخر
				Mevduat	مودوعات
				Muz	موز
				Muvezzi	موزع
				Müessese	مؤسسة

حرف النون

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
	Nusha	نسخة		Nahie	ناحية
	Nesil	نسل		Nadir	ناد
	Neşet	نشأة		Nadiran	نادراً
	Nesir	نشر	قنبلة يدوية	Nar	نار
	Neşriat	نشریات		Naşir	ناشر
	Nese	نشرة		Naşiz	ناشر
	Nasihah	نصيحة		Nakis	ناقص
	Nezaret	نظارة	بخيل	Nakes	ناقص
	Nizami	نظامي	غير نافع - عقم	Nafile	نافلة
	Nizam	نظام		Nakil	ناقل
	Nazar	نظر		Namus	ناموس
	Nazaran	نظراً		Ney	نابي
	Nazari	نظري		Nebat	نبات
	Nazrariat	نظريات		Nebatat	نباتات
	Nezafet	نظافة		Nebati	نباتي
	Nimet	نعمة		Nabiz	نبض
	Nane	نمنع		Nctice	نتيجة
	Nagme	نغمة		Nesir	نشر
	Nifak	نفاق		Nezahet	نزاهة
	Nefaset	نرفعة		Nezle	نزلة
	Nefer	نفر		Nezif	نزيف
	Nefret	نفرة		Nisbeten	نسباً
	Nefes	نفس		Nispet	نسبة
	Nafaka	نفقة		Nisbi	نسبي

معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
من الموسيقى	Nakliyat	نقلیات	السكان	Nüfuz	نفوذ
	Nakliye	نقلية		Nufus	نفوس
	Nikah	نكاح		Nefis	نفيس
	Nukte	نکته		Nekahet	نقاهة
	Nema	نمو		Nakit	نقد
	Nihai	نهائي		Nakden	نقداً
	Nihayet	نهاية		Nakdi	نقدی
	Nehir	نهر		Nakarat	نقرات
	Nöbet	نوبة		Noksan	نقصان
	Nevi	نوعی		Nokta	نقطة
	Nict	نية		Noktata - azar	نقطة نظر
				Nakil	نقل

حرف الهاء

ميل .. اتجاه	Hilal	هلال		Havan	هاون
	Heves	هوس		Hava	هواء
	Heyecan	هيجان		Havai	هوائي
	Huviet	هوية		Hecc	هيجاء
	Heybe	هيبة		Hibe	هبة
	Heykel	هيكل		Hicret	هجرة
تمثال				Hicri	هجري
				Hücum	هجوم
				Hedef	هدف
				Hediye	هدية
				Hezimet	هزيمة
				Hazim	هضم

حرف الواو

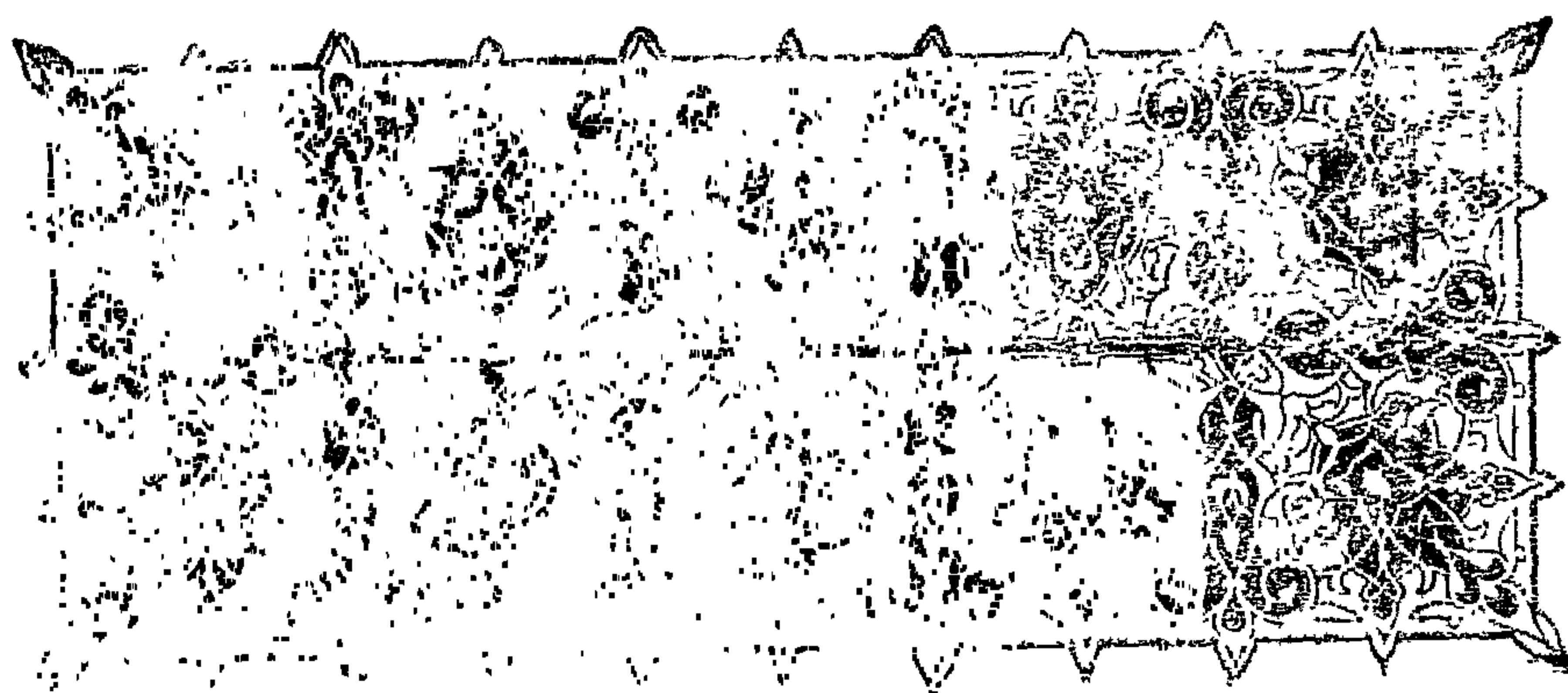
معناها	رسمها	الكلمة	معناها	رسمها	الكلمة
دمل - سل ميزان	Veraset	وراثة	منتهية - عارف	Vecip	واجب
	Varta	ورطة		Vadi	وادي
	Verem	ورم		Varis	وارث
	Vezin	وزن		Varidat	واردات
	Vezne	وزنة		Vasita	واسطة
	Vezir	وزير		Vasi	واسع
	Vesait	وسائط		Vasil	واصل
	Vesves	وسواس		Vasih	واضح
	Vesile	وسيلة		Vakif	واقف
	Vasif	وصف		Vaka	واقعة
	Vasiyet	وصية		Vali	والي
	Vatan	وطن		Vaba	وباء
	Vazife	وظيفة		Vesika	وثيقة
	Vait	وعد		Viedan	وجدان
	Vaiz	وعظ		Viedani	وجداني
	Vefa	وفاء		Vucut	وجود
	Vefat	وفاة		Veciz	وجيز
	Vakar	وقار		Vahset	وحشة
	Vakit	وقت		Vahsi	وحشي
	Vakif	وقف		Vahsiain	وحشيا
	Vakfiye	وقفية		Vahiy	وحى
	Vuku	وقوع		Vehamet	ونجامة
	Vukuat	وقوعات		Vahim	ونخم
	Vekalet	وكالة		Veda	وداع

الكلمة، ^١	رسمها	معناها	الكلمة	رسمها	معناها
وكيل	Vakil		وكلي	Veli	
وكيل حرج	Vakil Harc		والحاصل	Velhasil	
ولاية	Vilayet		وهم	Vehim	

حرف الياء

ياس	Yeis	يمين	Yemin
ياقوت	Yakut	يهود	Yahut
يتيم	Yetim	يهودي	Yahudi
يعنى	Yani		

أحمد توفيق المدني
عضو المجمع من الجزائر



مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب للدكتور جمال شوقي

نذكر منها على سبيل المثال ألفاظ المبدأ والميل والاعتماد والمدافعة والمعاوقة والممانعة والمقاومة ، وان من هذه الألفاظ ما جاء استعماله في أكثر من معنى واحد ، الأمر الذي يجعل من غير المتيسر الإلمام بفضل العرب في الفلسفة الطبيعية دون الوقوف على ما قصد العرب بهذه الألفاظ من معان دقيقة .

هذا ويعرض بحثنا الحال لأهم الألفاظ التي وردت في الكتابات العربية خاصة بحركة الأجسام ، وقد حرصنا كل الحرص على أن نسوق النصوص العربية المتضمنة لكل لفظ منها لنبين المعنى المقصود عند كل موضع ، ولنتأكد صحة مدلول اللفظ فيها ، بما لا يبدع مجالاً لشك أو لبس أو غموض .

الكتابات الفلسفية
العربية بدراسات
متوسعة ومتعمقة في مجال حركة
الأجسام ، حيث يعرض علماء العرب
وفلاسفتهم للدراسة عناصر الحركة
 وأنواعها وأقسامها وقوتها ، كما أنهم
كتبوا بتفصيل عظيم عن مدافعات
الحركة ، أى عن السمات الكامنة في
الأجسام التي تدفعها للحفاظ على حالتها من
سكون أو حركة منتظمة وعلى استقامة ،
ولقد وقف العرب على هذا المبدأ الهام
قبل أن يصيغه اسحق نيوتن فيما عُرف
بالقانون الأول للحركة ، وذلك بعدة
مئات من السنين .

إن للعرب ولا شك منجزات قيمة
في مجال حركة الأجسام ، ولقد وردت في
كتاباتهم مجموعة من الألفاظ الخاصة ،

ولقد وجدنا ن الملائم أن ننظم
الألفاظ التي تناولناها بالدراسة في هذا
البحث في مجموعات ثلاث هي :

١- الألفاظ الخاصة بعناصر الحركة
وأنواعها وأقسامها وقوتها .

٢- الألفاظ التي تعبر عن مدافعات
الجسم من « ميل » أو « اعتماد » .

٣- الألفاظ الخاصة بمعاوقات الحركة
من مقاومة وممانعة للوسط المنفذ فيه .

إن حقيقة سبق العرب إلى معاني
ومبادئ وقوانين أساسية كثيرة في علم
الحركة لتحديدنا إلى بيان المصطلحات
الأجنبية المرادفة . تلك المصطلحات
التي تعبر في عصرنا الحالي عن تلك
التي قصدها العرب في كتاباتهم في
الفلسفة الطبيعية . وقد اقتصرنا في هذا
الثان على تقديم المصطلحات الإنجليزية
المعاصرة .

عناصر الحركة وأنواعها وأقسامها وقوتها
الحركة والسكون :

يُعرف الشيخ الرئيس ابن سينا^(١)
في رسالته الرابعة «في الحدود»^(٢) كلا من
الحركة والسكون حيث يقول :

«الحركة^(٣) كمال أول لما بالقوة من
جهة ما هو بالقوة ، وإن شئت قلت ،
خروج من القوة^(٤) إلى الفعل^(٥) لاني
آن واحد» .

ويقول في السكون :

«السكون^(٦) هو عدم الحركة فيما من
شأنه أن يتحرك بأن يكون هو في حالة
واحدة من الكم^(٧) والكيف^(٨) والأين
والوضع زمانا ما ، فيوجد عليه في آنين» .
ويقول ابن سينا أيضا في رسالته الأولى
«الطبيعيات من عيون الحكمة»^(٩) : الحركة
كمال أول لما بالقوة من حيث هو بالقوة

(١) عاش في الفترة : ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) .

(٢) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ ، ٩١ .

(٥) Action

(٤) Force

(٣) Motion

(٨) Quality

(٧) Quantity

(٦) Rest

(٩) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

وهو كون الشيء على حال لم تكن قبله ولا بعده ، وتسمى تلك الحال أينما أو كيفما أو كمّا أو وضعاً كالشيء يكون على وضع في مكانه لم يكن قبله ولا بعده فيه ، ولا يفارق كايته مكانه

ويمضى ابن سينا في مريض آخر من رسالته ^(١) يقول :

« كل حركة فلها مُحَرِّكٌ ، لأن الجسم إما أن يتحرك لأنه جسم أولاً لأنه جسم ، فإن تحرك لأنه جسم وجب أن يكون كل جسم متحركاً ، فإذا حركته تجب عن سبب آخر ، إما قوة فيه ، وإما خارج عنه . »

الأمور المتعلقة بالحركة :

لعلّ أو جز ما قيل في أمور الحركة قول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه «الشفاء» ^(٢) :

« المتحرك ^(٣) ، والمحرك ^(٤) ، وما فيه ، وما منه وما إليه ، والزمان » فهذه في رأى

ابن سينا - هي الأمور الستة المتعلقة بالحركة ، فبالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذى به الحركة ، وبالمتحرك القوة المسببة للحركة ، وبقول ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما إليه مواضع الابتداء والانتهاء . أى طرفى مسافة الانتقال ^(٥) وتتضمن اتجاه الحركة . أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التى تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة

ويقول ابن سينا أيضاً في رسالته الأولى :

« الطبيعيات من عيون الحكمة » ^(٦) : « كل تغيير دفعةً فإنه لا يسمى حركة . »

كل حركة تصدر عن محرك في متحرك فهى بالقياس إلى ما فيه تحرك ، وبالقياس إلى ما عنده تحريك .

(١) نفس المصدر السابق : صفحة ١٧ .

(٢) « طبيعيات الشفاء » : المقالة الثانية - الفصل الأول .

(٣) Moving Body

(٤) Driver — (Motor)

(٥) Displacement

(٦) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

كلُّ مُحرَّكٍ فإمَّا أن يكون قوَّةً في جسم ، «ولمَّا أن يكون شيئاً خارجياً ويحرك بحركته في نفسه »

يقرر ابن سينا في هذا النص ارتباط الحركة بالزمان واستحالة حدوث حركة في غير فترة زمنية محددة مهما كانت هذه الفترة قصيرة ، وفي هذا المعنى يقول الحسن بن الهيثم ^(١) في المقالة الثانية من كتابه «المناظر» ^(٢) في معرض حديثه عن انتقال الضوء :

«إذا كان الثقب مستتراً ثم رفع الستار ، فوصول الضوء من الثقب إلى الجسم المقابل ليس يكون إلَّا في زمان ، وإن كان خفياً عن الحس . »

ويزيد ابن الهيثم الأمر وضوحاً في في فقرة تالية فيقول :

« . . . فالضوء إنَّما يصل إلى الجسم المُقابل للثقب بحركة ، والحركة ليست تكون إلَّا في زمان ، وإن كان الهواء يقبل الضوء دفعة واحدة . فإنَّ حصول الضوء في

الهواء بعد أن لم يكن فيه ضوء ، ليس يكون أيضاً إلَّا في زمان ، وإنَّ خفياً عن الحس . »

فالحسن بن الهيثم يؤكد هنا أن الحركة لا بد وأن تحدث في زمان ، أي أن كل حركة فلا بد وأن يكون لها سرعة ، هي ما نعرفها اليوم بمعدل تغيُّر المسافة المقطوعة بالنسبة للزمن ، وأن الضوء يسرى بحركة ، وبالتالي فإن للضوء سرعة ، وإن كانت هذه السرعة من العظم بحيث يحسبها المرء غير متناهية . ويُعرِّف ابن سينا في رسالته الرابعة : « في الحدود » ^(٣) كلاً من الزمان والآن بقوله :

« الزَّمان هو مقدار الحركة من جهة المتقدِّم والمتأخر . »

« الآن » ^(٤) هو طرف موهوم يشترك فيه الماضي والمستقبل من الزمان ، وقد يقال آن لزمان صغير المقدار عند الوهم متصل بالآن الحقيقي من جنسه . »

(١) عاش في الفترة : ٣٥٤ - ٤٣٠ هـ (٩٦٦/٦٥ - ١٠٣٩ م) .

(٢) مخطوط مكتبة الفاتيكان ، استانبول - رقم ٣٢١٣ .

(٣) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعة القاهرة ، ص ٩٢ .

(٤) Instant

أى حسب مسار الجسم المتحرك ، كذلك أشار العرب إلى الحركة العرضية والحركة التجمعية . ونسوق فيما يلي مقتطفات من أقوال الفلاسفة والعلماء العرب في أنواع الحركة .

(أ) الحركة المكانية والحركة الوضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته الأولى : « الطبيعيات من عيون الحكمة »^(٦) :

« الحركة التي من أين إلى أين تُسمى نقلة »^(٧) .

الحركة التي من وضع^(٨) إلى وضع تُسمى وضعية^(٩) .

ويقول ابن سينا أيضا في كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(١٠) :

ويؤكد بهمنيار بن المرزبان^(١) في كتابه « التحصيل »^(٢) ضرورة وقوع الحركة في زمان ، فيقول :

« وكلُّ سرعة^(٣) في زمان ، لأن كلَّ سرعة هي في قطع مسافة ، أو ما يجرى مجرى المسافة ، وكل ذلك في زمان .

فلو كانت حركة لا نهاية لها في السرعة^(٤) لكان زمان لا نهاية له في القصر^(٥) ، فكانت الحركة لا في زمان .

وبالجملة فاعتبار السرعة إنما هي في الأمور التي لها وجود في زمان . »

أنواع الحركة :

وقف العرب على الصور المختلفة لحركة الأجسام ، فقسموها إلى حركات مكانية ووضعية ، وإلى حركات طبيعية وقسرية ، وإلى حركات مستقيمة ومستديرة

(١) توفي سنة ٥٨٤ هـ (١٠٦٦ م) .

(٢) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الاول ، الفصل الرابع ، الورقة ٢٥٣ .

(٣) Speed

(٤) Motion of Infinite Speed

(٥) Infinitesimal Time Interval ، أي فترة زمنية متناهية القصر .

(٦) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٥ .

(٧) Displacement (٨) Position (٩) Positional

(١٠) النمط السادس - الفصل السادس عشر .

« فكلُّ حركة في مسافة تنتهى إلى حدّما . تنتهى إلى «سكون فيه ، فتكون غير الحركة التي بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعيّة هي التي بها يُستحفظ الزمان المتصل ، وهي الدورية^(١) .

ويعرض أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي^(٢) في كتابه «المعتبر في الحكمة»^(٣) للحركتين المكانية والوضعية فيقول :

« وأعمُّ أعراض الجسم الطبيعي وأحسُّها به من حيث هو جسم هي الحركة ، وهذا موضع الكلام فيها .

والحركة تقال على وجوه . فمنها الحركة المكانية ، وهي التي بها ينتقل المتحرك من مكان إلى مكان .

ومنها الحركة الوضعيّة ، وهي التي تتبدّل بها أوضاع المتحرك ، وتنتقل أجزاء في أجزاء مكانه . ولا يُخرجه عن جملة مكانه . كالدولاب والرحا » .

(ب) الحركة الطبيعية والحركة القسرية :

بالحركة الطبيعية عبّر العرب عن حركة الجسم إلى موضعه الطبيعي بعد أن يكون قد أُجبر على الخروج منه ، وذلك عند زوال القاسر عن الجسم . وبالحركة القسرية أو الحركة غير الطبيعية قصد العرب الحركة التي تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من خارجه . وفيها يمكن للمحرك أن يكون مُلّازماً للجسم المتحرك أثناء تحركه القسري ، أو يكون المحرك مُفارقاً للجسم المتحرك بعد أن يكون قد بعث الحركة فيه .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته الأولى . « الطبيعيات من عيون الحكمة^(٤) » :

« وكلُّ جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج^(٥) ، وتُسمى حركة قسرية^(٦) ، وإما من سبب في نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك

(١) Periodic, Cyclic (٢) توفي عام ٥٤٧ هـ (١١٥١ م) .

(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثاني ، الفصل التاسع ، الورقة ٢٦ .

(٤) «تسع رسائل في الحكمة» لابن سينا ، طبعه القاهرة : صفحة ٤ .

(٥) External Influence (٦) Force d Motion

رويه ، لا على مقتضى طباع المتحرك
ورويته . »

ويضرب بهمنيار بن المرزبان - في
كتابه الثاني من كتب « التحصيل »^(٤) -

مثلا ملموسا للحركة القسرية
فيقول :

« والحركة الطبيعية هي ما يصدر
عن الجسم إذا نُخِلَ وطبعه ، والقسرية
هي أن يُحرَّك الجسمُ إلى خلاف ما يقتضيه
طبعه ، كمن يُحرَّك حجرا إلى فوق . »

(ج) الحركة المستقيمة والمستديرة :

فرَّق العرب بين حركة الجسم على
استقامة وحركته على استدارة ، وفي هذا
المعنى يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في
رسالته الأولى : « الطبيعيات من عيون
الحكمة »^(٥) :

« وكلُّ جسم فيه مبدأٌ^(٦) حركة :
إما مستقيمة^(٧) وإما مستديرة^(٨) . »

لذا ، وذلك السبب إن كان محرِّكا
على جهة واحدة على سبيل التسخير
فيُسمى طبيعياً ، وإن كان محرِّكا حركات
سوى بإرادة أو غير إرادة . أو محرِّكا
حركة واحدة بإرادة فيُسمى نفساً .

ويقول هبة الله بن ملكا، البغدادي
في كتابه « الاعتبار في الحكمة »^(١) :

« فإنَّ الحركة إما طبيعية^(٢) وإما
قسرية . والقسرية يتقدمها الطبيعية ،
لأن المقسور إنما هو مقسور من طبعه
إلى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركة
بالطبع لم يكن حركة بالقسر . »

والطبيعية إنما تكون، عن مبادئ بالطبع
إلى مناسب بالطبع ، أو إلى مناسب
أسبب من مناسب .

ويقول أيضا في موضع آخر^(٣) :
« والقسرُ فمن شيء خارج عن المتحرك
حركة على مقتضى طباع المحرك أو

(١) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ ، المجلد الثاني ، الفصل الرابع عشر ، الورقتان ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) natural or free

(٣) نفس المصدر السابق ، الجزء الثاني ، الفصل السابع ، الورقة ١٣٥ .

(٤) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثاني ، المقالة الثانية ، الفصل السادس ، الورقة ١٧١ .

(٥) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ١٩ ، ٢٠ .

(٦) Cause (٧) Rectilinear Motion (٨) Circular Motion

ويستحيل أن يكون في جسم واحد بسيط - مبدأ الحركتين مستقيمة ومستديرة ، أو يكون ماهو للذات مبدأ حركة مستقيمة هو بعينه في حالة أخرى مبدأ حركة مستديرة ، لا كما يكون في حالة أخرى مبدأ سكون لأنَّ السكون غاية الحركة المستقيمة .

إذ قد علمت أن الحركة المستقيمة هربٌ وطلبٌ : هرب عن مكان (غير) طبيعي . وطلب لمكان طبيعي ، وعلمت أن الجهات محدودة ، وعلمت أن الأمكنة الطبيعية للأجسام البسيطة محدودة ، فإذا انتهت حركته بحصوله في مكانه الطبيعي ، استحال أن يتحرك عنه فيكون مكانا غير طبيعي مهروبا عنه وغير ملائم ، فيسكن فيكون سكونه غاية حركته .

وأما الحركة المستديرة فليست من حيث هي حركة مستديرة غاية للحركة المستقيمة . ولا نفس عدم لها . بل أمر زائد يحتاج إلى مبدأ آخر .

وكل حركة مستقيمة فيأما إلى المركز ^(١) والوسط ، وإما عن المركز . والمستديرة حول المركز . «

ويقول بهمنيار بن المرزبان في كتابه « التحصيل » ^(٢) :

فالحركة إذن تختلف نوعياتها باختلاف ما يفومها ، وهو ما فيه ومأمنه وما إليه . مثل أن تكون إحدى الحركتين من مبدأ إلى منتهى على الاستقامة ، والأخرى منه إليه على الاستدارة

قد علمت أن الخط المستقيم والمستدير هما مخالفان بالنوع ، فيجب أن تكون الحركة المستديرة مخالفة للحركة المستقيمة بالنوع

ويقدر ابن المرزبان أن الحركة المستديرة لا تكون - في رأيه - حركة طبيعية حيث أنها ليست حركة تقتضيها الطبيعة . فيقول في كتابه « التحصيل » ^(٣) :

ولو كانت الحركة المستديرة طبيعية . لكان يصح على ذلك الجسم أن يسكن ، ومتى فرض سكون ذلك

(١) Center

(٢) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثاني ، المقالة الثانية ، الفصل الرابع عشر ، الورقة ١٩٠ .

(٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الثاني ، الفصل الثالث ، الورقة ٢٧٠ .

الجسم ، وجَبَّ رَفْعُ الزمانِ والحركة والحدوثِ ، لكنَّ رَفْعَ الزمانِ يتم بإثبات قبل وبعد وهما من الزمان ، فيكون رَفْعُهُ بإثباته ، فبيِّن أنَّ تلك الحركة لا يصح عليها أنَّ تؤدي إلى السكون ، وكل حركة لا تؤدي إلى السكون فليست بطبيعية ؛ فتلك الحركة ليست بطبيعية .

وأَيْضاً فإنَّ الجسم المستدير يتحرك من وضع إلى ذلك الوضع بعينه . ومن نقطة إليها بعينها ، ولا يصح أن يكون مقتضى الطبيعة طلب شيء والهرب منه بعينه ، بل هذا للاختيار فقط . لأنَّ الطبيعة أمر واحد ومقتضاها أيضاً واحد ، فتلك الحركة إذن ليست بطبيعية

(د) الحركة التموجية :

يقول صاحب "التحصيل" في معرض حديث عن السمع ^(١) :

"والصوت أمر يحدث من تموج ^(٢) .

الجسم السميال ^(٣) الرطب كالهواء والماء منضغطاً ^(٤) بين جسمين متصاكين ^(٥) متقاومين ^(٦) .

وأما الصمدى ^(٧) فإنه يحدث من تموج يوجبه هذا التموج ، فإن هذا التموج إذا قاومه شيء من الأشياء كجبل أو جدار حتى دفعه ، لزم أن ينضغط أيضاً بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحائط أو الجبل وبين ما يقعره هؤلاء آخريرده ذلك ويصرفه إلى خلف بانضغاطه ويكون شكله شكل الأول وعلى هيئته ، ويشبه أن يكون الصمدى هو تموج الهواء الأول المنعطف ^(٨) الثاني ، لا الهواء المتموج الثاني ، ولذلك يكون على صفته وهيئته

في هذا النص يصف بهمنيار بن المرزبان الحركة التموجية الصوتية وانعكاس هذه التموجات عند اصطدامها بعائق كجدار مثلاً ، لترتد عنه مكونة التموجات الصوتية المنعكسة ، وهي التي

(١) نفس المصدر السابق : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الرابع ، الفصل الخامس ، الورقة ٣٠٧ .

(٢) Waviness (٣) Flowing

(٤) Pressed, Compressed (٥) Colliding

(٦) Opposed (٧) Echo (٨) reflected

نعرفها بالصدى ، وبذلك يكون العرب قد وقفوا على الحركة التموجية ، ويدل على ذلك وصف صاحب «التحصيل» لهذا النوع من الحركات حيث يقول في نفس الورقة :

«... والتموج يحدث لتداول السبب الفاعل له من الماء والهواء بصدمة^(١) بعد صدم مع سكون قبل سكون . . . »

وفي هذا القول تقرير للصفة الدورية للحركة التموجية .

أقسام الحركة :

استخدم الحسن بن الهيثم تعبير « القسْط »^(٢) في الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر »^(٣) وذلك في معرض تحليله لسرعة حركة الجسم المصّادم إلى « قسْطين » متعامدين في المستوى الذي يضمُّ خط الحركة والخط العمودي على سطح المصادمة (الملاقاة) .

ففي تحليله لسرعة الجسم المصادم ، عادل ابن الهيثم بين سرعة الجسم وبين

قسطين لها : قسْط (أى مركبة) موازى لسطح الملاقاة ، و قسْط عمودى على سطح الملاقاة ، وبتعبيرنا المعاصر فإن سرعة الجسم المصادم هى مُحصلة مُركبتين متعامدتين على بعضهما البعض ، إحداهما فى مستوى الملاقاة ، والأخرى عمودية عليها ، ومن الواضح أن المُحصلة ومُركبتها تقع جميعها فى مستو متعامد على سطح المصادمة .

ويرى ابن الهيثم أن القسْط الموازى لسطح الملاقاة يبقى على حاله دون أن يطرأ عليه أى تغيير إثر المصادمة ، أما القسْط العمودى على سطح الملاقاة فإنه يتأثر بحسب درجة ممانعة سطح الملاقاة عن الانفعال بالتصادم . وكلمة كانت هذه الممانعة أعظم كلما كان التغيير فى القسْط العمودى أقل . وكانت سافة ارتداد الجسم المصادم أطول .

قوة الحركة = اعتماد المتحرك :

وقف الحسن بن الهيثم على معنى كمى فى الجسم المتحرك يتوقف على سرعته

(١) Collision

(٢) أى المركبة : Component

(٣) مخطوط مكتبة الفاتح باستانبول - رقم ٣٢١٥ ، الورقتان ٧٤ ، ٧٦ .

(مُعْبَرًا عَنْهَا بِمَسَافَةِ السَّقُوطِ) . وَعَلَى

ثِقَلِهِ (وَيَتَنَاسَبُ مَعَ كَتَلَتِهِ) ، وَهُوَ الْمَعْنَى

الَّذِي نَظْلُقُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً (كَمِيَّة

الْحَرَكَةِ) وَتَسَاوَى حَاصِلُ ضَرْبِ كَتَلَةِ

الْجِسْمِ فِي سُرْعَتِهِ ، وَبِالتَّالِي فَهِيَ كَمِيَّة

مَوْجَّهَةٌ ، وَقَدْ عَبَّرَ عَنْهَا ابْنُ الْهَيْثَمِ بِتَعْبِيرَيْنِ

هُمَا « قُوَّةُ الْحَرَكَةِ » وَ « اعْتِمَادُ الْمُتَحَرِّكِ » .

يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ الْهَيْثَمِ فِي الْفَصْلِ

الثَّالِثِ مِنَ الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ فِي كِتَابِهِ

« الْمَنَاطِرُ »^(١) :

« وَالْمُتَحَرِّكُ إِذَا لَقِيَ فِي حَرَكَتِهِ مَانِعًا

يُمَانِعُهُ ، وَكَانَتْ الْقُوَّةُ الْمُحَرِّكَةُ لَهُ بَاقِيَةً

فِيهِ عِنْدَ لِقَائِهِ الْمَانِعِ ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنْ

(حَيْثُ) كَانَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي مِنْهَا تَحَرَّكَ .

وَتَكُونُ قُوَّةُ حَرَكَتِهِ^(٢) فِي ارْجُوعِ

بِحَسَبِ قُوَّةِ الْحَرَكَةِ الَّتِي كَانَ تَحَرَّكَ

بِهَا فِي الْأَوَّلِ ، وَبِحَسَبِ قُوَّةِ

الْمَانِعَةِ^(٣) .

وَيَمْضِي ابْنُ الْهَيْثَمِ فِي الْوَرَقَةِ التَّالِيَةِ يَقُولُ :

« . . . لِأَنَّ الْحَرَكَةَ الْمُكْتَسِبَةَ إِنَّمَا تَكُونُ

بِحَسَبِ مَقْدَارِ الْمَسَافَةِ (وَ) بِحَسَبِ مَقْدَارِ

الثَّقَلِ . »

فِي هَذَا النَّصِّ الْأَخِيرِ تَحْدِيدُ لِقَضْدِ

ابْنِ الْهَيْثَمِ لِمَعْنَى « قُوَّةُ الْحَرَكَةِ » وَاعْتِمَادُهَا

عَلَى مَقْدَارِ مَسَافَةِ سَقُوطِ الْجِسْمِ ، وَهِيَ

مُتَنَاسِبَةٌ مَعَ سُرْعَةِ السَّقُوطِ ، كَذَا عَلَى ثِقَلِ

الْجِسْمِ . وَيَتَنَاسَبُ مَعَ كَتَلَتِهِ ، وَهُوَ

سَبَقَ وَاضِحَ لِابْنِ الْهَيْثَمِ .

٢ - أَلْفَاظُ مَدَافِعَاتِ الْجِسْمِ

أَفْرَدَ الْعَرَبُ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ أَهْمَامِهِمْ

لِخَاصِيَّةِ مَدَافِعَةِ الْجِسْمِ عَنْ حَالَةِ السَّكُونِ

الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا فَلَا يَخْرُجُ عَنْهَا إِلَّا

بِقُسْرٍ قَاسِرٍ ، أَوْ حَالَةِ الْحَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ

الْمُنْتَظِمَةِ الَّتِي يُحَافِظُ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَجْبِرْهُ قُوَّةٌ

خَارِجِيَّةٌ عَلَى الْحَيْدَةِ عَنْهَا ، وَتُشَكِّلُ هَذِهِ

الْخَاصِيَّةُ مَا تَعَارَفْنَا عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالْقَانُونِ

الْأَوَّلِ لِلْحَرَكَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْعَرَبُ فِي

(١) نَفْسُ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ، الْوَرَقَةُ ٧٠ .

(٢) يَعْبُرُ عَنْهَا عُلَمَاءُ الْغَرْبِ بِكَلِمَةِ : Momentum ، وَهِيَ كَمِيَّةٌ مَوْجَّهَةٌ وَتَسَاوَى حَاصِلُ ضَرْبِ كَتَلَةِ الْجِسْمِ

فِي الْمَسَافَةِ الْمَقْطُوعَةِ .

(٣) Opposition

هذا الجانب من دراساتهم في العلم الطبيعي
عدة ألفاظ خاصة ، منها « المبدأ »
و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الميل » .

هذا ونخص بالذكر لفظ « الميل »
الذي ورد في معان متباينة ، تعرضنا لها
هنا بما هي أهل له من الإيضاح والتفصيل .
ولقد كان لزاماً علينا أن نسوق نصوصاً
عديدة كي ندلل على القصد من هذا اللفظ
في كل موضع . ونبين التعبير المعاصر
الذي يرادفه ، ولقد يكون من غير المتيسر
تقويم الكتابات العربية في العلم الطبيعي
دون الإلمام الواسع بالألفاظ التي استعمالها
العرب في كتاباتهم ، والوقوف على المعاني
الدقيقة التي أنيط بها تأديتها ، ومن هنا
كان إهتمامنا وسعينا المتواصل إلى أكبر
قدر من النصوص العربية . ودراستها
دراسة علمية متعمقة .

لفظ المبدأ :

بكلمة « مبدأ » قصد العرب عموماً
السبب والعلة ، كذلك فقد أشاروا

بها إلى موضع بدء الحركة . كما أنه قد
ورد في كتاباتهم تعبير « مبدأ ميل » ،
وفيما يلي توضيح معاني لفظ « مبدأ » .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في
رسالته الرابعة « في الحدود »^(١) :

« الطبيعة مبدأ أول بالذات بتحركها
ما هو فيه بالذات وسكونه بالذات » .
ويُعرف الإمام محمد أبو حامد الغزالي^(٢)
لفظ « المبدأ » ، فيقول في كتابه
« معيار العلم »^(٣) :

« والمبدأ اسم لما يكون قد استتم
وجوده في نفسه . إما عن ذاته ، وإما
عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شيء
آخر يتقوم به ، ويسمى هذا علة
بالإضافة إلى ما هو مبدأ له . »

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في
كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(٤) :

« إنك لتعلم أن الجسم إذا خُلّي
وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير

(١) « تسع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة ، صفحة ٨٦ .

(٢) عاش في الفترة : ٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ (١٠٥٩ - ١١٢١م) .

(٣) كتاب أقسام الوجود وأحكامه ، الفن الثاني ، طبعة دار المعارف بالقاهرة : صفحة ٣٣٠ .

(٤) النمط الثاني - الفصل السادس .

غريب لم يكن له بدء من موضع معين
وشكل معين . فإذاً في طباعه مبدأ
استيعاب ذلك » .

هذا النص يقصد ابن سينا أن الجسم
يبقى - بطبيعته - ساكناً في موضع معين .
متخذاً شكلاً محدداً ، ومُحافظاً على هذه
الحال بسبب طبيعته ، ما لم يطرأ عليه
مؤثر من خارج الجسم يتسبب في
خروجه عن هذا الموضع أو عن هذا الشكل
أو عن كليهما . أي أن الجسم يُدافع
بطبيعته عن استمرار حالة سكونه الطبيعي
وهذا مبدأ وخاصية في الجسم .

لفظ الميل :

يرد لفظ «الميل» كثيراً في نصوص
الفلسفة الطبيعية ، وقد استعمله العرب
في معانٍ أربع هي :

١- الميل بمعنى الخرف ، أي بمعنى
الرغبة والاتجاه .

٢- الميل بمعنى القوة ، سواء كانت
هذه القوة قوة طبيعية تعمل على إعادة
الجسم إلى موضعه الطبيعي ، وهي القوة

التي نعرفها اليوم بقوة الشاقل تحت
تأثير الجاذبية الأرضية . فيقال «ميل
طبيعي» ، أو كانت هذه القوة قوة قسرية
تعرض للجسم من خارج فتُطلق عليها
تسمية «ميل قسري» .

٣- الميل بمعنى مدافعة الجسم عن
حاله التي هو عليها ، سواء كانت حالة
مكون أو حالة حركة منتظمة وعلى
استقامة ، وخاصية الدافعة هذه هي
ما نعبر عنها في كتاباتنا المعاصرة «بالقصور
الذاتي» أو «العطالة» ، ومدافعة الجسم
هذه - والتي كتب عنها برزوخ الشيخ
الرئيس ابن سينا - هي ما نعرفه اليوم
بالقانون الأول للحركة .

٤- الميل في معنى كمية الحركة ،
وكمية الحركة في مفهومنا الحالي هي
حاصل ضرب الكتلة في السرعة .
وبالتالي فهي كمية موجهة قابلة للتحليل
والتركيب .

ونقدم فيما يلي أمثلة من كتابات
العرب التي يرد فيها لفظ «الميل» .

١ — « الميل » بمعناه الحرفي :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(١) :
« فإذا كان الجسم الطبيعي في حيزه الطبيعي لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لأنه - لامحالة - إنما يميل^(٢) بطبعه إليه لاعنه » .

ويشرح الإمام فخر الدين الرازي^(٣) هذه العبارة بقوله^(٤) :

« وأما قوله وإذا كان الجسم في حيزه الطبيعي ، لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لأنه إنما يميل بطبعه إليه لاعنه ، فاعلم أن هذه الدلالة تدل على أن الجسم حال كونه في حيزه الطبيعي ، لا يكون له ميل^(٥) عنه . فإذا قلنا ولا يكون له أيضا ميل إليه لاستحالة طلب الحاصل فحينئذ تتم الدلالة على أنه لا ميل فيه في تلك الحالة » .

٢ — « الميل » بمعنى القوة :

(أ) الميل الطبيعي :

بالميل الطبيعي عبر العرب عن القوة

التي تعيد الجسم الى مكانه الطبيعي اذا ما كان متواجدا خارجه ، وتعرف بالقوة الطبيعية لانها تعمل في الاتجاه الطبيعي نحو مركز الارض حتى يستعيد الجسم موضعه الطبيعي ، فالميل الطبيعي هو السعي إلى الموضع الطبيعي تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(٦) :

« الجسم إذا وجد على حال غير واجبة من طباعه ، فحصوله عليها من الأمور الإمكانية ولعل جاعلة ، ويقبل التبدل فيها من طباعه إلالمانع ، وإذا كانت هذه الحال في الموضع والموضع أمكن الانتقال عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل » .
ويقول أيضا في كتابه « الشفاء »^(٧) :
« إن الأجسام الموجودة ذوات الميل كالثقيلة والخفيفة :

أما الثقيلة فمما يميل إلى أسفل ، وأما الخفيفة فمما يميل إلى فوق ، فإنها كلما

(١) النمط الثاني - الفصل السابع .

(٢) incline, tend

(٣) عاش في الفترة : ٥٤٤ - ٥٦٠ (١١٥٠ - ١٢٠٩ م) .

(٤) الكتاب الموسوم بشرح الإشارات لتفسير الدين الطوسي وللإمام فخر الدين الرازي : النمط الثاني - الفصل السابع .

(٥) Inclination, Tendency.

(٦) النمط الثاني - الفصل الحادي عشر . (٧) المقالة الرابعة - الفصل الرابع عشر .

ازدادت ميلاً^(١) كان قبولها للتحريك
القسرى ابطاً ، فان نقل الحجر العظيم
الشديد الثقل أو جرّه ليس كنقل الحجر
الصغير القليل الثقل أو جرّه . «

فلنظ. « الميل » هنا يعبر عن قوة الجاذبية
الأرضية الداعية الساعية إلى استعادة الموضع
والوضع الطبيعيين للجسم ، ومن الأمور المعروفة
ان الجسم كلما زاد وزنه - أى زادت
قوة ثقاقله ، أو بعبارة أخرى زاد ميله
الطبيعى - كلما زادت قوة احتكاكه
بالسطح الذى عليه يرتكز ، وبالتالي تزداد
مقاومته للتحريك القسرى ، أى أن القوة
اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد
بزيادة وزن الجسم ، وهو المعنى الوارد
فى النص الثانى من كلام ابن سينا ،
وقد ضرب له مثلاً تحريك الحجر شديد
الثقل وقليله .

ويؤكد ابن سينا هذا المعنى فى كتابه
« الاشارات والتنبيهات »^(٢) بقوله :
« وكُلَّمَا كان الميل الطبيعى أقوى ،

كان أَمْنَع لجسسه عن قبول الميل
القسرى ، وكانت الحركة بالميل القسرى
أَفْتَر وأَبْطَأ . «

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى
كتابه « التحصيل »^(٣) :

« ويجب أن يكون فى الجسم فى حال
ما يتحرك معنى زايد على الطبيعة ، وذلك
لأن الجسم فى مكانه الطبيعى ذو طبيعة ،
ولكن لا يكون ذا حركة ، وهذا المعنى
الزايد يسمى ميلاً ، وهو الذى يشاهد
فى حال ما يتحرك الجسم إلى مكانه
الطبيعى ن الدَّفْع القوى لمُقاومِهِ . «
فمن الواضح من كلام ابن المرزبان
أن المقصود بالميل هنا هو القوة
الطبيعية التى تسعى لإعادة الجسم إلى
مكانه الطبيعى .

ويقول بهمنيار بن المرزبان فى وضع
آخر من كتابه^(٤) :

« كلُّ حركة فهى تصدر عن ميل
كما عرفتُه ، وهذا الميل فى نفسه معنى

(١) يقصد بالميل هنا قوة الجاذبية الأرضية : Gravitational Force

(٢) النمط الثانى - الفصل السابع .

(٣) مخطوط المكتبة الأحمدية بحلب - رقم ١١٢٢ : الكتاب الثالث ، المقالة الثانية ، الباب الأول ،
الفصل الثانى ، الورقة ٢٤٧ .

(٤) نفس المصدر السابق ، الفصل السابع ، الورقتان ٢٦٠ ، ٢٦١ ،

من المعاني ، به تُوصَّل إلى حُدُودِ
الحركات ، ومُحالٌ أن يكون الواصلُ
إلى حدٍّ ما واصلًا بلا عِلَّةٍ موجودةٍ مُوصلة ،
مُحالٌ أيضًا أن تكون هذه
العِلَّةُ غيرَ التي أزالَتْ عن المُستَقَرِّ
الأول ، وهذه العِلَّةُ يكونُ لها قياسٌ
إلى ما يُزيِّله يُسمَّى ميلاً ، ومن حيث
هو مُوصل لا يُسمَّى ميلاً .

الميلُ ما لم يُتَمَسَّر ولم يُتَمَمَّع أو
لم يُفَسَّد ، فإن الحركة التي تعجب
عنه تكون موجودة .

ويشير الإمام فخر الدين الرازي في
شرحه لكتاب ابن سينا « الإشارات
والتنبيهات »^(١) إلى ازدياد الميل
الطبيعي - أي القوة الطبيعية - مع
عِظَم الجسم فيقول :

« الأجسامُ كلما كانت أعظم ،
كان ميلُها إلى أحيائها الطبيعية أقوى ،
وكلما كان كذلك ، كان قهولها للميل
القسريّ أضعف ، لِمَا بيَّنَّا أنَّ الميلَ
الطبيعيَّ عائقٌ عن القسريِّ .

والشيءُ كلما كان العائقُ عنه أقوى
كان وجودُه أضعف . »

(ب) الميل القسري :

استخدم العرب تعبير «الميل القسري»
للدلالة على القوة التي تُسلطُ على الجسم
من خارجه . والتي قد تُساعد أو تُعاكس
« ميلَه الطبيعيَّ » . والميلُ القسري عندما
يتغلب على القوى الأخرى يدفع الجسم
إلى التحرك حركة قسرية .

يقول ابن مَلَكَا البغدادي في كتابه
«المعتبر في الحكمة»^(٢) :

« . . . كلُّ حركة بالحقيقة فهي
تصدر عن ميلٍ يحققه اندفاعُ الشيء
القائم أمام المتحرك أو احتياجه إلى قوة
تُمانعه بها .

وهذا الميل في نفسه معنى من الأمور
به تُوصَّل إلى حُدُودِ الحركات ، وذلك
بإبعادٍ من شيء يلزمه مدافعة لما في وجه
الحركة ، وتقريب من شيء »

(١) النمط الثاني - الفصل العشرون .

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ،
الورقة ٨٩ .

ويعرض ابن مَلَكًا لاجتماع المَيْلَيْن الطبيعي والقسري مُمَثَّلًا بالحجر المقذوف إلى فوق ، حيث يكون الحجر تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية المتجهة إلى أسفل ويُشار إليها هنا بالميل الطبيعي ، كما يكون الحجر أيضًا تحت تأثير قوة القذف القاسرة إلى فوق وهي القوة التي أُشير إليها بالميل القسري . وفي هذا المعنى يقول صاحب «المعتبر في الحكمة» (١) :

«فكذلك الحجرُ المقذوفُ ، فيه مَيْلٌ مُقَاوِمٌ» (٢) للمَيْلِ القاذفِ ، ألاَّ لَّأنَّه مقهورٌ بقوة القاذفِ ، ولأنَّ القوةَ القاسرةَ عرضيَّةً فيه ، فَهِيَ تضعفُ لمقاومة هذه القوة والمَيْلِ الطبيعيِّ ولمقاومة المخروق (٣) .

ولذلك كُلَّمَا كان المخروقُ أَكْثَفَ (٤) وَأَعْسَرَ خَرْقًا ، كان بُطْلَانُ ذَلِكَ المَيْلِ القسريِّ أَسْرَعَ ، كما يكون ذلك في الماء بالقياس إلى الهواء . . .

فيعكون المَيْلُ القاسرُ في أوله . على غاية القهر . للمَيْلِ الطبيعيِّ . ولا يزال يُضْعِفُ وَيُبطِئُ الحركةَ ضعفًا بعد ضعفٍ . وببطءٍ بعد بطءٍ . حتى يعجزَ عن مقاومة الميل الطبيعيِّ ، فيغلب الميل الطبيعيُّ ، فيحرك إلى جهته : ويقوى عايه مستمرا حتى يُبْطِئَهُ : فيسرع بذلك حركته لبطلان المُقاوم .

لاشك أن هذا النص واضح كل الوضوح في الدلالة على استعمال كلمة «الميل» في معنى القوة سواء كانت هذه القوة ناشئة عن جذب الأرض للجسم فتسمى «ميلًا طبيعيًا» . أو كانت هذه القوة قوة قاهرة مُسلطة على الجسم من الخارج فتسمى «ميلًا قسريًا» ، وقد أوضح صاحب المعتبر كيفية تغلب القوة القاهرة - في حالة الحجر المقذوف إلى فوق - على القوة الطبيعية (قوة الجاذبية الأرضية) في بادئ الأمر . ثم تناقص تأثير القوة القسرية لمقاومة القوة الطبيعية ولمقاومة

(١) نفس المصدر السابق : الورقتان ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) Resisting Force

(٣) يقصد الوسط المنفذ فيه : penetrated medium

(٤) more dense

الوسط المخروق لها . وبين كيفية تغلب
الميل الطبيعي في نهاية الأمر ليستعبد
الحجر موضعه الطبيعي على سطح الأرض .

٣ - « الميل » و « الاعتماد » في معنى
المدافعة :

استعمل العرب لفظي « الميل »
و « الاعتماد » كذا « مبدأ ميل » للتعبير
عن خاصية طبيعية في كل الأجسام ، هي
خاصية رغبة الجسم وتمسكه ببقائه على
حاله التي هو عليها من سكون أو حالة
ركة منتظمة وعلى استقامة ، وهذا هو
ما اصطُح على تسميته اليوم بالقانون
الأول للحركة ، ولا جدال في أن الشيخ
الرئيس ابن سينا له فضل السبق إليه .

فللجسم مقاومة ذاتية يُدافع بها عن
استمراره في حال السكون في موضعه
الطبيعي ، أو عن استمراره في حال الحركة
المستقيمة المنتظمة السرعة ، وفيما يلي
بعض من كتابات العرب في خاصية
المدافعة هذه .

(أ) المدافعة عن حال السكون :

يقول ابن سينا في طبيعيات كتابه
« الشفاء »^(١) :

« إنَّ كلَّ جسم ليس فيه مبدأ ميل
ما . فإنَّ نقله عما هو عليه من أين
أو وضع يقع لا في زمان ، وذلك محال ،
بل يجب أن يكون كلُّ جسم يقبل
تحريكاً وإمالةً طارئةً ، ففيه مبدأ ميل
طبيعي في نفس ما يقبله كان أيناً أو
وضعاً . »

ويمضي ابن سينا في نفس المقالة شارحاً
خاصية المدافعة هذه فيقول :

« وليست المعاوقة^(٢) للجسم بما
هو جسم ، بل بمعنى فيه يطلب البقاء
على حاله من المكان أو الوضع ، وهذا هو
المبدأ الذي نحن في بيانه . »

(ب) المدافعة عن حال الحركة :

يُعرف الشيخ الرئيس ابن سينا في
رسائله الرابعة : « في الحدود »^(٣)

(١) المقالة الرابعة .

(٢) Hindrance

(٣) « تنوع رسائل في الحكمة » لابن سينا ، طبعة القاهرة : صفحة ٩٥ .

الميل والاعتماد في معنى المدافعة عن حال الحركة فيقول :

« الاعتماد والميل هو كيفية يكون بها الجسم مُدافعاً لما يُمانعه عن الحركة إلى جهة ما . »

ويكاد الامام الغزالي أن يكون قد أورد هذا التعريف بلفظه في كتابه « معيار العلم »^(١) .

ويقول ابن سينا في كتابه « الإشارات والتنبيهات »^(٢) :

« الجسم له في حال تحركه ميلٌ يتحرك به ، ويحس به الممانع ، ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره ، فيبطل المنبعث من طباعه إلى أن يزول فيعود انبعاثه . »

ويُلقي الشيخ الرئيس مزيداً من الضوء على طبيعة مُدافعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول في معرض حديثه عن الاراء المطروحة في سبب حركة الجسم

المقذوف (المتحرك) بعد أن يفارقه القاذف (أى المسبب للحركة) بعد استعراضه لجملة الآراء^(٣) :

« ولكننا إذا حققنا القول ، وجدنا أصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد ميلاً من المتحرك .

والميل^(٤) هو ما يحس بالحس إذا ما خول أن يسكن الطبيعي بالقسر ، أو القسري بالقسر . »

ولقد استعمل العرب لفظ « الاعتماد » مرادفاً للفظ « الميل » ، من ذلك قول نصير الدين الطوسي في معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول في طبيعيات كتاب « الإشارات والتنبيهات » لابن سينا : « والاعتماد عندهم هو ما يسميه الحكيم ميلاً . »

وهذا يتضح أيضاً من تعريف ابن سينا والإمام الغزالي الذي أشرنا إليه قبل بضع سطور .

(١) « كتاب الحدود » : الفن الثاني ، القسم الثالث ، مطبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحات ٢٩٦ حتى ٣٠٤ .

(بيان الألفاظ المستعملة في الطبيعيات) .

(٢) النمط الثاني - الفصل السابع .

(٣) طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة - الفصل الرابع عشر .

(٤) يعبر عنها علماء الغرب بكلمة (Inertia)

من: هذه المقصود يبين لنا وقوف العرب على خاصية أو صفة ذاتية في الجسم بها يُدافع عن استمراره في حال السكون أو حال الحركة ، وقد أطلقوا عليها تسمية «الميل» أو «الاعتماد» ، وهذه الخاصية نطلق عليها اليوم تسمية «القصور الذاتي»^(١) أو «العطالة» ، وهي السمة الواردة في القانون الأول للحركة الذي يقول بأن الجسم يبقى في حالة سكون أو في حالة حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم يُجبره قوى خارجية عنه على تغيير هذه الحالة . وهذا القانون هو حصيلة الخبرة والملاحظة لسلوك الأجسام الساكنة والمتحركة .

٤ - «الميل» و «قوة الميل» بمعنى كمية الحركة
استعمل الفيلسوف العربي ابن ملكا البغدادي لفظ «الميل» و «قوة الميل» في معنى كمية الحركة ، فمن ذلك قوله في كتابه «المعتبر في الحكمة»^(٢) :

« فالميل الطبيعي مبدأ له غير مفارق

ولا يزال يُوجبه حتى يبلغ به الحيز الطبيعي .
وكُلِّمًا حُرِّكت القوة في المسافة . . . الغزبية .
عن الطبع . . . أحدثت ميلاً بعد ميل ،
فتتزايد بذلك قوة الميل^(٣) مهما استمرت
الحركة . »

يبين من هذا النص أن ابن ملكا يقول إن الأجسام التي تتحرك حركة طبيعية ، كتلك التي تسقط سقوطاً حراً تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية (أي تحت تأثير الميل الطبيعي) ، فإن سرعتها تزيد بزيادة مسافة السقوط ، وبالتالي فإن كمية حركتها (حاصل ضرب الكتلة في السرعة) تزيد كلما أمعن الجسم في السقوط ، وقد عبر صاحب «المعتبر» عن كمية الحركة في هذا النص بالميل بعد الميل ، كذا بقوة الحركة

ويزيد ابن ملكا الأمر وضوحاً فيمضي قائلاً :

« فإن قيل إن اشتداد الميل الطبيعي في آخره ليس لانسلاخ

(١) Inertia

(٢) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان ٩٥ ، ٩٦ .

(٣) يقصد بها هنا « كمية الحركة » : Momentum

القياسر . بل . الأمر يخصه في نفسه .
ويُستدل على ذلك بالحجر المرمى من
من عال من غير أن يكون عابداً
عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه
ميل قسري ، فيأخذك ترى أن
مبدأ الغاية كلما كان أبعد كان
آخر حركته أسرع ، وقوة ميله (١)
أشد ، وبذلك يشج ويسحق ، ولا يكون
ذلك له إذا ألقى عن مسافة أقصر ،
بل يبين التفاوت في ذلك بقدر طول
المسافة التي يسلكها

يسوق ابن ملكاً هنا مثلاً الحجر
المقذوف من علو ، فيقول إن « قوة
الميل » (أي كمية الحركة)
للحجر تزيد كلما كان موضع
رمى الحجر أبعد عن سطح الأرض
وبكلما كانت قوة قذف الحجر أكبر ،
وبازدياد « قوة الميل » للحجر المرمى
يشدد تأثيره حيث يشج ويسحق ،
ومفهوم ابن ملكاً في هذا الخصوص
ليم تماماً . حيث أن سرعة الجسم
الساقط سقوطاً حراً تزيد بزيادة مسافة

السقوط ، وتزيد معها كمية . كته
(أي . قوة ميله حسب تعبير
ابن ملكاً) ، فيشتد معها مبلغ تأثيره
إن هو اصطدم بجسم .

وفي استعمال كلمة « الميل » بمعنى
كمية الحركة يقول نضير الدين
الطوسي في شرحه لكتاب ابن
سينا « الإشارات والتنبيهات » (٢) :

« أقول : الميل الطبيعي يزداد
بازدياد الجسم إلى مكانه الطبيعي قرباً » .

أي أن « كمية الحركة » الناشئة عن
حركة الجسم الطبيعية تحت تأثير
قوة الجاذبية الأرضية (وقد عبر عنها
الطوسي بالميل الطبيعي في هذا
النص) تزداد كلما قرب الجسم
من مكانه الطبيعي على سطح الأرض
إذ أنه كلما قرب الجسم منه كلما
زادت مسافة سقوطه ، وهذه مصحوبة
كما بينا - بزيادة في سرعته ،
وبالتالي في كمية حركته أو « ميله
الطبيعي » حسب تعبير الطوسي ،
وهذا صحيح كل الصحة :

(١) يقصد بها هنا « كمية الحركة » .

(٢) النمط الثاني - الفصل التاسع عشر .

٣ - ألقاظ معاومات الحركة

وقف العرب على مقاومة الوسط المنفوذ فيه لحركة الجسم . وقد فطنوا إلى أن هذه المقاومة تتأثر بنوع الوسط وشكل الجسم المتحرك . وأن مقاومة الوسط المخروط يمكن لها أن تعاقب الحركة إلى حد إبطائها ، من ذلك قول الشيخ الرئيس ابن سينا في طبيعيات كتابه «الشفاء»^(١) :

« فإنك ستعلم أن مقاومة المنفذ فيه هو المبطل للقوة المحركة » . ويقول هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة»^(٢) :

«... والقوة بنفسها لا تبطل ولا تفنى ، وإنما يبطلها في الملاء مضادة ما يلاقيها في مسافتها من معاقب بعد معاقب فيضعفها حتى تفنى . وليس ذلك في الخلاء .. »

ويصف الإمام الرازي في كتابه «المباحث المشرقية» اختلاف مقاومة

الوسط من حيث الرقة والغلظة وتأثير ذلك على حركة الجسم ، فيقول^(٤) :

« إن الجسم إذا تحرك في مسافة فكلما كان الجسم الذي في المسافة أرق كانت الحركة فيه أسرع ، وكلما كان أغلظ كانت الحركة فيه أبطأ ، لأن الرقيق شديد الانفعال^(٥) عن الدافع الخارق^(٦) ، والغليظ شديد المقاومة . »

وقد عرف العرب أيضا أن المقاومة التي يتعرض لها الجسم المتحرك - فضلا عن تأثرها بنوعية الوسط المنفذ فيه - تختلف كذلك باختلاف الشكل الهندسي للجسم النافذ في الوسط ، من ذلك قول ابن ملكا في كتابه «المعتبر في الحكمة»^(٧) :

« وأيضاً لو تحركت الأجسام في الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير ، والمخروط المتحرك على رأسه الحاد ، والمخروط المتحرك

(١) المقالة الرابعة : الفصل الرابع عشر . Resistance (٢)

(٣) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الخامس عشر ، الورقة ٦٠ .

(٤) الكتاب الثاني - الفن الأول - الفصل التاسع عشر ، طبعة الهند : الصفحتان ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٥) Penetrating (٦) Deformation

(٧) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول - رقم ٣٢٢٢ : المجلد الثاني ، الفصل الرابع عشر ، الورقة ٤٩ .

على قاعدته الواسعة ، في السرعة والبطء ، لأنها إنما تختلف في الملاءمة بهذه الأشياء بسهولة خرقها لما تخرقه من المقام المخروق كالماء والهواء وغيره .

فإن المخروط المتحرك على رأسه يخرق أسهل من المتحرك على قاعدته ... »

من هذه النصوص يتضح لنا أن العرب قد استعملوا ألفاظ «المقاومة» و«المقاومة» في معنى (ممانعة الوسط) - الذى تتحرك خلاله الاجسام - لنفوذ أو اختراق هذه الاجسام له . وأن هذه الممانعة تختلف باختلاف طبيعة الوسط . كثافة وغلظة أوراقه وتخلخلها ، وأنها تقل كذلك كلما اتخذ الجسم المتحرك شكلا انسيابيا كالمخروط المتحرك على رأسه على حد تعبير صاحب «المعتبر» .

خلاصة

في هذا البحث تعرضنا بالدراسة لمفهوم العرب لحركة الأجسام وللألفاظ التى استعملها فلاسفة العرب وعلماءهم فيه ، حيث أوردنا نصوصا عديدة

لبيان الأوجه التى استعملت فيها هذه الألفاظ ومفاهيم العرب لها .

ويخلص البحث إلى أن العرب قد عنوا باختيار ألفاظهم العلمية ، فمن هذه الألفاظ ما يزال صالحا تماما للكتابة العلمية المعاصرة كلفظ « المدافعة » في معنى « العطالة » أو « القصور الذاتى » ، كذا ألفاظ « المعاوقة والممانعة والمقاومة في مجال معوقات الحركة » ، ومن هذه الألفاظ أيضا ما استعمله العرب للدلالة على معان عدة مثل لفظ « القيل » الذى استخدمه العرب في معان أربعة متباينة ، ومن ثم فإنّه لاغنى للباحث في تراثنا في العلم الطبيعى من أن يقف تماما على معانى الألفاظ التى وردت في كتابات العرب ، كما أنه يجدد بنا كذلك أن نتمسك ببعض الألفاظ التى استعملها العرب الأوائل والتى تقدم تعبيرات أكثر دقة وأشدّ طلاوة من كلمات مرادفة لها في كتاباتنا العلمية المعاصرة .

جلال شوقي

مصادر البحث

(أ) المخطوطات :

١- كتاب « المناظر » للحسين بن الهيثم :
المقالتان الرابعة والخامسة .

مخطوط . مكتبة الفاتح باستانبول
رقم ٣٢١٥ . ٣٢٢ ورقة .

٢- كتاب « تحصيل بهمنيار »
لبهمنيار بن المرزيان .

مخطوط . المكتبة الاحمدية بحلب
رقم ١١٢٢ ، ٣٤٠ ورقة .

٣- كتاب « المعتبر في الحكمة »
لأبي البركات هبة الله بن ملكا
البغدادى .

مخطوط . مكتبة أحمد الثالث
باستانبول رقم ٣٢٢٢ ، ٢٢٥ ورقة .

(ب) الأبحاث والكتب المطبوعة :

١- « آراء الفلاسفة الإسلاميين
في الحركة ومساهماتهم في التجهيز
إلى بعض معاني علم الديناميكا
الحديث »

للأستاذ مصطفى نظيف .

المحاضرة الرابعة من محاضرات ابن
الهيثم التذكارية : كلية الهندسة
جامعة فؤاد الأول : سنة ١٩٤٣ م ،
٣٣ صفحة .

٢- كتاب « الإشارات والتنبيهات »
للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح
نصير الدين الطوسي .

تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
دار المعارف بمصر - القسم الثانى .
الطبعة الثانية ، ٤٦٨ صفحة .

٣- « الكتاب الموسوم بشرح
الإشارات » .

للخواجة نصير الدين الطوسي ،
ولالإمام فخر الدين الرازى .

المطبعة الخيرية بالقاهرة - الطبعة
الأولى ، عام ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م)
الجزء الأول : ٢٤٣ صفحة ، الجزء
الثانى : ١٤٦ صفحة .

٤- كتاب « الشفاء - الطبيعيات »
للشيخ الرئيس ابن سينا .

تحقيق الدكتور محمود قاسم .
مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم
مذكور .

- دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة ، عام ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) .
- ٥- « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيّات » .
للشيخ الرئيس ابن سينا .
مطبعة هندية بالموسكى بمصر ،
عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) ، ١٨٠ صفحة .
- ٦- « معيار العلم » للإمام محمد
أبى حامد الغزالى .
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ،
عام ١٩٦٩ ، ٤٠٠ صفحة .
- ٧- « علم الحركة فى الفلسفة العربية :
مفاهيمه وألفاظه » .
للدكتور جلال شوقى .
- ٨- « أصول الميكانيكا فى الفكر
العربى » للدكتور جلال شوقى .
أسبوع العلم الثالث عشر
بجامعة حلب سنة ١٩٧٢ م ،
منشورات المجلس الأعلى للعلوم
بدمشق ، سنة ١٩٧٤ م ، الكتاب
الرابع : دراسات وبحوث
العلوم الهندسية ، الصفحات ١٩٣-
٢٦٢ .
- ٩- « تراث العرب فى الميكانيكا »
للدكتور جلال شوقى .
عالم الكتب بالقاهرة ، سنة ١٩٧٣ م ،
١١١ صفحة .
- ١٠- « دراسات العرب فى سلوك
الأجسام المتحركة » للدكتور
جلال شوقى .
- مجلة اللسان العربى ، جامعة
الدول العربية ، الرباط - المجلد
العاشر ، يناير ١٩٧٣ م ، الجزء
الأول ، الصفحات ١٨٣ - ١٩٤ .
- مجلة « عاديّات حلب » - جامعة
حلب : معهد التراث العلمى العربى ،
الكتاب الأول عام ١٩٧٥ م ، الصفحات
٣٠ - ٥١ .

التطور اللغوي وقانون السهولة والتيسير للدكتور رمضان عبدالتراب

وهو لاشك سيجدها في ظروف خاصة باللغة التي قد يحدث فيها هذا النوع من التطور . فليس ينقض هذا القانون ، أن نجد أحيانا أصواتا سهلة ، تطورت إلى أصعب منها في بعض الحالات ^(١) .

ومما ينطبق عليه هذا القانون : « ظاهرة الهمز » في اللغة العربية ، ومحاولة بعض القبائل العربية القديمة التخلص منها ، وعلى الأخص قبائل الحجاز ، كما تخلصت منها معظم اللهجات العربية الحديثة . وصوت الهمز صوت عسير النطق ؛ لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة ، وهذه عملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير .

اللغة في تطورها نحو السهولة والتيسير ، فنحاول التخلص من الأصوات العسيرة ، وتستبدل بها أصواتا أخرى ، لا تتطلب مجهودا عضليا كبيرا ، كما أنها تحاول أن تتفادي تلك التفريعات المعقدة ، والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة . « وليس معنى هذا أن قانون السهولة والتيسير ، ينطبق على كل الحالات ، وإنما يمكن تطبيقه على كثير من التطورات الصوتية في اللغة . فإذا وجد الباحث أن التطور الصوتي كان عكسيا ، أى من السهل إلى الصعب - كما وجد فعلا في بعض الحالات - فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور ،

(١) الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ١٦٩ وانظر الشبه التي أثارها الدكتور تمام حسان ، على نظرية السهولة والتيسير ، في كتابه : اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٥ - ٤٧

وسقوط الهمز في غير أول الكلمة ،
هو الشائع في اللهجات العربية الحديثة ،
وكان هو المميز لهجة قريش في الجاهلية ،
غير أن هذا التسهيل امتد إلى الهمزة في
أول الكلمة كذلك في كثير من الكلمات ،
في العاميات الحديثة ؛ مثل : « باط »
في « آباط » و « دان » في « آذان »
و « سنان » في « أسنان » و « سبوع » في
« أسبوع » ، كما يقال مثلاً : « إيه
اللي صابك » و « فلان راح في غيبوبة
وفاق منها » ، بدلاً من : « أصابك »
و « أفاق » . وقد روى الجواليقي (المتوفى
سنة ٥٣٩ هـ) أن الناس في عصره كانوا
يسقطون همزة « أبو » ؛ فقال : « وهو
أبو رياح ، لهذا الذي يلعب به الصبيان ،
وتديره الريح ، ولا تقل : بُرياح ،
وكذلك يقولون للقرد : بُوزنة ، وإنما
هو : أبو زنة ، وهي كنيته ^(١) » .
ولا تزال هذه الظاهرة شائعة في تونس
والجزائر مثلاً ، في قولهم : « بومدين »
و « بوتفليقة » و « جميلة بوحريد » ،
وكان لنا زميل تونسي بجامعة ميونخ
اسمه : « عثمان بوغانمي » ، كما تشيع
هذه الظاهرة في بعض الأسماء في الجزيرة

(١) التكلة فيما يلحن فيه العامة للجواليقي ١٣١

العربية ؛ مثل : « باحسين » و « باكلأ »
و « بابطين » وغير ذلك .

وقد يؤدي سقوط الهمز من آخر
الأفعال ، إلى التباسها بالأفعال المعتلة
الآخر ، فتعامل معاملةً عند إسنادها
إلى الضمائر ؛ فبعد أن ضاع الهمز من
الأفعال : ملأ الإناء ، وسلاً السمن ،
وأخطأ في قراءته ، وخبأ قموده ، مثلاً ،
أصبح يقال عند إسنادها إلى الضمائر :
مليت ، وأخطيت ، وأبطيت ، وخبّيت
تماماً كما يقال : « رميت » و « سميت »
و « بنيت » وغير ذلك .

وقد روى ابن الأنباري شيئاً من هذا
في العربية القديمة ؛ فقال ^(٢) : « ويقال :
أردأت الرجل وأرادته وأرديته ، فمن
قال : أردته ، لين الهمزة . ومن قال :
أرديته ، انتقل عن الهمزة ، وشبه أرديت
بأرضيت . ومثل هذا قول العرب : قرأت
بتحقيق الهمز ، وقرأت بتليين الهمزة ،
وقريت بترك الهمز ، والافتقال عنه
إلى التشبيه بقضيت ورميت . وكذلك
يقال : اقرأ رقعي بالتحقيق وقرأ

(٢) الأضداد لابن الأنباري ٢٠٨

رقعتي بالتليين ، واقرب رقتي بالترك
وهو أقل الثلاثة .

كما يؤدى سقوط الهمز أحيانا إلى
نوع من الاشتقاق الجديد ؛ فإن سقط
الهمز من الفعل : «يؤاسى» مضارع : «آسى»
و «يؤدى» مضارع «أدى» ،
وتحولهما إلى : «يؤاسى» و «يؤدى»
مثلا ، هو المستول عن اشتقاق الماضى
الجديد : «واسى» و «ودى» ، وغير
ذلك مما هو شائع فى اللهجات الحديثة .

* * *

وانكماش «الأصوات المركبة»
المسماة باللاتينية : Diphthong ، ظاهرة
من ظواهر السهولة والتيسير فى اللغة ؛
فتحول الصوت المركب aw إلى ضمة
طويلة ممالاة ، فى مثل نطقنا لكلمة :
«يُوم» و «نُوم» و «صُوم» بدلا من :
«يَوْم» و «نَوْم» و «صَوْم» . وكذلك
تحول الصوت المركب ay إلى كسرة
طويلة ممالاة ، فى مثل نطقنا لكلمة :
«بيت» و «ليل» و «عين» بدلا من :
«بَيْت» و «لَيْل» و «عَيْن» . - كل

ذلك سببه إيشار اللغة الانتقال من العسير
إلى اليسير من الأصوات .

وقد حدث هذا التطور فى الأصوات
المركبة ، فى عصور العربية الأولى ، على
على السنة العامة ، وهذا هو ما يفهم من
كلام ابن السكيت (المتوفى سنة
٢٤٤ هـ) فى كتابه : إصلاح المنطق :
«وتقول : الكُوسج ، ولا تقل :
الكُوسج ، وهو الجُورب ، ولا تقل :
الجُورب^(١)» . وقد تابع المؤلفون فى
لحن العامة من بعده ، التنبيه على هذا
التطور ، مثل ما فى كلمتى : «العيرة»
و «فَيْح»^(٢) عند الزبيدي (المتوفى
سنة ٣٧٩ هـ) وكلمة : «سُوسن»^(٣)
عند الحريري (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) .
و «لُوح» و «جَيْب»^(٤) عند ابن هشام
اللخمي (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) و «فوق»
«جوف»^(٥) عند ابن الإمام (المتوفى بعد
سنة ٨٢٧ هـ) و «العَيْش»^(٦) عند ابن كمال باشا
(المتوفى سنة ٩٤٠ هـ) .

(٢) لحن العوام للزبيدي ١٤٤ ؛ ١٨٥

(٤) المدخل إلى تقويم اللسان ٦٢ ؛ ٦٦

(٦) التنبيه على غلط الجاهل والتنبيه ٢٥

(١) إصلاح المنطق ١٦٢

(٣) درة القواص للحريري ٧٨

(٥) الجمانة فى إزالة الرطانة ٥

وقد تتطور هذه الحركة - المتأالة -
النتيجة من الصوت المركب ، فتصير
فتحة طويلة ؛ فمثلا كلمة : « فَايْن »
تطورت بعد سقوط الهمز - منها إلى
« فين » بدلا من : « فَيْن » ، وفي بعض
اللهجات : « وِين » المتطورة عن : « وَيْن »
بعد سقوط الهمز من : « وَايْن » .
غير أننا نسمع بعض أهالي صعيد مصر ،
ينطقون الكلمة الأولى بالفتح الخالص ،
فيقولون : « فَاَنْ » بدلا من : « فين »
الشائعة فيما عدا ذلك في مصر ، أي أن
التطور في هذا الصوت المركب كان
على النحو التالي : $a < \bar{e} < ay$
ونلاحظ مثل هذا التطور في العربية
القديمة ، في قول بعض العرب : « إن
الرجز لعاب ، أي : لعيب . والرجز :
ارتعاد مؤخر البعير ^(١) » ، وقولهم :
« ما كنت أزعم في خصمي من العاب ،
يريد : العيب ... ويقال : بَوْع وِبَاع ،
وَصَوْع وِصْبَاع ^(٢) » ، كما جاء في
قولهم : « تبت إليك فتقبل تابتى ،

وصممت إليك فتقبل صامتى ، أي :
توبت وصومتى ، ذكره الواحدى في
تفسير قوله تعالى : إن هذان لساحران .
قال ابن عباس رضى الله عنهما : هي
لغة بلحريث ، وهي قبيلة من اليمن ^(٣) .
وهي تلك القبيلة ، التي روى لنا
عنها ، أنها كانت تلزم المثني الألف
في جميع أحواله ؛ فقد قال أبو زيد
الأنصاري ، في تفسير قول الراجز :
طارت علاهن فشل علاها :

« وعلاها ، أراد : عليها . ولغة
بلحريث بن كعب ، قلب الياء الساكنة ،
إذا انفتح ما قبلها ألفا ؛ يقولون : أخذت
الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسلام
علاكم . وهذه الأبيات على لغتهم ^(٤) .
كما يروى عن أهل الحجاز ، أنهم
يقولون في : « يَوْجَل ^(٥) » « ياجَل » ، كما روى
لنا في اللغة : « يابَس » و « يابَس »
في : « ييبَس ^(٦) » و « ييبس ^(٦) » ،
ومثل ذلك : « القال » بدلا من :
« القول » في عبارة : « القيل والقال ^(٧) »

(١) النوادر لأبي زيد ٣

(٢) شرح معاني الأرواح ١٢٠

(٣) المقترض ٩٠/١ والمتنصف ٢٠٢/١

(٤) لسان العرب (قول) ٩١/١٤

(٥) النوادر لأبي زيد ٣

(٦) النوادر لأبي زيد ٨٠ وانظر الصحاح لابن فارس ٤٩

(٧) المقترض ٩٢/١ والمتنصف ٢٠٢/١

وكل هذه الأمثلة نتيجة لانكماش الصوت المركب ، وتحول الحركة الممالة الناتجة عن هذا الانكماش إلى فتحة خالصة ، فيما نعتقد .

* * *

وكذلك اندثار الأصوات الأسنانية في اللهجات العربية الحديثة يعد مظهراً آخر من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة . والأصوات الأسنانية في العربية هي الدال والطاء ، وهى التى تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها . ولا شك أن ذلك جهد عضلى ، تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان ؛ أما الدال فقد حل محلها الدال في مثل : « ذهب » بدلا من « ذهب » ، أو الزاي في مثل « زكر » بدلا من : « ذكر » و « زل » بدلا من : « ذل » . وأما التاء فقد حل محلها التاء في مثل كلمة : « توب » بدلا من : « ثوب » ، أو السين في مثل : « سابيت » بدلا من : « ثابت » . وأما

الطاء فقد حل محلها الضاد مثل : « ضيل » بدلا من : « ظل » أو الزاي المضممة مثل : « زهر » بدلا من : « ظهر » ، وغير ذلك .

وقد روى لنا عن العرب القدماء بدايات لهذا النوع من التطور ؛ فقد ذكر أبو الطيب اللغوى أنهم قالوا : « الحسالة » فى : « الحثالة » و « القنفذ » فى : « القنفذ » و « البزور » فى : « البذور »^(١) وغير ذلك .

وقد استمر هذا التطور فى اللهجات العامية العربية ، فى أصقاعها المختلفة ؛ فقد روى لنا ابن مكى الصقل (المتوفى سنة ٥٠١ هـ) قولهم : « التار » فى « الثار » و « جذر الشجرة » فى : « جذر الشجرة » كما روى ابن هشام اللخمي (المتوفى سنة ٥٧٧ هـ) قولهم : « جدام » فى : « جذام » و « دخيرة » فى : « ذخيرة »^(٣) وكذلك روى لنا الشيخ يوسف المغربي (المتوفى سنة ١٠١٩ هـ) قولهم : « فلان

(١) الإقبال لأبي الطيب اللغوى ١ / ١٧٤ / ٢٤٣٥٧ / ٦

(٢) تثقيف اللسان ١٠٤٥

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٦

ندل « بدلا من : « نذل » و « ثوم »
 بدلا من « ثوم » و « حنضل »
 بدلا من : « حنظل^(١) » ومثل ذلك
 ما رواه ابن أبي السرور البكري
 (المتوفى سنة ١٠٨٧هـ) من قولهم :
 « بَدَرَ الحَبُّ » بدلا من : « بَذَرَ »
 « وبردعة » بدلا من : « بردعة » ،
 وغير ذلك .

* * *

ومن مظاهر قانون السهولة والتيسير
 كذلك : القضاء على التفريعات
 الكثيرة ، والأنواع المختلفة للظاهرة
 الواحدة في داخل اللغة . وقد حدث ذلك
 في اللهجات العربية الحديثة بالنسبة
 لعلامات التأنيث في العربية ، فنحن
 نعرف أن العربية الفصحى تملك ثلاث
 علامات للتأنيث هي : التاء ، والألف
 المقصورة ، والألف الممدودة ، كما
 نلاحظ أن العلامتين الثانية والثالثة ،
 قد ضاعتا في اللهجات العربية الحديثة
 وحلت محلها العلامة الأولى ، وهي التاء

فنحن نقول في : حمراء ، وبيضاء ،
 وصحراء ، وعمياء ، وميناء ، وعرجاء :
 حمرة ، وبيضة ، وصخرة ، وعمية :
 ومينة ، وعرجة ، كما نقول في :
 حبل وسلمى ، وخبّازى ، وعدوى ، وفتوى
 حبل ، وسلمة ، وخبّيزة ، وعدوة ،
 وفتوة .

والسر في زوال هاتين العلامتين ،
 وحلول العلامة الأولى محلها ، وهي التاء
 هو ميل اللغة إلى أن تسير في طريق
 السهولة والتيسير ، فبدلا من أن يكون
 في اللغة الواحدة ثلاث علامات للتأنيث
 تصبح فيها علامة واحدة لكل أنواع
 المؤنث .

ونحن نلاحظ هذا الميل إلى السهولة
 والتيسير في هذه الظاهرة ، في لغة
 الطفل الذى نجاهه يميل إلى تأنيث
 المؤنث بالتاء وحدها ؛ لأنها هي العلامة
 الكثيرة الشيوع في لغة الكبار من حوله
 فنراه يقول مثلا : « قلم أحمر وكراسة
 أحمر » ، وهو بهذا يعمل عن غير قصد

(١) دفع الإصر من كلام أهل مصر ٧١ ؛ ٩٢ ؛ ٩٦

(٢) القول المقتضب ٤٩ ؛ ٩٢

(٣) انظر كتابنا : التذكير والتأنيث في اللغة .

على اطراد القاعدة ، وكل لغة من اللغات تحاول في تطورها أن تسلك هذا الطريق وأن تجعل قواعدها بسيطة مطردة ، وذلك بالقضاء على التفريعات الكثيرة ، والظواهر الشاذة فيها ؛ وبذلك يصبح صحيحا في الاستعمال ، ما كان يعد خطأ ، من قبل أن يشمع استعماله .

وهذا السأوك قديم في العامية العربية فقد روى الحريري (المتوفى سنة ٥١٦هـ) أن الناس في عصره يلحنون ، فيقولون «الأولة» بدلا من : «الأولى»^(١) وقد عثرت على نصين ، يظهر فيهما هذا اللون من التطور في كلمة : «الأولى» ؛ ففي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : «وقد رجعنا عن الراوية الأولى»^(٢) ، وفي كتاب الواضح المبين في ذكر من اسشهد من المجبين للحافظ مغايطي : « ثم جعلت الصورة الأولى في صدر المجلس»^(٣) .

والقلب المكاني^(٤) ، وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض

لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي - هو ظاهرة يمكن تحليلها بنظرية السهولة والتيسير كذلك . ويرى فندريس أن «الانتقال المكاني يصدر عن نفس الأصل الذي صدر عنه التشابه ؛ إذ إن مرد الأمر في كليهما إلى الخطأ ونقص الالتفات ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف فبدلا من تكرار الحركة النطقية مرتين يقتصر على تغيير مكان حركتين ، وأخيرا يبدو الانتقال المكاني ، كما لو أن جزأين في كلمة واحدة قد تبادلا أحد العناصر ؛ فبدلا من : فسترا festra (نافذة) يقال في البرتغالية . festra فرستا^(٥) .»

ولهذه الظاهرة أمثلة لاتحصى كثرة في العربية الفصحى ؛ فقد خصص السيوطي في كتابه المزهري في اللغة (١/٤٧٦-٤٨١) النوع الثالث والثلاثين ، لمعرفة القلب وذكر فيه حوالى مائة كلمة من هذا النوع ؛ مثل : جَنَّب وجَبَد ، وسحاب مكفهر ومكرهف ، واضمحل وامضمحل

(١) درة الفواص للحريري ٧٧ (٢) تاريخ بغداد ١٨/٥ (٣) الواضح المبين ١٩٧ (٤) تتجه الدراسات الحديثة في تفسير هذه الظاهرة الآن إلى إحصاء نسبة شيوع الأصوات في اللغة وذلك باستخدام جهاز الكمبيوتر ا (٥) اللغة لفندريس ٩٤

ولزج ولجز ، والأوياش والأوشاب وغير ذلك . كما ذكر شيئا مما يخص بعض القبائل العربية من هذه المقلوبات كقول بني تميم مثلاً «رعملى» بدلا من : «لعمرى» .

بل إننا لو قارنا العربية ، باللغات السامية الأخرى ، لعثرنا على أمثلة ، حصل فيها هذا القلب المكافئ في العربية على حين احتفظت اللغات السامية بالأصل ، فمثلا كلمة : «ركبة» هي

في العبرية : *béreh* (בֶּרֶחַ)

وفي الآرامية *burkā* (ܒܪܟܐ)

وفي الحبشية *berk* (በርክ)

وفي الأكادية : *burku* (فأصل)

الكلمة على هذا : « بركة » ثم

قلبت إلى : «ركبة»^(١) ؛ بدليل بقاء

الأصل في الفعل : «بَرَكَ» كذلك .

ويقول في ذلك الأب أنستاس الكرملى :

«وقالوا : الركبة ، وكان الحق أن

يقال : البركة ؛ لأنهم اشتقوا منها :

بَرَكَ ، ولم يقولوا : رَكَّب »^(٢) .

وكذلك كلمة : «مع» في العربية ، فهي مقلوبة ، وأصلها تقديم العين على الميم ؛

لأنها في العبرية : *im* (יִם)

وفي الآرامية : *am* (ܐܡ)

أما كلمة : «شجر» في العربية بمعنى :

«فتحة أو ثقب» فإنها تقابل في اللغة

العبرية *šā'ār* (שָׁאֵר) وكان

المفروض أن يكون مقابلها في الآرامية :

ta'ra لأن الملاحظ في أصوات اللغات

السامية ، أن الـ «اء» العربية ، تقابل

شينا في العبرية ، وتاء في الآرامية ،

كما أن الغين في العبرية تقابل العين في

اللغتين العبرية والآرامية . ولكن

الآرامية حدث فيها قلب مكافئ في هذه

الكلمة ، فصارت *tar'a* (ܬܪܥܐ)

واستعيرت تلك الكلمة المقلوبة من

الآرامية في العربية ، وهي كلمة :

«ثُرعة» ، وهي شق أو فتحة في الأرض

كما نعرف .

(١) انظر : التطور النحوى لبرجشتراسر ٢٢

(٢) نشوء الالف ونموها واكتسابها ١٠٦

(٣) انظر : التطور النحوى لبرجشتراسر ٢٢

وقد روى لنا المؤلفون في لحن العامة بعض كلمات القلب المكاني ؛ مثل : «حطب زَجَل» في : «جزل» و «لطس الكتاب» أى محاه في : «طلس»^(١) و «أرغنى سمعك» في : «أعرنى»^(٢) و «رنجس» في : «نرجس» و «نورق» و «رونق» و «دأب» في : «أدب» و «دناية» في : «ديانة» و «توفيض» في «تفويض»^(٤) و «إحجاف» في : «إجحاف» و «مأيوس» في : «ميثوس»^(٥) ومن أمثلة القلب المكاني في اللهجات العامية المعاصرة قولنا : «معلّاة» في : «ملعقة» مع تطورات أخرى فيها ، و«اتلوى» في : «التوى» و «أنارب» في : «أرانب» و «جنزبيل» في : «زنجبيل» و «فحر» في : «حفر» و «جواز» في : «زواج» و «جوز» في : «زوج» و «مرسح» في : «مسرّح» و «أهبل» في : «أبله» و «فعص» في : «فصع الرطبة» و «فلان يعمل» في :

«عَبَل» بمعنى ضخم الجثة ، و «سأف» في : «صفق» مع تطورات أخرى ، و «لخبط» في : «خلبط» الناتجة بحسب قانون المخالفة من : «خلط» ، و «بخلق» المتطورة عن : «مخلق» في : «حماق» ، و «خفس به الأرض» في : «خسف» و «ورى» في : «روى» الموجودة في نطق العراقيين ، والمتطورة عن : «رأى» ، و «عماويد» في : «عواميد» ، وقد سمعت شخصية كبيرة تتحدث عن «القماويس» وهو يقصد : «القواميس» ، وكل الأطفال الصغار يخطئون في كلمة : «جزمة» فينطقونها : «جمزة» ، وقد سمعت طفلاً يقول : «فشارة» في : «فراشة» وطفلة تطلق على «المسمار» كلمة : «ممسار» وغير ذلك .

ومن الملاحظ أن بعض الكلمات المقلوبة ، بعد أن تشيع على الألسنة ،

(١) التكملة فيما تلحن فيه العامة للجواليق ١٣٣ ٤ ١٤١

(٢) تقويم اللسان لابن الجوزى ٩

(٣) الجمالة في إزالة الرطانة لابن الإمام ٢٧

(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبه لابن كمال باشا ٣٣ ٤ ١٣ ٤ ٢١

(٥) نفائس مران الكلام للمسروزاده ١٧

تأخذ مجراها الطبيعي في اللغة باستعمال
باقي المشتقات منها . ولما لم يدرك
اللغويون العرب ذلك حكموا بأصالة
بعض المقلوبات ، فيقول أبو جعفر
النحاس في شرح المعلقات^(١) : «القلب
الصحيح عند البصريين ، مثل :
شاكى السلاح وشائك ، وجرف هار
وهائر . وأما ما يسميه الكوفيون القلب
نحو : جذب وجذب ، فليس هذا بقلب
عند البصريين ، وإنما هما لغتان » .

ويقول السخاوي في شرح المفصل^(٢) :
«إذا قلبوا لم يجعلوا للفرع مصدرا ؛
لئلا ياتبس بالأصل ، بل يقتصر على
مصدر الأصل ؛ ليكون شاهدا للأصالة ،
نحو : يئس يأسا ، وأيس مقلوب منه

ولا مصدر ، فإذا وجد المصدران حكم
النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل
وليس بمقلوب عن الآخر ، نحو :
جذب وجذب . وأهل اللغة يقولون : إن
ذلك كله مقلوب » .

ويقول الحريري^(٣) : «قال شيخنا أبو
القاسم الفضل بن محمد النحوي رحمه
الله : فأما قولهم : جذب وجذب ،
فليست هاتان اللفظتان عند المحققين
من النحويين من قبيل المقلوب ، كما
ذكر أهل اللغة ، بل هما لغتان ، وكل
واحدة منهما أصل في نفسها ، ولهذا
اشتق لكل منهما مصدر من لفظه ؛
فقبيل في مصدر جَبَدَ : جَبَدُ ، كما قيل
في مصدر جَذَبَ : جَذَبُ » والله أعلم .

(١) شرح القصائد التسع ٤٣٠ ، وانظر : الزهر السيوطي ١ / ٤٨١

(٢) عن الزهر السيوطي ١ / ٤٨١

(٣) درة القواص في أوهام الخواص ١١٦

(٤)

في القرآن والعربية :

الصِّراع بين القراء والنُّحاة

للكبير أحمد علي بن الجندى

«أَقُومُ وَأَعْلِكُ» كما يقول ابن جني^(١)
وذلك لأن الفائدة لا تكون إلا حيث
الجميل ومدارج القول هذاهو المعروفة
في الفصحى - ولكن عثرت على عدد
من النصوص فيها يظهر الحذف في أثناء
الوصل أيضا كحال في الوقف على
غير المعتاد وأدلة هذا :-

١ - ما جاء في الجمهرة ليعلى الأحول :
فبتُّ لدى البيت الحرام أُخِيْلُهُ
ومطوأي مشتاقان (لَهْ) أرقان^(٢)

٢ - وروى صاحب اللسان عن قطرب قول الشاعر :
وأشرب الماء ما بي نحو هو عطشٌ
إلا لأن (عُيُوْنُهُ) سال واديه^(٣)

(ح) في الكمية (الحذف والزيادة) :
أولاً : المعروف أن الوقف من مواطن
التغيير ، ففيه يكون الحذف أو الإبدال
أو التضعيف ، أما الوصل فمما تجرى
فيه الأشياء على أصولها ، ولكننا رأينا
نمطاً آخر من الحذف - وهو حذف
الحركة أو اختلاسها في حالة الوصل -
فإذا قلت «لقيتَهُمْ أَمْسَ» أثبت الواو
في الوصل ، وأما إذا وقفت عليها قلت
«لقيته» بالسكون - فالوقف كما ترى
قد ترتب عليه الحذف ، وأما الوصل
فيعطى الكلمة حقها كاملاً ، ولذا كان
الوصل عندهم أشرف من الوقف بل

* انظر مجلة الجمع ج ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

(١) الخصائص ٣٣١/٢٤

(٢) الجمهرة ١١٨/٣ مطوأي : صاحبها ، وضهير - أخيله و - له عالدلى البرقي .

(٣) اللسان : ٣٦٧/٢٠

٣- كما أنشد أبو حزام العكلى :

لى والد شيخ (تَهْضُمُه) غيبتي

وأظن أن نفاذ (عمرة) عاجل^(١)

٤- وأنشد أبو عبيدة في كتاب المجاز

وقال ربيئهم لما أتانا

(بكفهم) فومة أو فومتان^(٢)

وروى ابن جني في خصائصه :

إن لنا لكمة

مبفنة مبننة

إلى أن قال :

كالذئب وسط القنة

إلا (ترة) تظنه^(٣)

والمتبع أن هذا الضمير في الوصل

يجب أن يتمكن فيه واوه أو ياءه كما

في (نحوه) في البيت الثاني ، وكان

المتبع في البيت الثالث والرابع أن يكون

(تهضمو) (بكفهى) لأجل الوصل ، كما

أن البيت الأول يجب أن يكون الضمير فيه

(مشتاقان لهو أرقان) بدل (له) ولكن كثرة من

النخاة ذهبوا إلى أن هذا الحذف^(٤)

- ضرورة ، بل ذهب أبو إسحاق

الزجاج أنه غلط بين^(٥) .

وينقل صاحب الخزائن عن ابن السراج

أن هذا من قبيل الضرورة عندهم ،

ويعمل لهذا بأنه جاء في الشعر حذف

الواو والياء الزائدة في الوصل مع الحركة ،

كما هي في الوقف^(٦) سواء ، وقول ابن

السراج «بأنه جاء في الشعر» دليل

على أنه ضرورة ، وثانيا على أنه لم يأت

في النشر . ويبدو أن سيهويه هو الآخر

كان يقول في مثله بالضرورة بدليل

قول أبي حيان «ولم يحكها سيهويه^(٧)»

(١) المرجع السابق

(٢) الجهرة : ٣ / ١٦٠ ، مجاز أبي عبيدة : ١ / ١٤١ والفوم : الزرع أو الحنطة والسبل .

(٣) الخصائص : ١ / ١٢٨ دار الكتب : الكلمة ساءمة الإبن والآخر . فبقة - كثرة الكلام ، مفنة قادرة على فنون الكلام .

(٤) ضرائر الألوسى : ٨٢

(٥) البحر : ٢ / ٤٩٩

(٦) الخزائن : ٢ / ٤٠١ - ٤٠٢

(٧) البحر المحيط : ٨ / ٥٠٢

وكان سيبويه ينكرها أن تكون لهجة .

ثانيا : ومن قبيل الاستغناء بالكسرة القصيرة عن الكسرة الطويلة ، والاستغناء بالضمة القصيرة عن الضمة الطويلة ، ما يكون في ضمير الغائب والغائبة المتصل . قال مالك الهمداني :

فإن يك غثا أو سمينا فإنني

سأجعل عينيه لنفسه مقنعا^(١)

وقول الشماخ :

له زجل كأنه صوت حاد

إذا طلب الوسيقة أوزمير^(٢)

وقول حنظلة بن فاتك :

وأيقن أن الخيل إن تلتبس به

يكن لفسيل النخل بعده أبر^(٣)

وقول ذي الخزق الطهري في وصف الذئب

ألم تعجب للذئب بات يعوى

ليؤذن صاحباً له باللاحاق^(٤)

ويرى النحاة أن هذا كله بابه الضرورة ،

في ارتشاف الضرب لأبي حيان أن هذا

لغة عقيل وكلاب وأسد السراة^(٥) .

إلا أنني أرى أن هؤلاء جميعا قد جانبوا

الصواب - أو جانبهم ، وذلك لأنني

اتجهت إلى القرآن الكريم كعادي في كل

مشكلة ، فوجدت أن عدة آيات كريمة

قرئت على نمط الأبيات السابقة أي

بتسكين الهاء المضمرة - في حالة الوصل ،

وهي :

١- قوله تعالى « ومن يرد ثواب الدنيا

نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته

منها^(٦) » فقد قرأ قالون والحلواني عن هشام

(١) الكتاب : ١٠/١ يصف الشاعر ضيفا قدم إليه ما عنده من القرى ليختار منه أفضله لعله يقنع بذلك .

(٢) الخصائص : ١ - ١٢٧ ، ٢-١٧ البيهقي وصف حمار وحشي

(٣) الكتاب ١ - ١١ ، ١٢ يصف شجاعا . علم انه إن ثبت وقتل ، بقي من يخلقه . أبر النخل : مصاحبه .

(٤) مجالس ثعلب : ١٨٤

(٥) ١٢٣١

(٦) سورة آل عمران : آية : ١٤٥

بإختلاس الحركة في (نؤته) - كما
قرأ آخرون بالسكون (نؤته)^(١) .

٢ - وجاء في اللسان أن اللحياني أسند
إلى الكسائي قوله : سمعت أعراب عقيل
وكلاب أنهم - ييجزمون الهاء في الرفع
ويرفعون بغير تمام ، وييجزمون في الخفض
ويخفضون بغير تمام فيقولون « إن الإنسان
لربه لكنود » بالجزم « ولربه لكنود »
بغير تمام^(٢) .

٣ - وفي قوله تعالى « ومن أعرض عن
ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة أعمى »^(٣) فقد نقل ابن خالويه
عن إبان بن تغلب (نحشرة) بسكون
الهاء^(٤) . وجاءت رواية مماثلة في البديع^(٥)

٤ - وفي قوله تعالى « فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره » ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره^(٦)

وقرأ هشام وأبو بكر بسكون الهاء فيها
(يره) ثم قال أبو حيان والإسكان في الوصل
لغة حكاهما الأنخفش ، كما حكاهما الكسائي
أيضا عن بني كلاب وبني عقيل^(٧) .

٥ - قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة
والأعمش قوله تعالى : « ومن أهل الكتاب
من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم
من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك »^(٨)
بسكون الهاء وصلا في يؤده . كما روى
الكسائي أن لغة عقيل وكلاب - أنهم
يختلسون الحركة في هذه الهاء وأنهم
يسكنون أيضا^(٩) .

٦ - كما قرأ بالحذف والإسكان في قوله
تعالى « يرضه »^(١٠) لكم « وقوله تعالى « أرجه »^(١١)
وأخاه « فقد قرأ عاصم بإسكان الهاء
في (أرجه) وقوله تعالى « طعام
ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله »^(١٢) وقوله

(١) البحر المحيط : ٣ - ٧١

(٣) سورة طه : آية : ١٢٤ .

(٥) مختصر شواذ القرآن ٩٠ ابن خالويه

(٧) البحر ٨/٦٠٢

(٩) إتحاف فضلاء البشر : ٣٦ -

(١١) سورة الأعراف : ١١١ ، وسورة الشعراء : ٣٦ وانظر الإتحاف ٣٦

(١٢) سورة يوسف آية : ٣٧

(٢) اللسان : ٢٠ - ٣٦٧

(٤) البحر : ٦ / ٢٨٧

(٦) سورة الزلزلة آية : ٨، ٧

(٨) آل عمران آية : ٧٥

(١٠) سورة الزمر ٧

تعالى « إن لم يره أحد^(١) » فقد قرأ
بالإسكان هشام كما ورد عن ابن عباس
أنه قرأ ونادى نوح ابنه وكان في معزل^(٢)
يابنى اركب معنا بسكون الهاء ؛ من
(ابنه) ، وعقب على تلك القراءة
ابن عطية وأبو الفضل الرازي بآنها :
على لغة لأزد السراة^(٣) ، وقال ابن جني
في المحتسب « وأما ابنه - يجزم الهاء
فعلى اللغة التي ذكرناها لأزد السراة^(٤) .
وقد أتيت بتلك الإحصائية لهذه
الظاهرة ، حتى تكون حازما منيعا في وجه
عبث النحاة وحملهم هذه الظاهرة على
الضرورة ، بل بعض هؤلاء النحاة قد تجرأ
فخطأ هذه القراءات القرآنية السابقة
كأبي إسحاق الزجاج حيث يقول « والإسكان
الذي روى عن هؤلاء (يقصد القراء)
غلط بين ؛ لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم ،
وإذا لم تجزم فلا يجوز أن تسكن في
الوصل^(٥) ، ومثله السيراني
في شرح سيبويه^(٦) كما حكى عن أبي العباس

المبرد أنه قال : ما عرفت وما علمت - أن أبا عمرو
لحن في صميم العربية إلا في حرفين ...
والآخر « يوؤده إليك » ثم قال ولا يجوز
إسكان الهاء إلا في ضرورة عند بعض
النحويين ومنهم من لا يجيزه البتة^(٧) .
وواضح وهن ما يقوله الزجاج وأعوانه
من النحويين ؛ لأن ما يعلل به للطعن في ،
هذه القراءات عليه مسحة المنطق
والمهجات والقراءات لا يصح أن نخضعها
للمنطق ؛ لأنها مأثورة منقولة ولا تخضع
لهوى النحاة وقوانينهم العقلية ، كما
أتينا لسنا مكلفين بأن نعتبر بأقوال
النحاة وقوانينهم المنطقية ، ثم إن هذه
القراءات منقولة عن إمام البصريين
أبي عمرو بن العلاء - العربي الصريح ،
والقاري الذي لا يتهم ، ومنقولة أيضا
عن الكسائي - شيخ المدرسة الكوفية -
وحسب هذان الرجلان تثبيتا وعلمنا ، في
علوم القرآن واللغة ، ثم إن حقيل العربية
ليس مقصودا على النحاة وحدهم - يعبرون

(٣) البحر : ٥ / ٢٢٦

(٢) سورة هود : ٤٢

(١) سورة البلد : ٧

(٤) المحتسب في شواذ القراءات : ١ / ٤٠٢ مخطوطة بالتيمورية .

(٥) البحر : ٢ / ٤٩٩

(٦) شرح السيراني على سيبويه ١ : ٢٦٤ مخطوط بمكتبة أحمد تيمور .

(٧) نزعة الألباء : ٢٩٢ تحقيق محمد أبو الفضل .

ويقمنون فيه حسب هواهم وميولهم :
 فإذا ثبت - وقد ثبت - أن من
 القراء جماعة من النحويين - فلا يكون
 إجماع النحويين حجة مع مخالفة القراء
 لهم . ثم إن ما ينقله النحويون آحاداً
 ونقل القراء في تلك القراءة متواتر ،
 فالقراء أعدل ، فإذا أضيف إلى ذلك :
 أن تلك القراءة - التي وافقت لهجة عقيل
 وكلاب سبعية - كان موقف النحاة
 أوهى من بيت العنكبوت لأن القراء
 نقلوها عن صاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم)
 فهم لا يفرغون إلا بأثر . وهم متبعون لا مبتدعون
 ويبعدو من تاريخ الزجاج أنه كان
 دائب الطعن والخصومة ، يقول عنه أبو حيان
 « وأبو إسحاق الزجاج يقال عنه ، إنه لم
 يكن إماماً في اللغة ، ولذلك أنكر على
 ثعلب في كتابه الفصيح مواضع زعم أن
 العرب لا تقولها - ورد الناس على أبي إسحاق
 في إنكاره ونقلوها من لغة العرب ^(١) »
 وهنا أمر لا بد من ملاحظته ، يقوى مذهب

القراء القائلين بأنها لهجة ويدحض جانب
 النحويين بأن هذه الظاهرة - ضرورة -
 وهو أن البيت الأول من الشواهد التي
 سقتها آنفاً هو ليعلى الأحول - وإذا
 توجهنا إلى كتب الأنساب نسألها عن
 قبيلة هذا الرجل أخبرتنا أنه من شكر :
 وهي بطن من الأزد ، من القحطانية ^(٢) ،
 ومعروف مما سبق أن القراء عزوا هذه
 الظاهرة إلى أزد السراة ، فكأن هذا البيت
 الذي نطق به ليعلى الأحول يجب أن يكون
 إسكان الضمير في (له) لغة لقبيلته -
 لا صيغة ولا ضرورة ، كما يقول السيرافي ^(٣)
 في شرحه على كتاب سيبويه ، وبذلك
 نجد شاهداً من أحد رجال القبيلة الأزدية -
 على ظاهرة لهجية أزدية ، أكدها القراء ،
 بل قرأ بها منهم أئمة ثقات في قراءة سبعية
 لا مجال لإنكارها أو النيل منها . ثم إن
 هذه الظاهرة قد وردت في النشر ، وذلك
 أن الكسائي سمع أعراب كلاب وعقيل
 يقولون : له ^(٤) مال : بسكون الهاء .

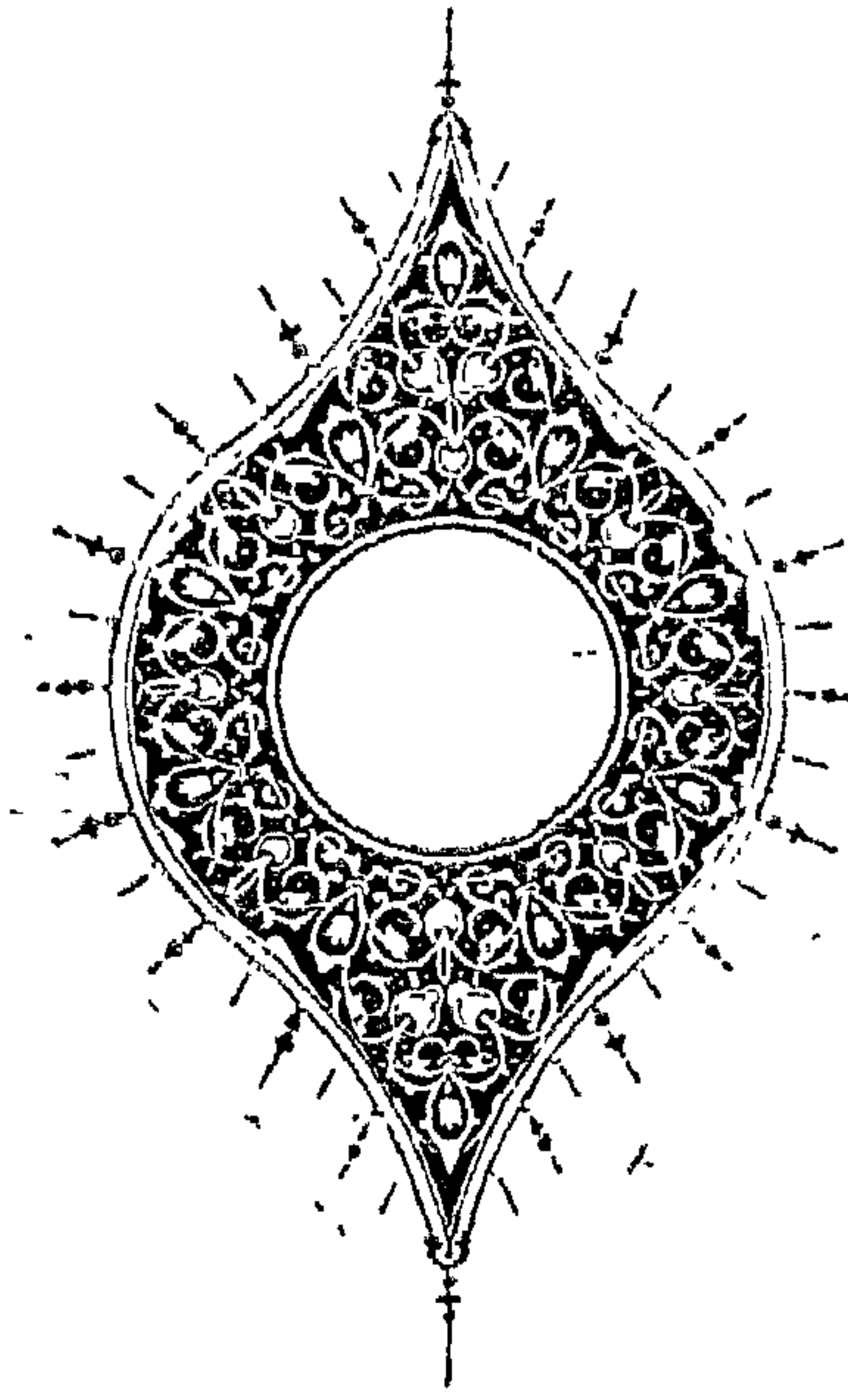
(١) البحر المحيط : ٥٠٠/٢

(٢) معجم قبائل العرب : ٦٠٣/٢

(٣) شرح السيرافي : ٢٦٤/١ مخطوط

(٤) البحر : ٧١/٣ واللسان : ٣٦٧/٢٠

وأرى أنه لا ضرورة في النشر كما لا
ضرورة في القرآن الكريم ، وقد احتج
ابن خالويه للقراءة القرآنية التي جاءت
على لهجة القبائل بقوله « فمن قرأ
« أرجه وأخاه » بالسكون فحجته -
أنه توهم أن الهاء آخر الكلمة فأسكنها
دلالة على الأمر - أو تخفيفها لما طالت
الكلمة بالهاء ^(١) »
(للبحث بقية)
أحمد علم الدين الجندی



(١) الحجة لابن خالويه . ورقة : ٥٠ مخطوط بدار الكتب رقم ١٩٥٢٣ ب .